روايات
عالمية
للفتيان

جول فرن

قصر «الكاربات»



ترجمة

كمال الشرتوني

أرشفة : فريق التوثيق الألكتروني
فريق التوثيق الالكتروني

جول فرن

قصر «الكاربات»

مَكْتَبَةُ لِسَان العَرَب
أ. علاء الدين شوقي
رابط بديل
lisanerab.com
www.lisanarb.com

قصر الكاربات

تأليف: جول فرن
ترجمة: كمال الشرتوني
الطبعة الاولى: ١٩٨٩
جميع الحقوق محفوظة
الناشر: وزارة الثقافة والاعلام ـ دار ثقافة الاطفال
ص. ب ٨٠٤١

روايات عالمية للفتيان

تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام رئيس مجلس الادارة فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة فاروق يوسف
فريق التوثيق الألكتروني:
محمد رضا مهدي المؤمن
أسعد علوان حسين

اسماء العلم باللغة الفرنسية

الرتيازات	RETYEZAT
فريك	FRIK
ورست	WERST
داس	DACES
فولكان	VOLKAN
اورغال	ORGALL
كولتز	KOLTZ
السيل	LA SIL
بلازا	PLEZA
فالاك	VALAQUE
هرمنستاد	HERMANSTAOT
كولوسفار	KOLOSVAR
رديوك	ROSÜK
اغالت	EGELT
نيك دك	NIC DECK
كلوسنبورغ	KLAVSENBURG
كارلسبورغ	KARLSBURG
ترانسيلفانيا	TRANSYLVANIE
انجيليكا	ANGELICA
اركوناتي	ARCONATI
ماتياس	MATHIAS
لاستيلا	LA STILLA
راكيو	RAKIOU

كاربات	CARPATHES
هرمود	HERMOD
باتاك	PATAK
جوناس	JONAS
نياد	NYAD
شنابس	SHNAPS
كراجوا	KRAJOWA
كارينيان	CARIGNAN
توران	TURIN
ميلان	MILAN
فينيس	FENICE
سان كارلو	SAN-CARLO
ميشال غريغوريو	MICHEL GERGORIO
اورفانيك	OREANIK
ميريوتا	MIRIOTA
ليفادزيل	LIVAOZEL
دي غورتز	DE GORTZ
رودولف	RODOLPHE
اورلندو	ORLANDO
كامبو سانتو نيوفو	CAMPO SANTO NUOVO
اديسون	EDISON
فرانز دي تلك	FRANZ DE TELEK
روتزكو	ROTZK

هذه القصة ليست قصة خرافية، بل خيالية. ولكن هل يستنتج من ذلك انها غير حقيقية لان احداثها مستبعدة غير مألوفة؟ كلا. ان هكذا استنتاج يكون خاطئا. فنحن في زمن يحصل فيه كل شيء وقد نستطيع القول انه حصل فيه كل شيء.

واذا كانت قصتنا بعيدة عن الحقيقة والواقع بالنسبة لايامنا هذه فستكون حقيقية واقعية بفضل الاكتشافات العلمية التي ستتحقق في المستقبل. ولذا لن يتجرا احد على وضعها في مصاف الأساطير.

في التاسع والعشرين من شهر ايار من تلك السنة، كان هناك راع يرعى قطيعه على طرف هضبة خضراء تقع على اقدام جبال «الرتيازات». وتشرف هذه الجبال على وادٍ خصب تغطيه أشجار مستقيمة الجذوع وتفرش أرضه مزروعات تبهج النظر.

وتهب على هذه الهضبة المرتفعة المكشوفة من دون حمى رياح شمالية غربية فتحلقها في الشتاء كما تفعل موسى الحلاقة. وهذا الراعي لم يكن في زيه المضحك ما يدل على السعادة والبراءة، ولا في هيئته وحالته ما يدل على أنه من الرعاة. إنه «فريك» من قرية «ورست» هكذا يعرف نفسه. كان قليل الاهتمام بنفسه وبقطيعه. وكان يسكن عند مدخل القرية في ذلك الكوخ القذر الشبيه بوكر الضفادع حيث كانت تعيش خرافه وخنازيره في زريبة مثيرة للأشمئزاز قذرة.

وكان يفترش تلة مفروشة بالعشب يغمض عيناً ويفتح أخرى. وغليونه في فمه ويصفر أحياناً لكلبيه عندما تبتعد بعض النعاج عن المرعى وينفخ ببوقه احياناً أخرى فتردد الجبال أصداء صوته.

إلى أي أصل وفصل يعود هذا الراعي «فريك»؟ أهو سليل منحط من شعب «الداس» القديم؟ لقد كان من

الصعب الجزم بهذا الموضوع لأن شكله يحير. فشعره أشعث، ووجهه ملطخ ببقع سوداء، ولحيته كأشواك الغاب، وحاجباه كثيفان محمران كفرشاتين من شعر اذناب الدواب، وعيناه مزرورقتان، بين الاخضر والازرق، ترتسم حولهما دوائر الشيخوخة. وكان عمره حوالي خمسة وستين عاماً. ولكنه كان ضخماً، صلب العود، مستقيم القامة تحت رأس مصغر اقل شعراً مما في صدره. وقد لايأنف رسام من رسم قوامه حين يعتمر قبعة كأنها حزمة من القش ويتكىء على عصاه معقوف الظهر جامداً كأنه قطعة من صخر.

وعندما مالت الشمس الى المغيب استدار «فريك» وجعل يده نصف مغلقة ووضعها فوق عينيه لترسل نظره الى البعيد وحدق بانتباه تام. وعلى بعد ميل منه وتحت افق منقشع الغيوم ارتسم امامه شكل قصر قديم بدا من بعيد اصغر مما هو في الحقيقة. وهذا القصر القديم كان قائماً على تلة منعزلة من منطقة ممر «الفولكان» في القسم الاعلى من هضبة «الاورغال». وكان نور الشمس مسلطاً عليه فيظهره بوضوح تام. ومع ذلك كان يجب ان تتمتع عين الراعي بقوة نظر كبيرة كي تميز بعض تفاصيل تلك الكتلة الكبيرة البعيدة. وفجأة راح الراعي يصرخ وهو يهز رأسه

ايها القصر القديم.. ايها القصر القديم.. عبثاً تتعاظم مستريحاً على اساساتك. فبعد ثلاث سنوات ستزول من الوجود لانه لم يبق في شجرة الزان عندك سوى ثلاثة اغصان. اما شجرة الزان هذه فمزروعة على طرف احد حصون القصر وكانت تبدو بقعة سوداء في عمق الافق كقطعة ورق ممزقة. وما كان احد سوى «فريك» ليراها من هذه المسافة البعيدة. اما كلام الراعي حول علاقة هذه الشجرة بوجود القصر فناتج عن اسطورة سيأتي الحديث عنها في حينه.

وتابع «فريك» يقول: نعم ثلاثة اغصان.. البارحة كان عدد الاغصان اربعة لكن واحداً سقط خلال الليل الفائت ولم يبق منه الا الارومة العالقة بالجذع... لم يبق سوى ثلاثة. ايها القصر القديم.. ثلاثة اغصان فقط..

كان الاهالي في المنطقة يعتبرون «فريك» ساحراً، محضراً للارواح والاشباح. فهذا يقول ان الارواح تطيعه وذاك يقول انه كان يرى عند خسوف القمر في الليالي المظلمة راكباً على هوائيات الطواحين يتحدث مع الذئاب او يهذي مع النجوم. وكان «فريك» يتركهم يقولون ما يشاؤون طالما يجد في ذلك مصلحة له. ولكنه كان لايقل سذاجة عن عملائه. واذا كان لايؤمن بالاعيبه السحرية

فانه كان يؤمن ولاشك بالاساطير والخرافات التي كانت تروج في المنطقة. فلا عجب اذاً ان يكون تنبأ بالزوال القريب للقصر القديم لان شجرة الزان لم يبق منها سوى ثلاثة اغصان. ولا عجب ايضاً ان يكون قد حمل الخبر مسرعاً الى قرية «ورست». فبعدما جمع قطيعه وهو ينفخ بملء رئتيه في بوق خشبي ابيض طويل اخذ «فريك» طريق العودة الى القرية. وكان يرافق القطيع كلبان غير مؤصلين شرسان متوحشان يطاردان الخراف كأنهما يريدان افتراسها وليس حراستها. وكان هذا القطيع يضم حوالي المئة بين كبش ونعجة، اثنا عشر منها في السنة الاولى من العمر والباقي في الثالثة او الرابعة... كان قاضي «ورست» السيد «كولتز» يملك هذا القطيع ويدفع رسماً ضخما للبلدية كبدل مرعى لقطيعه. وكان السيد كولتز يقدر الراعي «فريك» البارع في جزّ صوف الخراف والماهر في معالجة الامراض على انواعها. وكان القطيع يسير كتلة واحدة متراصة، والكبش يختلط طنين ناقوسه في المقدمة مع ثغاء القطيع. سلك «فريك» طريقاً على طرف حقول فسيحة حيث تتماوج سنابل القمح العالية وتمتد مساحات مزروعة بالذرة. وكان هذا الطريق يؤدي الى محاذاة حرج من الصنوبر داخله مظلم رطب. وتحت

الطريق كانت تجري مياه «السيل» في مجراه صافية تكررها كتل من الحصى في العمق وتعوم على سطحها قطع الخشب التي كانت تسقط الى النهر من المناشر المنتشرة على ضفافه العالية. وتوقف القطيع على الضفة اليمنى وراح يشرب بنهم بمحاذاة حافة النهر محركاً تجمعات القصب حوله.

لم تكن «ورست» بعيدة من هنا. فهي تقع وراء غابة كثيفة. اشجارها كبيرة باسقة شامخة تختلف عن تلك الاشجار التي لايكتمل نموها فتتجمع اغصانها فوق اروماتها على علوٍّ بضعة اقدام. كانت هذه الغابة تمتد حتى منحدر ممر «الفولكان» حيث القرية التي تحمل هذا الاسم وهي على مرتفع بارز في المنحدر الجنوبي من سلسلة مرتفعات «البلازا».

وكان الريف مُقفرا في تلك الساعة. فالمزارعون يعودن مساءً الى بيوتهم «وفريك» أخرته الطريق الطويلة فلم يتمكن من تبادل السلام التقليدي معهم. وبعدما ارتوى وفيما كان فريز يدخل مع قطيعه في طيَّات الوادي اذا برجل يطل على منعطف «السيل» على بعد خمسين خطوة نحو مصب النهر ويصرخ في الراعي: ياصديق... ياصديق...

لقد كان واحدا من الباعة المتجولين الذين يجوبون أسواق المنطقة. وتلقاهم في المدن والقرى والدساكر يتكلمون بكل اللغات ويتفاهمون مع عملائهم بسهولة. فهل كان هذا البائع أيطالياً أم سكسونيا أم من بلاد «الفالاك»؟ لااحد يعرف بالتحديد. ولكنَّ الأكيد أنه كان بولونيا طويل القامة، ضعيفا، معقوف الانف، مدبب اللحية، منتفخ الجبين متقّد العينين. وهذا البائع المتجّول يبيع النظارات، وموازين الحرارة، ومقاييس الضغط الجوي، وساعات صغيرة تعلّق بالحائط... فما لا تجده من بضاعة في الحزمة الكبيرة المربوطة بحمّالات مشدودة الى كتفيه تجده يتدلى حول عنقه أو من حزامه حول خصره. إنه يتقن حقا عرض بضاعته فهو عارض متجول. وكان ذلك البائع يوحي كالرعاة بالاحترام او بشيء من الرهبة. ثم سلم على «فريك» باليد وقال بلهجة رومانية هي خليط من اللغتين اللاتينية والسلافية:

- هل تسير الامور كما تشتهي ياصديقي؟
- نعم.. حسب الطقس.
- اذاً انت اليوم على احسن حال لان الطقس جيد. ياصديق.
- وستسوء حالي غداً لان الطقس سيمطر.

ـ هل ستمطر حقاً؟ انها تمطر بلا غيوم على مايبدو في بلادكم.

اجاب فريك:

ـ ان الغيوم ستأتي هذه الليلة.. تأتي من هناك.. من الجهة الرديئة من الجبل.

ـ ما الذي يدلك على ذلك؟

ـ صوف خرافي الذي اصبح اغرش يابساً كالجلد المدبوغ.

ـ إذاً تباً للذين يسلكون الطرقات الطويلة.

ـ وهنيئاً للذين بقوا على اعتاب منازلهم.

ـ ولكن لابد من ان تملك بيتاً، ايها الراعي، كي نبقى على اعتابه.

عندئذ سأله «فريك»:

ـ هل لديك اولاد؟

ـ كلا.

ـ هل انت متزوج؟

ـ كلا.

وكان «فريك» يسأل البائع هذه الاسئلة لانه كان من عادة اهل المنطقة ان يسألوها لكل غريب يلتقونه. وتابع فريك اسئلته قائلاً:

ـ من اين تأتي ايها البائع المتجول؟

ـ من «هرمنستاد».

ـ والى اين تذهب؟

ـ الى «كولوسفار».

في الحقيقة ان هؤلاء الباعة الذين يبيعون موازين الحرارة ومقاييس الضغط الجوي والاشياء القديمة يوحون اليك بانهم يختلفون عن سائر الناس. انه تأثير المهنة عليهم. انهم يبيعون الوقت في كل حالاته واشكاله: الوقت يمضي وحالة الطقس في الوقت الحاضر وحالة الطقس كما ستكون في الوقت الاتي كما يبيع الباعة المتجولون الاخرون السلال والاقمشة والملبوسات القطنية. وتحسبهم يمثلون اكبر المحال التجارية واشهرها. هذا هو الانطباع الذي تركه ذلك البائع في نفس الراعي «فريك». الذي راح يتأمل بدهشة تلك السلع المعروضة امامه وهو يراها لاول مرة ولا يعرف طريقة استعمالها. ثم مد يده نحو البائع وقال:

ـ ايها البائع المتجول لِمَ تنفع هذه الحاجات التي تتدلى من حزامك وتخشخش كأنها عظام عتيقة؟

ـ هذه اشياء لها قيمتها وهي تنفع كل الناس.

ـ ماذا تقول ايها البائع؟ تنفع كل الناس. وهل تنفع الرعاة

ايضا؟

ـ نعم تنفع الرعاة ايضا.

ـ وهذه الآلة الميكانيكية. لِمَ تنفع، أيها البائع؟

أجاب البائع وهو يقلّب بين يديه ميزان حرارة:

ـ هذه الآلة تنبئك إذا كان الطقس حارا أو باردا.

ـ «ياايها البائع ما أحسبني بحاجة اليها. فأنا أعرف ذلك حين يتصبّب العرق مني في الحر او أرتجف من الصقيع في البرد.»

وبالطبع كان ذلك كافياً بالنسبة لراع لايهتم لمسائل العلم واسئلته. ولكن «فريك» تابع يسأل وهو يدل على مقياس الضغط الجوي:

ـ وهذه الآلة العتيقة الكبيرة مع ابرتها لِمَ تنفع؟

ـ هذه ليست آلة عتيقة بالية. انها آلة علمية تشير الى حالة الطقس ماسيكون عليه غدا، جيدا مشمسا او ممطراً.

ـ اصحيح ماتقول ايها البائع؟

ـ صحيح... صحيح.

ـ على كل حال. اني لاارغب فيها ولو كانت تكلف قرشاً واحداً. فلا حاجة لي بها. يكفي ان ارى الغيوم تتباطأ فوق الجبال او تسير بسرعة فوق القمم العالية كي اعرف كيف سيكون الطقس بعد اربع وعشرين ساعة.

انظر ايها البائع. اترى هذا الضباب الذي يبدو وكأنه يطلع من الارض؟ انه يشير الى ان المطر سيتساقط غدا. وقد قلت لك ذلك.

حقا ان الراعي «فريك» كان بغنى تام عن مقياس الضغط الجوي. فهو مراقب ماهر لحالة الطقس.

ـ وهل انت بحاجة الى ساعة حائط ايها الراعي.

ـ ساعة حائط؟ ان لدي واحدة تدور وحدها وهي تتمائل فوق رأسي. انها الشمس. انتبه ياصديقي. عندما تتوقف الشمس على قمة جبل «الروديوك» اعرف انه الظهر تماما. وعندما تنظر اليّ من خلال وادي «الاغالت» اعرف انها السادسة مساء. وخرافي تعرف ذلك مثلي تماما وكذلك كلابي. فاحتفظ إذاً بآلاتك البالية.

ـ مهلاً ايها الراعي. لو لم يكن لدي عملاء غير الرعاة لما استطعت ان احصل على عيشي. هكذا اذاً، لست بحاجة لاي شيء؟

ـ ابداً.

على كل حال ان كل هذه البضاعة الزهيدة الثمن كانت سيئة الصنع. فمقاييس الضغط الجوي لاتتطابق مع تغيرات الطقس وعقارب الساعة تجعل الساعات طويلة او الدقائق قصيرة. انها بضاعة رديئة سيئة لاتصلح لشيء.

وربما كان لدى الراعي احساس بذلك فلم يرغب ابداً في الشراء ولكنه رغم ذلك وفي اللحظة التي كان يتناول فيها عصاه للرحيل عاد ليهز آلة كالانبوب معلقة بحمالة البائع وهو يقول:

- لِمَ ينفع هذا الأنبوب الذي تحمله هنا؟
- هذا ليس أنبوبا. أيها الراعي.
- هل هو مسدس إذاً.
- كلّا. إنه منظار.

لقد كان منظارا عاديا يكبّر الأشياء خمسا او ست مرات يقربها بهذا المقدار مما يعطي النتيجة ذاتها. وفكّ «فريك» الآلة من رباطها وراح يقلّبها بين يديه ويتأملها. ثم زحلق الاسطوانات الواحدة داخل الأخرى وهزّ رأسه قائلا: - أتقول هو منظار أيها البائع؟

- نعم، أيها الراعي، منظار رائع يسمح لك بالرؤية لمسافات بعيدة.
- آه. إن نظري جيد. ياصديقي البائع. حين يكون الجو صافيا أستطيع رؤية آخر الصخور حتى قمة «الراتيازات» وآخر الأشجار حتى عمق وادي «الفولكان».

- أتفعل ذلك من دون أن ترفّ عينك؟
- من دون أن ترفّ عيني. وهذا بفضل الندى الذي يتساقط على عَينَيّ حين أنام في العراء من المساء حتى الصباح. إن الندى، ياصديقي البائع، ينظف بؤبؤ العين أحسن تنظيف.
- أتقول الندى؟ إنه بالاحرى يعمي البصر.
- ليس بالنسبة للرعاة.
- فليكن. ولكن اذا كان نظرك جيداً فان نظري يصبح افضل من نظرك حين اضع عيني على المنظار.
- ان هذا الامر قابل للبحث، ايها البائع.
- خذ. تأكد. ضع عينك على المنظار وانظر..
- انا؟
- جرب.. ايها الراعي..
- الا يكلفني ذلك شيئاً؟
- لن يكلفك شيئاً الا اذا قررت شراء هذه الآلة.

وبعدما اطمأن من هذا القبيل اخذ فريك المنظار وقد ضبط البائع اسطوانته فاغمض عينه اليسرى واحكم حدقية المنظار على عينه اليمنى.

نظر بادىء ذي بدء باتجاه ممر «الفولكان» صعوداً حتى جبال «البلازا». ثم خفض الآلة وصوبها الى قرية

«ورست». وبعد لحظات صرخ:

- صحيح.. صحيح! ان ماتقوله ايها البائع لحقيقة. ان هذا المنظار يحمل النظر الى ابعد مما تريني عيناي.. اني ارى الشارع الكبير واتعرف الى الناس.. هذا «نيك دك»، حارس الاحراج يعود من دورته. حقيبته على ظهره وبندقيته معلقة بكتفه..
- اما قلت لك ايها الراعي ولم تصدق؟
- بلى.. بلى.. انه «نيك». ولكن من هي هذه الفتاة التي تخرج من بيت السيد «كولتز» وهي ترتدي تنورة حمراء وقميصاً اسود. انها تتجه نحو «نيك دك» وكأنها تحاول ان تلفت انتباهه.
- اترى، ايها الراعي، كيف تميز بين الشاب والصبية؟
- نعم... نعم.. هذه «مريوتا».. الحسناء آه.. العشق والعشاق.. لينتبها هذه المرة. فاني اراقبهما جيدا كأنهما في الطرف الاخر لهذا الانبوب.
- مارأيك بهذه الآلة ايها الراعي؟
- رأيي انها تسمح بالرؤية من بعيد.

ان فريك كما تأكد لم ينظر ابدا من خلال منظار ولم ير هذه الآلة في حياته. ولاشك في ان قرية «ورست» هي من اكثر القرى تأخراً في قضاء «كلوسنبورغ». وهذا ماسنراه

عما قريب.

- انظر بعد ايها الراعي.. انظر ابعد من قرية ورست. القرية قريباً جدا منا.. صوِّب نظرك الى الابعد..
- الا يكلفني ذلك اكثر؟
- لا لن يكلفك شيئاً.
- حسناً. سأفتش في ناحية النهر الهنغاري. هذه قبة جرس «ليفادزيل».. اني اعرفها من صليبها فهو اكتع تنقصه احدى الذراعين.. وبعدها في الوادي بين اشجار الصنوبر ارى قبة جرس «بتروسيني» مع ديكها المصنوع من الحديد الابيض وهو يفتح منقاره كأنه ينادي ابدا على دجاجاته.

وهنالك، ذلك البرج الذي يرتفع بين الاشجار.. لاشك انه برج «باتريلا». تمهل ايها البائع. مادام السعر لن يتغير.. دعني انظر ناحية مرتفعات «الاورغال»..

- السعر لن يتغير فانظر حيث تشاء. ايها الراعي.

راح «فريك» يتتبع بطرف المنظار تلك الاحراج المظلمة على منحدر جبال «البلازا» فدخل في حقل نظره من بعيد طيف القصر القديم فصرخ:

- «بلى... بلى.. الغصن الرابع واقع على الارض. لقد كنت رأيت ذلك جيداً.. ولن يذهب احد ليلمه ويحرقه. لا.. لا..

ولا حتى انا.. انها مجازفة بالروح والجسد.. ولكن لا يحملن احد همه فهناك واحد يعرف كيف سيحرقه الليلة بناره.. بنار جهنم.. انه «الشيطان». وقد يكون البائع فكر في الاستفهام عن معنى هذه الكلمات التي تبدو مبهمة وغير مفهومة خصوصاً لانسان من خارج قرية «ورست» والمنطقة المجاورة. ولكن الراعي صرخ مرسلاً صوتا اختلطت فيه الدهشة بالذعر وقال:

ـ ماهذا الضباب المتصاعد من البرج؟ هل هذا ضباب؟.

لا... لا.. يبدو وكأنه دخان... ولكن هذا مستحيل... فمنذ سنين طويلة لم يتصاعد دخان من مداخن القصر..

ـ اذا كنت ترى دخاناً ايها الراعي فثق انه دخان.

ـ لا.. ايها البائع.. لا... إنّ زجاج منظارك مغشى، لاشك أن على زجاجه غشاوة تجعلني أرى ما أرى.

ـ امسح زجاج المنظار أيها الراعي وتأكد.

ـ واذا مسحته أيها البائع... فما الذي سيتغيّر... ومسح الراعي زجاج المنظار بطرف كمه ووضعه على عينيه من جديد. وراح يهمهم: «إنه حقا دخان يتصاعد من رأس البرج. إنه يتصاعد بشكل مستقيم في الفضاء الهادىء فتمتزج سحابته بالغيوم العالية».

ثم جمد «فريك» وسكت وركّز انتباهه كلّه على القصر



يبدو وكأنه دخان.

الذي بدات تغمره الظلال الصاعدة على مستوى مرتفعات «الاورغال». وفجأة خفض منظاره ومدّ يده الى كيسه المتدلي تحت عباءته وسأل البائع:

ـ بكم هذا الأنبوب؟

ـ باربعة فرنكات.

وكان البائع مستعدا ان يرضى بثلاثة لو حاول «فريك» مساومته ولكنّ الراعي لم يتردد.

فتحت تأثير دهشه مفاجئة وغامضة ومدّ يده الى عمق كيسه وسحب المال ودفع للبائع الذي قال له:

ـ هل تشتري هذا المنظار لحسابك؟

ـ كلّا... أشتريه لحساب سيدي القاضي «كولتز».

ـ وهل يدفع كل ثمنه؟

ـ طبعا... سيدفع ثمنه خمسة فرنكات كما كلّفني...

ـ كيف كلفك خمسة فرنكات؟... لقد دفعت..

ـ خمسة فرنكات ايها البائع مساء الخير ياصديقي..

ـ مساء الخير ايها الراعي..

وصفر فريك لكلبيه وحث قطيعه للسير وصعد بسرعة باتجاه «ورست». ورافقه البائع بنظره وهو يهز رأسه كمن يتعاطى مع مجنون وقال في نفسه:

«لوكنتُ اعلم امره.. لكنت بعته اياه بثمن اغلى..»

ثم شد اشياءه الى حزامه وحمالاته الى كتفيه وجد السير باتجاه «كارلسبورغ» نازلا الضفة اليمنى لنهر «السيل».

الفصل الثاني

واذا نظرنا ومن مسافة عدة اميال الى الصخور المتراكمة بفعل العوامل الطبيعية المختلفة عبر العصور الجيولوجية او نظرنا ومن المسافة ذاتها الى الابنية التي صنعتها يد الانسان وتعاقب عليها الزمن، فان المظهرين متشابهان الى حد كبير ويظهران من بعيد. بمظهر واحد فيختلط الامر على الناظر. فاللون ذاته والاشكال ذاتها والتواءات الخطوط ذاتها وكلها تتخذ مسحة واحدة تحت تأثير السنين والعصور.

هكذا كانت حال قصر «الكاربات» ولذا لم يكن سهلا ان نتبين اشكال القصر القائم على قمة هضبة «الاورغال» عن يسار ممر «الفولكان». فان الناظر لايستطيع التمييز بين

حجارة ابنية القصر والصخور في خلفية الجبال. وما قد يتراءى لنا كبرج قد لايكون سوى كتلة حجارة. وما نظنه سياجاً مسنناً قد لايكون سوى قمة صخرية. ان مجموعة ابنية القصر تبقى من بعيد غامضة الملامح مترجرجة في نظر الناظر وغير ثابتة. واذا كان لنا ان نصدق بعض السياح فان قصر «الكاربات» لاوجود له الا في مخيلة اهل القضاء.. ومن البديهي القول ان ابسط الوسائل للتأكد من ابنية هذا القصر هي في اصطحاب دليل من قرية «فولكان» او قرية «ورست» فنصعد سلسلة الجبال ونتسلق القمة ونزور تلك المجموعة من الابنية. ولكن المجازفة في اكتشاف الطريق الى القصر تبدو اهون من العثور على دليل. ففي بلاد النهرين هذه لايرضى احد بأن يقود سائحاً الى قصر «الكاربات» مهما كان الاجر. وعلى كل حال اليك ماكان يمكن ان يرى من ذلك القصر القديم لو استعملنا منظاراً اقوى وافضل تركيزاً من تلك الآلة التي اشتراها الراعي «فريك» لحساب السيد «كولتز».

فعلى مسافة ثمانمئة او تسعمئة قدم وراء ممر «الفولكان» ترى سوراً رملي اللون يغطيه خليط من النبات كأنه منقوش عليه ويبلغ طول هذا السور حوالي ثلاثة الاف قدم وهو يتتبع مختلف مستويات الارض على الهضبة

حول ابنية القصر. وينتهي في كل طرف بحصنين. احد الحصنين لجهة اليمين زرعت فيه شجرة الزان الشهيرة واقيم في وسطه كوخ صغير مروس السطح كان يستخدم للحراسة والمراقبة. ولجهة اليسار بقايا جدران مدعومة تحمل قبة جرس الكنيسة الذي كانت تحركه العواصف الهوجاء فيدق ويزرع الرعب في قلوب اهل المنطقة. وفي الوسط اخيراً برج ضخم يتألف من ثلاث طبقات.

وتحيط بالطبقة الاولى منه شرفة مستديرة. كما تحيط بسطح البرج متاريس محصنة ينتصب في وسطها عمود معدني طويل يحمل في رأسه دوارة ريح غطاها الصدأ فثبتت لاخر مرة على الجهة الجنوبية الشرقية. ولكن ماذا يوجد داخل السور المهدم في عدة اماكن منه؟ وهل في داخله ابنية صالحة للسكن؟ وهل يوجد جسر متحرك يمكن من اجتياز الوادي اليه؟ وهل توجد بوابة رئيسة تسمح بالدخول؟ انها امور مجهولة لا احد يعرف عنها شيئاً منذ سنوات عديدة. فالحقيقة ان قصر «الكاربات» كان في حال افضل مما يبدو عليه من بعيد ولكن رعبا عظيماً مدعوماً بايمان عميق بالخرافات جعل الاهالي يبتعدون عنه. واستطاع هذا الرعب ان يحمي القصر افضل مما فعلته في الماضي كل الاسلحة والمدافع القديمة.

ومع ذلك فان قصر «الكاربات» كان يستحق ان يزوره السياح وتجار التحف وان موقعه على مرتفعات «الاورغال» جميل جداً. فاذا وقفت على سطح البرج امتد نظرك الى الجبال البعيدة فترى السلسلة العليا منها التي تتشعب بزهو وكبر حتى تبلغ حدود «الفالاشي». اما امامك في عمق الوادي فترى طريق «الفولكان» المتعرج وهو الطريق الوحيد السالك بين المقاطعات المتلاحقة. ثم في البعيد البعيد تداخل رائع لمنحدرات الجبال المشجرة في سفحها، الخضراء في وسطها والجرداء في قممها تعلوها رؤوس جبال «الراتيازات» التي يرتفع الفين وخمسمئة متر عن سطح البحر وجبال «البارينغ» التي ترتفع حوالي الفين واربعمئة متر. وفي عمق ذاك الوادي السحيق كانت تصب مياه النهرين في بحيرة كونتها الانخفاضات الارضية وقد تحولت اليوم الى منجم لاستخراج الفحم الحجري بعدما وجد النهران طريقاً اخر عبر سلسلة الجبال. فباتت المداخن القرميدية العالية تختلط باشجار الصنوبر والزان والحور الباسقة. والدخان الاسود يفسد الهواء الذي كان مشبعا في الماضي بعطر الاشجار المثمرة والازهار. ورغم ان الصناعة في ذلك العصر كانت قد احكمت قبضتها على تلك المنطقة المليئة بالمناجم، فان تلك

المنطقة لم تفقد طابعها الريفي الخام الذي منحتها اياه الطبيعة.

يعود بناء قصر «الكاربات» الى القرن الثاني عشر والثالث عشر للميلاد. ففي ذلك الوقت كانت الاديرة والكنائس والدور والقصور تتحصن باعتناء كلي مثلما كانت تفعل الدساكر والقرى لانه كان على الاقطاعيين كما هو على الفلاحين ان يحموا انفسهم ضد اي اعتداء. وهذا الامر يفسر لماذا يبدو القصر بسوره القديم وحصونه وبرجه وكأنه قلعة اقطاعية حاضرة ابدا للدفاع وصد الهجمات؟ من تراه المهندس الذي صممه وبناه على هذا المكان العالي من هذه الهضبة؟ ان هذا الفنان الجريء مازال مجهولا الا اذا كان ذلك الروماني «مانولي» الذي تغنت بامجاده اساطير «الفالاك». وبنى في «كورتس درجيس» ذلك القصر الشهير «لرودولف الاسود». واذا كانت هناك من شكوك حول هندسة هذا القصر فليس من شك اطلاقا حول السلالة التي كانت تسكنه. فسلالة «دي غورتز» كانت تحكم تلك المنطقة منذ قديم الزمان. واشتركت في الحروب التي اغرقت بالدم المقاطعات «الترانسيلفانية». وقد ذكرتهم بوضوح القصص والاغاني الشعبية التي تذكر بتلك الحروب المشؤومة.

ولقد اتخذوا شعارا لهم المثل القائل: «اعط حتى الموت» وقد اعطوا بسخاء وبذلوا دماءهم في سبيل الاستقلال متباهين باصلهم الروماني. ولكن رغم كل هذه التضحيات والجهود فقد خضع هذا الشعب الشجاع لاسوأ انواع الضيق والطغيان. وزال وجودهم السياسي ولكنهم لم ييأسوا ابدا من رفع نير الظلم عنهم وآمنوا دائماً ان المستقبل لهم وظلوا يرددون بثقة تامة المثل الروماني المعروف «الروماني لن يهلك».

وكان البارون «رودولف» اخر ممثل لسلالة «دي غورتز» في منتصف القرن التاسع عشر. وقد ولد هذا البارون في قصر «الكاربات» وشاهد عائلته تضمحل وهو مازال في اوائل شبابه. حتى وجد نفسه وحيداً وهو في الثانية والعشرين. حيث سقط اهله الواحد بعد الاخر سنة بعد سنة كما تتساقط اغصان شجرة الزان القديمة التي يتعلق مصير القصر بمصيرها حسبما ورد في الخرافات الشعبية. ووجد البارون رودولف نفسه وحيداً بلا اهل ولا اصدقاء فراح يفكر في كيفية ملء الفراغ الذي تولده تلك الوحدة الرهيبة التي خلفها الموت حوله! ماكان ذوقه؟ مانوع رغباته؟ ماكفاءاته؟ مامن احد كان يعرف عنه شيئاً الا ميلا للموسيقى لايقاوم خصوصاً الى غناء كبار

الفنانين في ذلك العصر. وفي احد الايام اختفى البارون رودولف تاركا القصر الخرب في عهدة عدد من الخدم المسنين. وقد عرف عنه فيما بعد انه خصص ثروته الطائلة كي يجوب اهم مراكز الغناء في اوروبا فيحضر مسارح المانيا وفرنسا وايطاليا حيث كان يشبع بعضاً من نهمه اللامتناهي للموسيقى والغناء. هل كان غريب الاطوار كي لانقول مهووساً؟ لان تصرفاته الغريبة تحمل على الاعتقاد بذلك ولكن ظلت ذكرى بلاده محفورة في قلبه. ولم ينس هذا البارون الشاب وطنه الترانسيلفاني رغم اسفاره وتنقلاته. وقد عاد مرة ليشارك في الثورة الدموية التي قام بها الفلاحون الرومانيون ضد الطغيان المجري. ولكن احفاد «الرومانيين» هزموا وتقاسم المنتصرون المجريون ارضهم. وهذه الهزيمة دفعت بالبارون الى ترك القصر نهائياً وكانت عدة اجنحة منه قد تهدمت وسرعان ماغيب الموت بعد ذلك اخر خدم قصر «الكاربات» فاهمل القصر بصورة كلية.

اما البارون «دي غورتز» فقد سرت اشاعة تقول انه انضم مدفوعا بوطنيته الى احد قطاع الطرق الذي جعلت منه الحرب من اجل الاستقلال بطلا وطنيا. ولكنه ولحسن الحظ عاد فانفصل عنه بعد انتهاء المعارك. فالبطل

الوطني عاد ليتزعم عصابة للسرقة فالقت الشرطة القبض عليه واودع السجن مع اتباعه. الا ان رواية اخرى لاقت قبولا لدى سكان القضاء هي تقول بان البارون «رودولف دي غورتز» قتل اثناء معركة بين العصابة ورجال الجمارك على الحدود. ولكن هذه الرواية لم تكن صحيحة ابدا رغم ان البارون لم يعد الى القصر منذ ذلك الحين مما زاد في اقتناع سكان المنطقة انه مات لامحالة. الا ان التعقل والحكمة يدعواننا الى عدم تقبل مايقال ويروى الا بكثير من التحفظ خصوصاً وان شعب المنطقة ساذج يصدق الروايات بسرعة.

ولقد اصبح قصر «الكاربات» مهجوراً مسكوناً بالارواح ومراقباً بحذر. فالمخيلات الخصبة عند اهالي المنطقة جعلت الاشباح تسكنه والعائدين من القبور يظهرون فيه والارواح تعود اليه في ساعات الليل. هكذا كانت تجري الامور في عدد من البلدان الاوروبية التي كانت لاتزال تؤمن بالخرافات في ذلك العصر وتأتي البلاد الترانسيلفانية في مقدمتها.

ومن اين إذاً لاهالي قرية «ورست» الترنسلفانية ان يكفوا عن الاعتقاد بالاحداث الفائقة الطبيعة؟ فالكاهن الذي يرشد المؤمنين، والمعلم الذي يهتم بتربية الاولاد

كانا يرويان هذه القصص الخرافية بوضوح تام ينم عن اعتقادهما الراسخ بما جاء فيها كما كانا يؤكدان بالاستناد الى ادلة وبراهين ان الغول يسرح ويمرح في الحقول وان مصاصي الدماء يشربون من دم البشر وان ارواحاً تنتقل بين الخرائب والاماكن المهدمة. وقد تتحول هذه الارواح الى ارواح مؤذية اذا لم يؤمن لها الطعام والشراب كل ليلة، وهل من مكان صالح ومؤهل ليكون منبعاً لكل هذه الاساطير والخرافات الرومانية مثل قصر «الكاربات»؟ فهذا القصر القائم على تلك الهضبة المنعزلة لايمكن الوصول اليه الا عبر الجهة الشمالية لممر «الفولكان».

وانه ولاشك يأوي التنين والجن والعفاريت وربما بعض ارواح آل «الغورتز» العائدة من القبور. ومن هنا جاءت تلك السمعة السيئة والمبررة بنظر سكان الجوار. اما زيارة هذا القصر فقد كانت مجازفة لايفكر احد في ركوبها. فقد كان ينشر حوله ذعراً كالوباء المعدي او كمستنقع قذر يخرج منه بخار عفن نتن. فمن يتجرأ على الاقتراب منه مسافة ربع ميل يجازف بحياته في هذه الدنيا وبخلاصه في الآخرة. وكل هذا كان يعلم بسهولة وعفوية في مدرسة الاستاذ «هرمود» في «ورست». غير ان هذه

الهالة حول قصر جبال «الكاربات» كانت ستنتهي حسب الاسطورة عندما يتهدم هذا القصر ولا يبقى فيه حجر على حجر ولذا فان وجود هذا القصر مرتبط حسب اعتقاد وجهاء قرية «ورست» بوجود شجرة الزان القديمة التي كانت اغصانها تتلوى على حصن الزاوية القائم عن يمين السور الخارجي للقصر.

ومنذ رحيل البارون «رودولف دي غورتز» عن القصر وهذه الشجرة تفقد كل سنة واحداً من اغصانها الرئيسة. فأهل القرية يؤكدون ذلك وخصوصاً الراعي «فريك». وعندما شوهد البارون «دي غورتز» لاخر مرة على سطح البرج كان في جذع شجرة الزان هذه ثمانية عشر غصناً رئيساً. واليوم لم يعد في الجذع سوى ثلاثة اغصان وكلما سقط غصن من اغصانها نقصت سنة من عمر القصر. وسقوط اخر غصن حسب الاسطورة سيؤدي الى زوال القصر بصورة نهائية وكاملة. وعندئذ سيفتشون عبثا فوق هضبة «الاورغال» عن بقايا قصر جبال «الكاربات». وهذه الرواية ليست الا واحدة من تلك الاساطير التي تولد بسهولة في مخيلات الرومانيين. ولكن هل صحيح ان شجرة الزان القديمة كانت تفقد كل سنة غصناً من اغصانها؟ هذا ما لم يثبت تماما رغم ان الراعي

«فريك» لم يكن يتردد ابدا في تأكيده. فالقصر كان لايغيب عن نظره كلما كان قطيعه يرعى في مراعي وادي «السيل».

لم يكن الراعي «فريك» مصدر ثقة بشكل عام بالنسبة لاهالي «ورست» بوجهائها وفلاحيها. ورغم ذلك لم يشك احد منهم بانه لم يبق للقصر في الوجود اكثر من ثلاث سنوات لانه لم يبق في جذع شجرة الزان سوى ثلاثة اغصان.

وكنا قد تركنا «فريك» بعدما رأى الدخان يتصاعد من برج القصر يسرع مع قطيعه نحو القرية لينقل الى اهالي «ورست» الخبر الضخم. انه حقا خبر ضخم بالفعل.. دخان يتصاعد من برج القصر.. وما لم يستطع «فريك» رؤيته بعينيه رآه بواسطة الالة التي اعطاه اياها البائع المتجول. ولم يكن ذلك بخاراً. بل كان دخاناً يتصاعد ويختلط بالغيوم. ولقد كان فريك متأكداً من ذلك كل التأكد. ولكن القصر مهجور منذ زمن بعيد ولم يحاول احد دخول بوابته الكبيرة لانها مقفلة بلا شك. ولا حاول احد عبور جسره المتحرك لانه مرفوع بكل تأكيد. فاذا كان القصر مسكوناً فلا يمكن ان يكون فيه سوى مخلوقات تفوق بطبيعتها الطبيعة الانسانية. ولكن لاي غرض تشعل تلك الارواح النار في احد مساكن البرج؟ أتكون

هذه النار في احدى الغرف ام في المطبخ؟ هذا مالم يستطع احد تفسيره.

كان «فريك» يدفع قطيعه دفعا مستعجلا للوصول الى الزريبة. وكانت كلابه تطارد القطيع وسط الغبار الممتزج برطوبة المساء وبعض الفلاحين الراجعين متأخرين من مزارعهم كانوا يلقون عليه التحية لكنه يكاد لايرد تحيتهم. وكان هذا الامر يقلقهم لانه لايكفي ان يلقوا التحية على الراعي ليسلموا من سحره بل يجب ان يرد على هذه التحية بمثلها فيطمئنوا الى انه لن يؤذيهم. لكن «فريك» كان يبدو قليل الميل الى رد التحية. فعيناه باهتتان وحالته فريدة غريبة وحركاته غير منتظمة. فلو خطفت الذئاب والدببة نصف خرافه لما كان على ماهو عليه من الشحوب والضياع. ما أسوأ الخبر الذي كان عليه ان يحمله الى القرية! وكان القاضي «كولتز» اول من علم بهذا الخبر فما ان رأه الراعي «فريك» من بعيد حتى صرخ!

ـ «النار تشتعل في القصر ياسيدي.

ـ ما الذي تقوله يا«فريك»؟

ـ اقول الحقيقة ياسيدي.

ـ هل جننت؟»

والحق يقال لم يكن معقولا ان تلتهم النيران تلك

الحجارة المكدسة. فلو قلنا ان النيران تلتهم اعلى قمة جرداء في جبال «الكاربات» لكان الامر اقل غرابة من القول ان النار تلتهم حجارة ذلك القصر. لذا تابع القاضي كولتز قائلًا:

ـ «انك تتوهم ذلك يا«فريك». انك تتوهم ان القصر يحترق.

ـ اذا كان لايحترق ياسيدي فهو على الاقل يدخن.

ـ انه بعض البخار بدا لك كأنه دخان. يا«فريك».

ـ كلا انه دخان.. تعال وانظر.»

وتوجه الاثنان الى وسط الشارع الرئيس في القرية ووقفا على حافة مكان يشرف على اودية ممر «الفولكان» مما يسمح برؤية القصر بوضوح. عندها اعطى فريك المنظار للقاضي «كولتز».

بالطبع لم يكن القاضي كولتز يعرف هذه الالة اكثر من الراعي «فريك». لذلك سأله بتعجب:

ـ «ماهذا يا«فريك»؟

ـ انها الة اشتريتها لك بخمسة فرنكات ياسيدي وهي تساوي على الاقل عشرة.

ـ ممن اشتريتها يا «فريك»؟

ـ من بائع متجول.



أعطى فريك المنظار للقاضي «كولتز».

ـ ولِمَ اشتريتها يا «فريك»؟ وماذا تنفع؟

ـ ضعها باحكام على عينيك صوب القصر ثم انظر جيداً وعندها سترى».

وصوَّب القاضي المنظار باتجاه القصر وتفحصه طويلا ثم قال: «نعم انه دخان يتصاعد من احدى مداخن القصر. وبعدما انحرفت به الريح راح يزحف على منحدر الجبل».

في هذا الوقت انضم الى القاضي «وفريك» الانسة «ميريوتا» وحارس الاحراج «نيك دك» وكانا قد رجعا الى البيت منذ فترة. واخذ حارس الاحراج المنظار وسأل: لِمَ ينفع هذا؟

ـ لنرى الى البعيد يا «نيك».

ـ هل تمزح يا «فريك؟

ـ هل ترى اني امزح اذا قلت لك اني رأيتك منذ ساعة وانت تنزل طريق «ورست» وبرفقتك.. ولم يكمل جملته حتى احمرت «ميريوتا» وخفضت عينيها الجميلتين مع انه ليس ممنوعا على صبية شريفة ان تلاقي خطيبها. ثم تناوب «نيك دك وميريوتا» النظر بهذا المنظار الى القصر فيما تجمع اكثر من ستة اشخاص من الجيران. ولما علموا بالامر راحوا يتناوبون استعمال المنظار والتصويب

خصوصاً نحو برج القصر. فقال احدهم:

ـ «انه دخان... انه دخان يتصاعد من القصر».

وقال اخر:

ـ قد يكون اثر صاعقة وقعت على البرج.

عندئذ سأل القاضي «كولتز» الراعي «فريك»:

ـ هل رعدت السماء منذ وقت قصير!

ـ لم ترعد منذ ثمانية ايام. ياسيدي القاضي!!

كان هؤلاء الطيبون في حالة من الذهول ماكانوا ليبلغوها حتى لو قيل لهم ان فوهة بركان قد انفتحت منذ قليل في قمة «الراتيازات» ليخرج منها البخار من باطن الارض.

الفصل الثالث

ان قرية «ورست» قليلة الاهمية لدرجة ان اكثر الخرائط لاتشير الى موقعها اطلاقا. ومن الناحية الادارية هي ادنى مستوى من جارتها «فولكان» التي تحمل اسم قسم من جبل «البلازا» حيث تجثم القريتان.

وفي الوقت الحاضر احدث استثمار المناجم حركة تجارة مهمة في القرى المجاورة «لورست» و«فولكان» والتي تبعد عنهما بضعة اميال. الا ان «ورست» لم تستفد من موقعها القريب من ذاك المركز الصناعي وكذلك «فولكان» فهاتان القريتان هما اليوم كما كانتا منذ خمسين عاما وستبقيان كذلك ـ ولاشك ـ بعد خمسين عاما ايضاً.

قرية «ورست» ليست سوى شارع عريض يصعد بسرعة حينا ويهبط بسرعة ايضا حينا اخر مما يجعل الصعود والنزول على ذلك الشارع امرا شاقا الا انه الطريق الطبيعي بين حدود «الترانسيلفانيا» وحدود «الفالاك» حيث تمر عبره قطعان الماشية من بقر وغنم

وقوافل التجار، تجار اللحوم الطازجة والفاكهة والحبوب. كما يستعمله ايضا القليل من المسافرين الذين يغامرون في اجتياز الجبل بدل ان يسافروا في القطار. وقد انعمت الطبيعة بالكثير على تلك المنطقة الا ان السكان لم يعرفوا ابدا كيف يستفيدون من ذلك. فالقرى المجاورة التي تستفيد من مناجم الفحم الحجري باتت تعرف التجهيزات الصناعية الحديثة وترى فيها ابنية منظمة موحدة الشكل وفقا لهندسة معينة كما ترى المخازن والعنابر والتجمعات السكنية للعمال. ولكنك لن تجد ابدا شيئا من هذا في قرية «ورست» او قرية «فولكان».

اما قرية «ورست» فتتألف من ستين بيتا تتوزع بشكل فوضوي على جانبي الشارع الوحيد في القرية. سطوحها قرميدية متنوعة تتخطى دائماً الحيطان المصنوعة من التراب المدكوك*. وواجهة البيت تطل على حديقة. في كل بيت هري عال تنيره نافذة صغيرة. وقرب كل بيت مخزن اضافي للغلال واسطبل منحرف مغطى بالقش. وهنا وهناك بئر يعلوها دولاب يتدلى منه دلو. كما نجد في «ورست» بركتين او ثلاثا تتسرب المياه منها في ايام العواصف وسواقي تأخذ مجاريها عبر اخاديد ملتوية.

* دك التراب كبسه وسواه.

ولكن شكل القرية بمجمله نضر وجذاب. فهناك احواض الازهار على اعتاب الابواب والشبابيك واعشاب خضراء تغطي حيطان الاسوار. وهناك اشجار الحور والزان والتنوب(*) التي تعلو المنازل وترتفع فوقها ما امكن.

وخلف القرية تمتد سلسلة الجبال التي تنتهي بالقمم العالية حيث تختلط الوانها بزرقة السماء. ولا يتكلمون في «ورست» الالمانية او الهنغارية وانما يتكلمون الرومانية كما يفعل سكان تلك البقعة من ترانسلفانيا وبعض القبائل التي استقرت في انحاء القضاء. فتلك القبائل الغريبة تتخذ لغة البلاد لغة لها كما تعتنق دين البلاد. فالذين اقاموا منهم في «ورست» يؤلفون نوعا من العشيرة المتماسكة تحت سلطة زعيم واحد. وهم يسكنون الاكواخ الخشبية ذات السطوح المروسة. ينجبون الكثير من الاولاد ويختلفون بعاداتهم ونظام حياتهم عن العادات وانظمة الحياة التي يتبعها ابناء جنسهم من القبائل الاخرى التي تتوزع في انحاء اوروبا. فهم في ورست يعتنقون المسيحية حسب الطقس اليوناني الارثوذكسي مجاملة لاهالي المنطقة التي يعيشون فيها. فقريتا «ورست» و«فولكان» يخدمهما كاهن واحد يسكن في

* التنوب: شجر كالصنوبر ثمره يؤكل واحدته تنوبة.

«فولكان» التي تبعد مسافة نصف ميل عن «ورست»

ان الحضارة كالماء او الهواء. فحيث تجد ممراً ومهد كان ضيقاً تتسرب عبره ظروف الحياة في البلاد. ولكن لابد من الاقرار والاعتراف بان اية فجوة لم تحدث بعد عبر جدار تلك المقاطعة الجنوبية من جبال «الكاربات» ولم يتسرب اليها شيء من معالم الحضارة. لذا لا عجب ابدا ان تكون «ورست» احدى اكثر قرى القضاء تأخراً. وكيف يمكن ان تكونْ غير ذلك والانسان في تلك المنطقة يولد ويترعرع ويموت من دون ان يغادر منطقته ولو ليوم واحد. ومع ذلك يقولون ان في «ورست» معلم مدرسة وقاضياً. نعم من دون شك. ولكن المعلم «هرمود» لايمكنه ان يعلم الا مايعرفه اي قليلا من القراءة والكتابة والحساب. فثقافته الشخصية لاتذهب أبعد من ذلك. اما فيما يتعلق بالعلوم والتاريخ والجغرافية والادب فهو لايعرف سوى الاغاني الشعبية واساطير المنطقة المجاورة. وتخدمه في هذا الاطار ذاكرته القوية النادرة. انه متمكن من الاخبار الخرافية الوهمية وتلاميذ القرية يستفيدون كثيرا من امثولاته في هذا المجال. اما القاضي فلابد أولاً من الاتفاق على معنى ذلك اللقب المعطى للقاضي الاول في «ورست». السيد «كولتز» فقد كان قصير القامة، روماني الاصل،

يبلغ الخامسة والخمسين او الستين من العمر. وشعره كأنه محلوق وبدأ الشيب يتسرب اليه بينما مازال شارباه على سواد اما عيناه فتميلان الى النعومة اكثر منها الى الحدة وله بنية متينة صلبة ككل جبلي ويعتمر قبعة عريضة من الجوخ. ويلف خصره بحزام واسع ذي حلقات مزخرفة على البطن ويرتدي سترة بلا اكمام وسروالا قصيرا نصف منتفخ ينتهي طرفاه في جزمة جلدية عالية. كان بمثابة المختار اورئيس البلدية اكثر منه قاضياً على الرغم من انه كان يقوم بوظيفته مجبرا على التدخل لحل الخلافات بين الجيران. وكان يهتم بشكل خاص بادارة شؤون القرية بسلطة وحزم ولكن ليس من دون مداخيل تملأ كيسه. فكل العمليات التجارية بيعاً وشراء كانت تخضع لضريبة لحسابه عدا ماكان يدفعه السياح والتجار والاجانب كرسم عبور او مرور. وهذا المركز المدرار جعل السيد «كولتز» في يسر ورضا. واذا كان معظم فلاحي القضاء يرزحون تحت الفوائد التي ستجعل من المقرضين الاصحاب الحقيقيين للارض، فان القاضي «كولتز» عرف كيف يتخلص من جشع هؤلاء المقرضين اذ كانت املاكه حرة من كل رهن او ارتهان ولم يكن مديناً لاحد بشيء بل كان يقرض ولا يقترض واذا اقرض احداً

من الشعب فلا يسلخ جلده ولا يظلمه. وكان يملك عدة مراع خصبة ترعى فيها قطعانه ومساحات مزروعة بعناية ظاهرة ولو باساليب وطرق قديمة، وكروما من العنب كانت مدعاة فخر له واعتزاز خصوصاً حين كان يتنزه بين الدوالي المثقلة بالعناقيد. وكانت هذه الكروم تدر عليه ارباحا وافرة عدا مايحتفظ به من غلالها لحاجته الشخصية. وغنيّ عن القول ان منزل السيد «كولتز» هو اجمل بيوت القرية فهو يقع على طرف الساحة التي يجتازها الشارع الطويل الصاعد. وحيطان منزله من الحجر المقصوب وواجهته تطل على حديقة فسيحة. وبابه الرئيس يقع بين النافذة الثالثة والرابعة. كما تحيط بالمنزل شجيرات خضراء واعشاب مطرزة ومزركشة. وامامه شجرتا زان تتفرع اغصانهما فوق سطحه. وخلف المنزل بستان زرعت فيه شتول الخضار بشكل هندسي جميل وتمتد فيه صفوف اشجار الفاكهة حتى منحدر الوادي.

ويتألف البيت من عدة غرف جميلة ونظيفة، منها ماهو مخصص لتناول الطعام، ومنها ماهو مخصص للنوم. ومفروشاتها كاملة مطلية طلاء حسناً. فهنا وهناك الطاولات والكراسي والمقاعد والأسرة والخزائن المخصصة للاواني المنزلية التي تلمع، الخزائن الضخمة

المغطاة بالقماش. وتتدلى من السقف ثريات مزينة باشرطة ذات الوان صارخة. واخيراً تجد على الجدران البيضاء الرسوم المزخرفة الملونة لعدد من الابطال الوطنيين الرومانيين.

وهذا البيت الرائع كبير جدا بالنسبة لرجل يعيش وحيدا. ولكن السيد «كولتز» ليس وحيدا. انه ارمل منذ عشر سنين وله ابنة جميلة اسمها «مريوتا» هي موضع اعجاب الجميع من قرية «ورست» الى قرية «فولكان» وحتى ابعد منهما. وكان يمكن ان تسمى بارفع واجمل اسم من الاسماء المشرقة في عائلات «الفلاك» ولكنها تدعى «مريوتا» اي النعجة الصغيرة.

ولكن «النعجة الصغيرة» كبرت اليوم واصبحت صبية ظريفة في العشرين من عمرها. شقراء ذات عينين سوداوين. ونظرها عذب ناعم. وقسمات وجهها ساحرة وشكلها جذاب. وكان هناك اكثر من سبب لتبدو جذابة الى هذا الحد. فهي ترتدي قميصاً مطرزاً بخيط احمر عند العنق والمعصمين والكتف. وتنورة مشدودة على الخصر بحزام له قفل سحاب من الفضة. اما بردتها بخطوطها الزرقاء والحمراء فمعقودة على خصرها. وحذاؤها صغير من الجلد الاصفر. وتضع منديلا ناعماً رقيقاً على رأسها

فيما شعرها الطويل يتموج بجديلته التي تنتهي بشريط مزين او بقطعة معدنية.

حقاً، انها صبية جميلة وغنية بالنسبة لهذه القرية الضائعة في عمق جبال «الكاربات». وهي كذلك سيدة منزل تدير منزل والدها بذكاء. اما ثقافتها فقد حصلت عليها في مدرسة المعلم «هرمود». فلقد تعلمت القراءة والكتابة والحساب. وصارت تقرأ وتكتب وتحسب بدقة ولكنها لم تتعمق اكثر. وبالمقابل لايستطيع احد ان يتفوق عليها بكل ماله علاقة بالقصص الخرافية الاسطورية الترانسلفانية. لانها تعرف منها بقدر مايعرف معلمها فهي تعرف اسطورة صخرة العذراء التي تدور حول صبية تنجو من ملاحقة المتوحشين. واسطورة مغارة التنين واسطورة القلعة التي بناها الجن. واسطورة الجبل الذي ضربته الصواعق واصبح شبيها بالكمان الضخم يعزف عليه الشيطان في الليالي العاصفة. واسطورة جبال «الراتيازات» التي حلقت الساحرة قمتها فاصبحت جرداء. واسطورة مضيق بين جبلين شقه احد القديسين بسيفه. وكانت «مريوتا» تصدق بل تؤمن بكل هذه الاساطير ولكنها كانت مع ذلك صبية رائعة ولطيفة كما كانت تعجب الكثيرين من الشباب من دون ان يأخذوا

بعين الاعتبار انها الوريثة الوحيدة للسيد «كولتز» القاضي الاول في «ورست». وعلى كل حال كان من العبث ان يتودد اليها احد فهي مخطوبة «لنيقولا دك».

و«نيقولا دك» شاب روماني وسيم يعرف «بنيك دك» يبلغ الخامسة والعشرين طويل القامة، قوي البنية، مرفوع الرأس باعتزاز، اسود الشعر الذي تغطي بعضه قبعة بيضاء. نظره ومظهره مريح تحت سترة من جلد الخروف مطرزة وينتصب على ساقين نحيفتين كساقي الغزال. ويمشي بخطى ثابتة وحركاته توحي بالحزم كما انه حارس احراج، اي رجل عسكري بقدر ماهو مدني. وكان يعجب الاب لانه يملك بعض الاراضي الزراعية حول «ورست». وكما كان يعجب الفتاة لانه شاب لطيف شهم. ولم يكن «نيك دك» ليرضى بان ينازعه احد حبَّ مريوتا ولا يرضى بأن يتفرس فيها احد عن قريب. وعلى كل حال ماكان احد ليفكر بذلك. وكان مقرراً ان يحتفل بزواج «نيك دك» من «مريوتا» خلال خمسة عشر يوما اي حوالي منتصف الشهر المقبل. وستكون القرية في عيد بهذه المناسبة. فالسيد «كولتز» سيدبر ويرتب الامور على احسن مايرام. ولم يكن ابدا بخيلا. واذا كان يحب جمع المال فهو لايتأخر عن انفاقه في الوقت المناسب.

اما بعد الـزواج فسيسكن «نيك دك» في بيت عمته «كولتز» الذي سيصبح لـه بعد مـوت القاضي وهكذا سيكون الى جانب «مريوتا» التي تتسلح بوجوده قربها فلا تخاف من ظهور الاشباح، متأثرة باساطيرهـا المفضلة كلما سمعت أنّة باب او ضجة ما في ليالي الشتاء الطويلة.

واخيراً لنكمل لائحة وجهاء قرية «ورست» وعنـدها لابـد من التعرف الى اثنـين اخرين لايقـلان اهمية من غيرهما وهما المعلم والطبيب.

فالمعلم «هرمود» كان رجلاً بدينا يضع نظـارات على عينيه، له من العمر خمسة وخمسون عامـاً يحمل بـين أسنانه دائماً غليوناً فرنه من الخزف الصيني ويتميـز المعلم «هـرمود» بشعـره القليل المشعث فـوق جمجمة مسطحة، وبوجهه الامرد مع حركة عضلية كثيرة التكرار في خده الايسر.

وكان بَرْيُ اقلام التلاميذ شغله الشاغل والاهم. فهو يمنعهم من استعمال الريش المعدنية انطلاقاً من مبدأ ثابت. وكم كان يـدبب رؤوس الاقلام بسكينـه العتيقة المسنونة جيداً. وكم كان يحرص على دقة العمل خصوصاً حين يضرب الضربة الاخيرة على رأس القلم مغمضاً عيناً وفاتحاً اخرى.

وكان الخط الجميل اهم شيء عنده حيث يبذل في سبيل ذلك كل جهوده. وبرأيه ان المعلم الناجح هو الذي يحرص على ان تكون خطوط تلاميذه حسنة.

اما العلم والثقافة فلا يأتيان الا في الدرجة الثانية بعد الخط. وقد علمنا مايعطي المعلم «هرمود» تلاميـذه كما علمنا مايتعلمه هؤلاء على يده.

والان يأتي دور الطبيب «باتاك». وقد يسأل المرء كيف يحدث ان يبقى اهل «ورست» على اعتقادهم بالخرافات والاحداث المعجزة في الطبيعـة ذات الطابـع السحري الخارق وفي قريتهم طبيب مثقف متعلم. وهـذا صحيح ولكن لابد من التوضيح حول لقب «طبيب» الذي يحمله «باتاك»، كما فعلنا بالنسبة للقب «قاضٍ» الذي يحملـه «كولتز».

ان «بـاتاك» رجـل ناتىء البطن، بـدين، قصـير، في الخـامسة والاربعـين يزاول الطب العـادي علانيـة في «ورست» والجوار. يثق بنفسه ثقة لاتتزعزع ويبالـغ في الثرثرة حتى الازعاج. وكان يوحي بثقة اضعف مما كان يوحي بها الـراعي «فريـك». وكان يبيـع الاستشارات الطبية والادوية التي ماكانت لتضر او تنفع مرضاه الذين كانوا يشفون من تلقاء انفسهم وعلى كل حال فالمناخ جيد

في منطقة ممر «الفولكان»، والاوبئة غير موجودة. واذا مات احدهم فلأنه لامفر من الموت حتى في تلك المنطقة المميزة من الترانسلفانيا. اما «باتاك» ولو كانوا يلقبونه بالطبيب ويرضون به كما هو فانه لم يكن يتمتع بأية ثقافة او علم بالطب او الصيدلة او اي شيء اخر. بل كان فقط وبكل بساطة ممرضاً سابقاً في المحجر الصحي يقتصر عمله على مراقبة المسافرين الذين يحجزون على الحدود للحصول على الشهادة الصحية قبل الدخول الى البلاد. ويبدو، ان هذا كان كافيا بالنسبة لاهالي «ورست» غير المتعلمين. ويجب ان نزيد اخيراً، ومن دون ان يفاجىء الامر احدا، ان الطبيب «باتاك» كان ذا عقل راجح كما يقتضي ان يكون كل من يعنى بتطبيب الناس. وكذلك لم يكن ليصدق الخرافات الشائعة في منطقة «الكارابات» حتى تلك التي تتعلق بالقصر. حيث كان يضحك ويسخر منها. وعندما يقال امامه ان احدا لم يجرؤ على الاقتراب من القصر منذ زمن بعيد جدا كان يعلق قائلاً: «حذار ان تتحدوني فأذهب لزيارة قصركم العجوز». ولكن بما انهم لم يتحدوه وكانوا يتجنبون ذلك فان الدكتور «باتاك» لم يذهب ابدا الى قصر «الكاربات» الذي ظل مغلفاً بسر غامض غريب يساعد على ذلك سذاجة اهل المنطقة وسرعة

تصديقهم لما يسمعون.

الفصل الرابع

وفي عودة الى الخبر الذي حمله الراعي فريك فقد انتشر خلال دقائق في كل القرية ان السيد «كولتز» عاد الى منزله حاملا المنظار الثمين وبرفقته «نيك دك» و«مريوتا».

اما الراعي «فريك» فقد بقي في الساحة المشرفة يحيط به اكثر من عشرين شخصاً بين رجل وامرأة وولد. وقد انضم اليهم عدد من الغجر الذين لم يكونوا اقل تأثراً بالخبر من اهالي «ورست». وكان هذا الجمع يحيط «بفريك» ويلح عليه بالاسئلة. وكان الراعي يجيب بجدية ووقار رجل شاهد منذ بعض الوقت حدثاً عجيباً غير مألوف. وكان يردد باستمرار:

ـ «نعم ان الدخان كان يتصاعد من القصر وهو يتصاعد الان منه وسيبقى يتصاعد مابقي في القصر حجر على حجر».

وسألته امرأة عجوز: «من ذا الذي اشعل هذه النار

فيه»؟

فاجاب «فريك»: «انه الشيطان وهو ماكر موذ يعرف جيدا كيف يغذي النار بدل ان يطفئها».

وازاء هذا الجواب المتكرر كان كل واحد منهم يحاول ان يرى الدخان المتصاعد من اعلى البرج. وانتهى الامر بغالبية المتجمعين الى التأكيد على رؤية الدخان المتصاعد بوضوح تام رغم استحالة الرؤية بسبب المسافة التي تفصلهم عن القصر.

ان الامر الذي تركته هذه الظاهرة الفريدة فاق كلّ تصور. ولابد من التوقف عند هذا الامر. فعلى القارىء ان يضع نفسه في موقع فكري مماثل لاهالي ورست. وعندها لن تدهشه الاحداث التي ستتبع. وانا لااطلب منه ان يؤمن بما يفوق الطبيعة ولكن عليه ان يتذكر دائماً ان هذا الشعب الجاهل يؤمن بذلك بلا تحفظ. فاذا اضفنا الذعر الذي يحدثه كون القصر مسكونا الى الريبة التي كانت تحوم حوله عندما كان الاهالي يعتقدونه خاليا. فهمنا الحالة النفسية التي كان اهالي «ورست» يعيشونها. وكان الله في عونهم ولقد كان في ورست مكان يتردد اليه شاربو الخمرة والبعض ممن يحبون التحادث عن اشغالهم بعد نهار عمل طويل. وكان هذا المكان مفتوحا للجميع. وهو

افضل نزل في القرية او قل النزل الوحيد فيها. فمن كان صاحب هذا النزل؟ انه «جوناس». وهو رجل طيب في الستين من عمره. وجهه جذاب وعيناه سودوان وانفه معوج وشفته طويلة وشعره املس ولحيته تقليدية. وكان مفرطاً في المجاملة خدوما. ويقرض مبالغ قليلة من المال لهذا او لذاك من دون ان يكون متطلبا للضمانات ولا مرابيا يبغي الفوائد ولكنه كان حريصا على ان يستوفي ماله في التاريخ المتفق عليه بينه وبين المقترض. وهذا النزل هو نزل «الملك ماتياس». وكان يحتل احدى زوايا الساحة التي يمر فيها شارع «ورست» ويقع مقابل منزل السيد «كولتز» وهو مبنى قديم. نصفه من خشب ونصفه الاخر من حجر. ومرمم في عدة اماكن منه ولكنه مغطى بالعشب الاخضر ويظهر بمظهر مغرٍ وجذاب. ويتألف من طابق واحد وله باب زجاجي يفتح صوب الساحة حيث تدخل اولا الى صالة كبيرة يتألف اثاثها من طاولات توضع عليها الاقداح ومقاعد يجلس عليها الشاربون، وخزانة من خشب السنديان تنخرها السوس تلمع في داخلها الصحون والاوعية والقوارير، واخيرا المَسْقَى وهو طاولة مستطيلة بشكل صندوق صنع من الخشب الاسود. وكان «جوناس» يقف بين الخزانة والمسقى متأهباً لخدمة

عملائه.

اما كيف كانت هذه الصالة تستقبل النور؟ فهنا نافذتان تخرقان الواجهة لناحية الساحة. وهناك في المقابل نافذتان اخريان تخرقان الجدار الخلفي. واحدى هاتين النافذتين في الجدار الخلفي كانت مغطاة بستار كثيف من النباتات المتسلقة او المتدلية مما جعلها شبه مسدودة فلا يمر خلالها سوى قليل من النور بينما النافذة الاخرى من الجدار الخلفي كانت اذا فتحت تسمح للنظر بالشرود حتى القسم الاسفل من وادي «الفولكان». وتحت النافذة مباشرة تجري مياه نُهَيْر «النياد» الصافية. وهذا السيل ينحدر من اعالي سلسلة «الاورغال» التي تكللها ابنية القصر وتغذيه سواقي الجبل حتى في فصل الصيف. ثم يتجه مزمجراً نحو مجرى نهر «الفالاك». وعن يمين الصالة الكبرى في النزل ست غرف صغيرة تكفي لايواء المسافرين القلائل الذين كانوا يأخذون قسطاً من الراحة في نزل «الملك ماتياس» قبل اجتياز الحدود. وكان هؤلاء المسافرون يجدون دائماً استقبالا حاراً واسعاراً متهاودة عند صاحب النزل السيد «جوناس» المصغي، اللطيف، الخدوم الذي كان يخزن اجود اصناف التبغ الموجود في الاسواق المجاورة. اما

غرف نوم السيد «جوناس» فكانت ضيقة تطل من خلال منورها المعوج على الساحة.

وفي هذا النزل وفي مساء التاسع والعشرين من ايار عقد اجتماع ضم وجهاء واعيان «ورست». السيد «كولتز» والمعلم «هرمود» وحارس الاحراج «نيك دك» وحوالي اثني عشر من ابرزسكان «ورست» وكذلك الراعي «فريك» الذي لم يكن اقل الحضور اهمية. وقد غاب، عن اجتماع الاعيان هذا، الدكتور «باتاك» الذي طلب على عجل لمعاينة احد عملائه القدامى الذي كان ينتظر قدومه اليه ليرحل الى العالم الاخر. لكن الدكتور «باتاك» وعد بانه سينضم الى الاجتماع حالما تصبح عنايته غيرذات جدوى للمتوفى.

وبانتظار عودة المرض السابق كان المجتمعون يبحثون في حدث الساعة الخطير. ولكنهم لم يكونوا يتحدثون من دون اكل وشرب فقد كان «جوناس» يقدم لهم نوعا من العصيدة او حلوى الذرة المعروفة تحت اسم «ماما ليغا» والتي لم تكن سيئة الطعم حين تبلل بالحليب الطازج. كما كان يقدم لهم عدة اقداح صغيرة من تلك المشروبات الحادة التي كانت تجري كالماء في حلوق الرومانيين. فمشروب «الشنابس» لايكلف القدح منه ربع

فلس، وكـذا مشروب «الراكيـو» المستخرج من عصير الخوخ والذي ينتج بكميات كبيرة في بلاد «الكـاربات». وكان من عادة السيد «جوناس» الا يقدم الشراب الا للذين يجلسون حول الطاولات، انه لاحظ بوضوح ان العملاء الجالسين يستهلكون كميات اكثر من العملاء الواقفين. ولكنه في تلك الليلة كان يحمل الابريق متنقلا بين العملاء الذين كانوا يتنازعون المقاعد. فيملأ الاقداح التي كانت تفرغ بلا حساب. كانت الساعة تشير الى الثامنة والنصف مساء. والمجتمعون في نـزل «الملك مـاتياس» يتبـادلون الخطب باطناب منذ الغروب دون التوصل الى الاتفاق على مايجب عمله.

ولكن هؤلاء الناس الطيبين كانوا مجمعين على النقطة التالية: اذا كان قصر الكاربات مسكونـا ونجهل هـوية الساكنين فيه فانه بات يشكل خطرا على قرية «ورست» كما لو كان مخزن بارود على مدخل مـدينة. امـا السيد «كولتز» فاعتبر الامر خطير جـدا بينما المعلم «هـرمود» استغل الفترة الفـاصلة بـين فجتين من غليـونه الـذي لايفارقه وردد: خطير جدا. وردد معه الحاضرون جميعا: خطير جدا.

واكـد السيد «جـوناس» ان سمعـة القصر السيئـة

صارت ضررا كبيرا بالمنطقة.

واعتبر المعلم «هرمود» ان الامر سيكون مختلفا من الان وصاعدا.

كما علق السيد «كولتز» بالقول: «ان الاجانب ماكانوا يأتون الا نادرا لزيارة المنطقة».. وقـاطعه «جـوناس»: «والان لن يأتوا ابـداً». وامتزج كـلام السيد «كـولتز» و«جوناس» بتنهيدتين عميقتين متتاليتين.

واعتبر احد الشاربين ان عددا من السكان بدأ يفكر في ترك المنطقة. واجاب احد الفلاحين الساكنين في الجوار: «انا اول الراحلين. وساغادر فور انتهائي من بيع محصول العنب عندي». فاجابه صاحب الحانة: «انك لن تجد من يشتريها ياعزيزي».

وحـين نلاحظ ـ طبعـا ـ مابلغـه الحوار بـين هؤلاء الوجهاء الاكارم ندرك لماذا امتزج رعبهم مما يحيط بقصر «الكاربات» مـع شعورهم بـالضرر اللاحق بمصـالحهم الشخصية من جراء مايحدث في القصر وحوله.

اذ لامسافرون ومدخول «جوناس» من النـزل يتأثـر بذلك سلبا. ولا اجانب والسيد «كولتز» يتألم لان مداخيله من رسوم المرور والعبور تتدنى تدريجياً. وليس من يفتش عن ارض في مضيق «الفولكان» والملاكون حينئذ لايجدون

من يد عونه ارضهم ولو بثمن بخس وتلك الحالة تمتد منذ سنوات مع ما تسبب من اضرار وهي الآن تنذر بالأسوا بالفعل تلك كانت الحال عندما كانت الارواح في القصر هادئة لا تتحرك ولا تظهر. فكيف ستكون الحال بعد الان اذا بدأت الارواح تؤكد وجودها من خلال اعمال محسوسة؟

واعتقد الراعي «فريك» ان عليه ان يقول شيئاً فقال بصوت متردد: ـ «ربما يجب ان...

ـ ماذا يجب ان نفعل؟

ـ يجب ان نذهب لنرى ياسيد «كولتز».

فتبادل المجتمعون النظرات ثم خفضوا عيونهم وبقي هذا الاقتراح بلا جواب. ثم استأنف السيد «جوناس» الحوار فوجه كلامه الى السيد «كولتز» وقال بصوت حازم:

ـ «ان راعيك دل على الامر الوحيد الذي يجب عمله.

ـ الذهاب الى القصر...؟

ـ نعم يا اعزائي. اذا كان هناك دخان يتصاعد من مدخنة البرج فلأن هناك ناراً مشتعلة. واذا كانت هناك نار مشتعلة فلأن يدا اشعلتها».

وردد فلاح عجوز بين الحاضرين:

ـ «يد!! أخشى ان يكون مخلبا ياسيد «جوناس». فرد

«جوناس»:

ـ يد او مخلب. لايهم يجب ان نعرف ماذا يجري هناك. ان الدخان يتصاعد من مداخن القصر للمرة الاولى منذ غادره البارون «رودولف دي كورتز»..

فتدخل السيد «كولتز» وقال:

ـ «ربما تصاعد الدخان قبل ذلك من دون ان يراه احد.

ـ هذا غير معقول ابدا ياسيد «كولتز».

ـ بالعكس انه امر معقول جدا يا استاذ «هرمود». فنحن ماكنا نملك منظاراً لنراقب ماكان يجري في القصر».

وكانت ملاحظة السيد كولتز في محلها. فقد تكون هذه الظاهرة تتكرر منذ زمن بعيد ولم يرها حتى الراعي «فريك» رغم حدة نظره وقوته. ومهما يكن من امر، حديثة كانت ظاهرة الدخان هذه ام قديمة، فمما لاشك فيه ان مخلوقات بشرية تقيم حاليا في قصر «الكاربات». وهذا الواقع يشكل جواراً مقلقاً ومزعجاً لسكان قريتي «الفولكان» و«ورست».

اما المعلم «هرمود» فاعتبر ان عليه ان يدعم رأيه ويعترض ويسجل موقفاً فقال:

ـ لا اعتقد يا اصدقائي بامكانية وجود مخلوقات بشرية داخل القصر. لماذا تلجأ هذه المخلوقات الى القصر؟ ولاي

هدف؟... وبأية نية؟ وكيف تمكنت من الوصول اليه؟

ـ وماذا تريد ان يكون هؤلاء الدخلاء يا «هرمود»؟

ـ قد يكونون مخلوقات غير بشرية فائقة الطبيعة، ياسيد «كولتز». من قال انهم ليسوا من الارواح؟ من العفاريت؛ من تلك الجنيات التي تظهر في شكل نساء جميلات...؟

وخلال هذا التعداد للارواح والعفاريت والجنيات كانت الانظار جميعها تنتقل بين الباب والنوافذ والمدخنة في الصالة الكبرى في نزل «الملك ماتياس» وفي الحقيقة كان كل واحد من الحاضرين يتخيل ان هذا او ذاك من الاشباح التي عددها استاذ المدرسة سيظهر امام عينيه.

وجازف السيد «جوناس» في الكلام وقال: «اذا كانت هذه المخلوقات من الارواح فلا اجد تفسيراً لاشعال النار طالما انها لاتحتاج للطبخ والاكل».

فاجاب الراعي قائلا: «وشعوذتها السحرية؟... اتنسى ياسيد «جوناس» انها بحاجة الى النار لشعوذتها وسحرها».

واضاف السيد «كولتز» بنبرة لاتقبل الجدل: «طبعا... طبعا».

وقبل هذا القرار من دون اي اعتراض وبموافقة الجميع ولقد بات اكيدا ان كائنات غير بشرية تفوق

الطبيعة الانسانية اختارت قصر الكاربات مسرحا لدسائسها ومكرها وحيلها.

وحتى الان لم يشترك «نيك دك» في الحديث بل كان حارس الاحراج هذا يكتفي بالاستماع جيدا الى ما يقوله هؤلاء واولئك. فالقصر القديم بجدرانه الغامضة واصله البعيد في القدم، وشكله الاقطاعي كان دائما يثير فيه الفضول وحب الاستطلاع بقدر مايوحي له بالاحترام. وقد احس اكثر من مرة برغبة في اجتياز ساحة القصر المسورة. «فنيك دك» شجاع مقدام رغم انه ساذج كسائر سكان «ورست». ويعتقد ان «مريوتا» هي التي اقنعته بالتخلي عن مثل هذه المجازفة الخطرة. ولوكان حرا طليقا لحق له ان يتصرف على هواه، ولكنه مخطوب ولم يعد ملك ذاته. والمجازفة في خوض مغامرة كهذه تصبح ضربا من الجنون او دليل قلة اكتراث واهتمام تجاه الخطيبة.

ومع ذلك وعلى الرغم من توسلاتها كانت «مريوتا» تخشى دائما ان يضع حارس الاحراج مشروعه موضع التنفيذ. وما كان يطمئنها نسبيا ان «نيك دك» لم يعلن صراحة انه سيذهب الى القصر. فلوفعل لما استطاع احد ان يمنعه حتى خطيبته اذ كانت تعرف جيدا. انه شاب صلب وحازم لايرجع ابدا عن وعد قطعه اوكلام قاله. فاذا

قال فعل. ولو علمت «ميريوتا» اية مشاعر وافكار كانت تراود هذا الشاب في تلك اللحظة لثارت اعصابها واعتراها الذعر.

ولما كان «نيك دك» يلتزم الصمت فان اقتراح الراعي بالدخول الى القصر لم يلق التجاوب عند احد اذ من يجرؤ على زيارة قصر الكاربات ما لم يكن فقد صوابه خصوصاً وان القصر اليوم مسكون تحوم حوله الاشباح؟

وكان كل واحد من الحاضرين يفتش لنفسه عن الذرائع التي تمنعه من القيام باي عمل كان. فالسيد «كولتز» لم يعد في عمر يمكنه من اجتياز مثل هذه الطرقات الوعرة. والمعلم «هرمود» كان عليه ان يبقى في مدرسته. و«جوناس» صاحب النزل كان عليه ان يسهر على سير العمل في نزله. والراعي «فريك» لايستطيع ترك قطيعه. وسائر الفلاحين كان عليهم ان يعتنوا بحيواناتهم وتأمين المزعى لها.

لا، ان يتطوع احد للدخول الى القصر فكل واحد منهم كان يردد في سرّه: «ان الذي يتجرأ على الذهاب الى القصر قد لايعود منه ابدا».

وفي هذه اللحظة فتح باب النزل فجأة، واعترى الحاضرين ذعر شديد.

ولم يكن الداخل سوى الدكتور «باتاك» وكان من الصعب ان يحسبوه واحدة من تلك الجنيات الساحرات التي تحدث عنها المعلم «هرمود».

فبعدما فارق زبونه الحياة ـ وهذا ماكان يشرف فكره الثاقب وعبقريته ـ اسرع الدكتور «باتاك» الى الانضمام الى الاجتماع في نزل «الملك باتياس».

وما ان اطل عليهم حتى صرخ السيد «كولتز»: واخيراً ها هوذا.

وعجل الدكتور «باتاك» في توزيع التحيات على الحاضرين ثم قال ساخراً متهكماً: «ماذا ايها الاصدقاء؟ الا يزال القصر موضوع حديثكم؟ الا يزال قصر الشيطان يشغل بالكم؟ آه ايها الجبناء.. فاذا اراد هذا القصر القديم ان يدخن فاتركوه يدخن. الا يدخن المعلم «هرمود» غليونه طوال النهار؟ في الواقع ان كل المنطقة واقعة في حالة ذعر. وخلال زياراتي للمرضى لم اسمع الا كلاما في هذا الموضوع. اتعتقدون ان العائدين من القبور اشعلوا النار داخل القصر؟ ولِمَ لا؟ قد يشكون من زكام في الدماغ. ويبدو ان البرد قارس جدا داخل البرج في شهر ايار.. الا اذا كانوا منشغلين في اعداد الخبز لسكان العالم الاخر.. آه يجب ان يموت المرء هناك اذا كان حقا سيعود من بين



انه القصر ولاشك يشغل بالكم!

الاموات! وقد يكون هؤلاء خبازي السماء جاؤوا يخبزون خبزة...» وانهى الدكتور «باتاك» حديثه بلهجة ملؤها التبجح والتحدي موزعا النكات والمزحات التي لم تقع الموقع الحسن في قلوب اهالي «ورست» واذهانهم.

فتركوه يتكلم. ثم قال له السيد «كولتز».

- «هكذا، ايها الدكتور، الا تعلق اية اهمية على ما يجري في القصر؟

- ابدا. ياسيد «كولتز».

- الم تقل انك ستكون مستعدا للذهاب الى القصر اذا تحدوك ان تفعل؟

- انا؟ قالها الدكتور «باتاك» وقد ظهر عليه بعض الانزعاج من تذكيره باقواله.

- ما بالك يادكتور؟ الم تقل ذلك وتكرره؟

- بلى.. قلت ذلك ياسيد «كولتز».. قلته بلاشك.. ولكن اذا كان الامر يقتصر على القول والتكرار».

وتدخل المعلم «هرمود» قائلاً:

- «هذه المرة يجب ان تقرن القول بالفعل.

- ..... القول بالفعل؟

- نعم يادكتور. وبدلا من ان نتحداك نكتفي بان نرجوك..

- لاشك.. ياسيد «كولتز»... وياأصدقائي.. انكم

تفهمون... وتقدرون ان اقتراحا كهذا...»

وامام تردده هذا صرخ صاحب النزل:

ـ «حسناً يادكتور اذا كنت متردداً.. فاننا لانرجوك بل نتحداك.

ـ اتتحدونني؟

ـ نعم يادكتور».

وهنا تدخل السيد «كولتز»:

ـ «ياجوناس انك تبالغ. لايجوز ان نتحدى «باتاك» فنحن نعلم انه رجل يفي بوعده وينفذ كلامه وقال انه سيفعل وسيفعل. اذا لم يكن الامر الا خدمة للقرية ولكل البلاد.

ـ كيف؟ هل الامر جدي؟ اتريدون ان اذهب الى قصر «الكاربات»؟

سلسلة اسئلة طرحها الدكتور «باتاك» بعدما تحول احمرار وجهه اصفراراً. وسارع السيد «كولتز» الى القول:

ـ «لن تتمكن من اعفاء نفسك من ذلك.

ـ ارجوكم.. ياأصدقائي الطيبين.. ارجوكم.. لنفكر في الامر.. اذا شئتم..»

فاجابه «جوناس»:

ـ لقد فكرنا مليا.. يادكتور.

ـ كونوا عادلين ماذا ينفعني ان اذهب الى هناك وماذا سأجد.. سأجد بعض الناس الطيبين الذين لجأوا الى القصر وهم لا يزعجون احداً.

ـ حسناً اجاب «هرمود». اذا كانوا اناساً طيبين فليس هناك ماتخشاه من جانبهم وستكون مناسبة لتقدم لهم خدماتك.

ـ اذا كانوا بحاجة الى خدماتي... اذا طلبوا مني الذهاب اليهم.. فلن اتردد.. صدقوني. ولكن لا انتقل الى مكان من دون ان ادعى اليه. كما اني لااقوم بزيارتي مجاناً».

فرد السيد كولتز على الدكتور باتاك قائلاً:

ـ «ستقبض بدل اتعابك. ستقبض مبلغا معينا لكل ساعة.

ـ ومن يدفع؟

ـ انا ادفع.. نحن ندفع.. ندفع السعر الذي تريده». وردد الحاضرون بعد السيد «كولتز»:

ـ «ندفع السعر الذي تريده».

ولقد تبين وبصورة واضحة ان الدكتور باتاك رغم عنترياته كان لايقل جبناً عن اهالي «ورست». وبعدما كان يتخذ موقف الرجل ذي العقل الراجح الذي يرفض الاساطير والخرافات ويسخر منها، ها هوذا يجد نفسه الان مرتبكا محرجا لايستطيع ان يرفض تأدية الخدمة

التي طلبوها منه. ولكن الذهاب الى قصر الكاربا[illegible] لقاء اجر مرتفع، لايناسبه باية حال. ولذا لابد من ايجاد ذريعة.. فتوجه الى الحاضرين قائلاً:

ـ «ان هذه الزيـارة لقصر «الكاربـات» لاتجدي نفعاً. وستكـون القـريـة مـوضـوع سخـريـة ان انتـدبتني لاستكشاف القصر».

لم تجد ذريعته القبول لدى الحاضرين. ورأى المعلم «هرمود» ان ليس في الامر مجازفة او مغامرة طالما ان الدكتور «باتاك» لايؤمن بالارواح..

ـ «لا... لا أومن بالارواح».

ـ اذاً، اضاف المعلم «هرمود»، اذا لم يكونوا من الارواح العائدة من القبور فانهم ولاشك كائنات بشرية وستتعرف اليهم يادكتور.

كان تحليل المعلم هرمود منطقياً وكان من الصعب على الدكتور «باتاك» رفضه. لذلك اجاب بقوله:

ـ «حسناً «ياهرمود». ولكن اذا أُحتجزت في القصر..

ـ هذا يعني انك لقيت استقبالا حارا هناك.

ـ من دون شك يا «جوناس» ولكن اذا طال غيابي وكان احدهم بحاجة اليّ في القرية»؟

وهنا تدخل السيد «كولتز»:

ـ «اننا جميعنا بصحة جيدة هنا. ولم يعد في القرية اي مريض منذ ان اخذ زبونك الاخير جواز مروره الى الاخرة.

قال (جوناس):

ـ تكلم بصراحة. هل انت مصمم على الذهاب؟

ردّ (باتاك):

ـ في الواقع.. والحقيقة.. لا.. لست مصمماً على الذهاب. ليس نتيجة خوف ابداً.. فانتم تعرفون جيدا انني لا اؤمن بهذه الالآعيب السحرية. ولكن في الحقيقة ان الامر يبدو لي سخيفـاً بـل مثيـراً للسخـريـة.. أأذهب الى قصر «الكاربات» لان دخانا تصاعد من مدخنة البـرج؟ وقد لايكون ذلك دخانا.. وهو ليس كذلك.

ـ اذاً سأذهب انا».

وكان ذلك صوت حارس الاحـراج «نيك دك» الـذي تدخل في الحـديث للمرة الاولى. وادهش هـذا الاقتراح السيد «كولتز» فقال متعجباً:

ـ «انت... يانيك»!

ـ نعم انا «نيك دك» سأذهب الى القصر شرط ان يرافقني الدكتور «باتاك».

وانتفض الدكتور «باتاك» وسارع الى محاولة التخلص من هذه الورطة قائلاً:

ـ اتعتقد ذلك ياحارس الاحراج؟ انا ... ارى انها ستكون بالتأكيد نزهة ممتعة لنا نحن الاثنين معاً. ولكن لو كان لهذه النزهة فائدة.. لو كان بوسعنا ان نجازف.. وانت تعلم جيدا يانيك، انه لاتوجد طريق للذهاب الى القصر. وقد لانستطيع الوصول اليه.

ـ قلت انني سأذهب الى القصر. وبما اني قلت ذلك سأفعل. يادكتور.

ـ اما انا فلن اقل ذلك. يا نيك دك.

نطق الدكتور باتاك بذلك وهو يتخبط كما لو ان احدهم امسك برقبته فاجابه جوناس على الفور:

ـ بلى.. قلت ذلك»..

وردد الحاضرون:

ـ بلى بلى. انت قلت ولم يعد يعرف المرض السابق وقد حشره هؤلاء واولئك كيف يتخلص منهم. آه كم يشعر بالاسف لانه تورط في هذه المشكلة عبر تفاخره وعنترياته من دون اي تبصر او فطنة. ولم يخطر بباله يوما انهم سيحملون كلامه على محمل الجد وانهم سيطلبون منه دفع الثمن غالياً وربما حياته. والان لم يعد بوسعه ان يتهرب من دون ان يصبح اضحوكة «ورست» وان تسخر منه بلاد «الفولكان» باكملها بلا شفقة. ولذا قرر ان يواجه

سوء الطالع بطيبة القلب.

ـ لنذهب.. مادمتم تريدون ذلك. وسأرافق «نيك دك» وان كان ذلك بلا جدوى.

وصرخ الحاضرون بصوت واحد:

ـ حسنا يادكتور «باتاك» حسنا.

وتوجه الدكتور «باتاك» نحو «نيك دك» بلهجة اللامبالي محاولا عبثا ان يموه جبنه وخوفه وسأله:

ـ متى تبدأ رحلتنا ياحارس الاحراج؟

ـ غدا عند الصباح. يادكتور.

تبع هذا الكلام صمت طويل ان دلّ على شيء فانما يدل على مدى تأثر السيد «كولتز» والاخرين. وكانت الاقداح قد افرغت والاباريق ايضا ومع ذلك لم يتحرك احد للذهاب ولم يفكر احد بمغادرة الصالة الكبرى، ولا بالرجوع الى منزله رغم ماتقدم من الليل. وعندها فكر «جوناس» ان الفرصة سانحة ليقوم بدورة اخرى على اقداح الحاضرين فيملأها «بالشنابس» و«الراكيو»..

وفجأة سمع صوت مميز وسط ذلك الصمت التام وراح الصوت يتلفظ بكلماته متمهلاً: يا «نيقولا دك» لاتذهب غدا الى القصر.. لاتذهب الى القصر.. والا سيصيبك

مكروه». من ذا الذي تفوه بهذه الكلمات؟ من اين اتى ذلك الصوت الذي لم يتعرف اليه احد، هذا الصوت الذي بدا وكأنه يخرج من فم غير منظور.. ماكان ممكنا ان يكون الا صوت احد العائدين من القبور. انه صوت فائق الطبيعة انه صوت من العالم الاخر.. ولقد بلغ الذعر اوجه. ولم يعد احد يجرؤ على النظر الى الاخر. او يجرؤ على التفوه بكلمة..

اما الاكثر شجاعة بينهم فكان بالطبع «نيك دك». الذي اراد ان يعرف ما الذي يجري حقيقة. فهو متأكد ان الصوت يأتي من الصالة ذاتها وهنا اقترب من خزانة مقفلة. وفتحها.

لا احد.

ثم دخل الغرف الملاصقة للصالة الكبرى واحدة واحدة.

لا احد.

ودفع باب النزل وتقدم الى خارجه وفتش الساحة حتى الشارع الكبير في «ورست».

لا احد.

وبعد بضع لحظات غادر الجميع النزل وتركوا صاحب الحانة «جوناس» وحده فسارع هذا الى اقفال بابه اقفالا

محكما.

وفي تلك الليلة تحصن اهالي ورست في منازلهم ايما تحصين، كما لو كانوا مهددين بظهور شيء غريب خارق خيالي.

وساد الرعب القرية.

الفصل الخامس

وفي صباح اليوم التالي كان «نيك دك» والدكتور «باتاك» يستعدان حوالي التاسعة للذهاب الى القصر. وكان في نية حارس الاحراج ان يصعد مضيق الفولكان باتجاه القصر المشبوه عبر اقصر طريق.

فبعد ظاهرتي دخان مدخنة البرج والصوت الذي سمع في صالة نزل «الملك ماتياس»، لاعجب ان يكون الناس كلهم في حالة ذعر وترقب. وان بعض الغجريين بدأوا يفكرون في مغادرة المنطقة. اما العائلات في المنازل فلا حديث لها سوى هذه القضية ويتهامسون بها همسا. من يجرؤ أن ينكر فعل الشيطان في كلام التهديد الذي

وُجه الى حارس الاحراج في نزل «الملك ماتياس»؟

لقد كانوا حوالي الخمسة عشر شخصا هناك وهم من اكثر الناس جدارة بالثقة وقد سمعوا تلك الكلمات الغريبة. ولم يكن ممكنا ولا قابلا للتصديق آن تقول لهم كان ضحية اوهام وتصورات. اذ لا احد يشك في الأمر. فلقد سُمي «نيك دك» باسمه وحُذر صراحةً بأنه سيتعرض للسوء إن هو اصر على مشروع استكشاف قصر «الكاربات» والدخول اليه.

ومع ذلك فإن حارس الاحراج الشاب كان يستعد لمغادرة «ورست» من دون أن يُجبره أحد على ذلك. فمهما تكن مصلحة السيد «كولتز» في سر القصر ومهما تكن مصلحة القرية في ان تعلم ماذا يجري فيه فحياة «نيك دك» لديهم أغلى. ولقد بذلت مساع حثيثة لاقناعه بالرجوع عن كلامه والتخلي عن مغامرة الذهاب الى القصر. كما ان «ميريوتا» الحزينة، البائسة الغارقة عيناها الجميلتان بالدموع توسلت اليه مرارا أن يتخلى عن هذه المجازفة. فقبل الانذار الذي وجهه الصوت في نزل «الملك ماتياس» كان الامر خطيرا. أما بعد الانذار فأصبح عملا جنونيا. وها هو ذا «نيك دك» عشية زواجه يجازف بحياته في محاولة كهذه وخطيبته تبتهل إليه راكعة ولكنها

لا تنجح في منعه...

لاتوسلات الاصحاب والاصدقاء ولا دموع «ميريوتا» استطاعت ان تؤثر على حارس الاحراج. ولكن هذا الامر لم يفاجىء أحدا اذ كانوا يعرفون طبعه الذي لا يقبل الترويض ويعرفون صلابته بل عناده. ولقد قال إنه سيذهب الى قصر «الكاربات» ولن يثنيه عن ذلك شيء حتى التهديد الذي وجه إليه مباشرة. بل سيذهب الى القصر حتى ولو قدر له أن لا يرجع منه أبدا. وعندما حانت ساعة الرحيل، ضم «نيك دك» «مريوتا» الى صدره للمرة الأخيرة فيما كانت الصبية المسكينة ترسم إشارة الصليب بالابهام والسبابة والاصبع الوسطى حسب العادة الرومانية في تكريم الثالوث الأقدس. وتسألون عن الدكتور «باتاك» الذي أُجبر على مرافقة حارس الأحراج فانه حاول مرارا التخلص ولكن بلا جدوى. ولقد قال كل ما يمكن ان يقال. وقدم كل ما يمكن أن يقدم من اعتراضات... وأخيرا تذرع بذلك التهديد الواضح والمحذر من الذهاب الى القصر وقد سمع بوضوح تام. ولكن «نيك دك» ظل متمسكا بجواب واحد لهذه الحجة وهو أن التهديد موجه اليه شخصياً دون سواه.

وكان الدكتور «باتاك» يردد قائلا:

ـ واذا اصابك مكروه يا حارس الاحراج فهل أستطيع أن الخلاص من دون أذى.

ـ بأذى او من دون أذى فقد وعدت يادكتور «باتاك» بأنك ستأتي معي الى القصر، وستأتي لأني ذاهب.

ولما كان اهالي ورست يعرفون أن «نيك دك» لن يتراجع عن وعده فقد وافقوا على جوابه للدكتور «باتاك» لان الافضل ان لا يكون «نيك دك» وحده في تلك المغامرة.

وهكذا شعر الدكتور المغتاظ المغتم أنه لا يستطيع التراجع من دون ان يعرض مركزه في القرية للخطر ويفتضح امره وهو الذي عرف بتبجحه واعتداده بنفسه. فلم يجد بُداً من الانصياع والرضوخ ونفسُه ملؤها الخوف والهلع. ولكنه كان مصمما كل التصميم أن يستغل أية عقبة على الطريق لكي يجبر رفيقه على الرجوع على اعقابه.

وهكذا انطلق «نيك دك» والدكتور «باتاك» نحو القصر ورافقهما حتى منعطف الشارع الرئيس السيد «كولتز» والاستاذ «هرمود» والراعي «فريك» وصاحب النزل «جوناس». وهناك توقفوا جميعا وصوب السيد «كولتز» منظاره، الذي لا يفارقه، نحو القصر للمرة الأخيرة. فلم يظهر أي دخان متصاعد من مدخنة البرج وكان من

السهل رؤيته لو وجد. فالأفق صاف نقي تلك الصبيحة الربيعيّة الجميلة. فهل يمكن الاستنتاج من ذلك أن ضيوف القصر، بشراً كانوا أم لا، قد هربوا بعدما رأوا أن حارس الاحراج لم يأبه لتهديداتهم؟ وأن البعض منهم فكّر هكذا. وكان هذا التفكير سببا كافيا لدفعهم الى الاستمرار في متابعة القضية حتى الوصول الى النتائج النهائية المرضية. وتصافحوا بالأيدي ثم توارى «نيك دك» جاراً وراءه الدكتور «باتاك» خلف زاوية الممر الجبلي.

وكان حارس الاحراج يرتدي بزّته الرسمية، قبعةً مزينة بشرائط تنتهي بواقية للوجه عريضة، سترة مع نطاق يحمل خنجرا في غمده، سروالاً واسعا منتفخاً، جزمة مصفحة بالحديد، جعبة خرطوش على خصره والبندقية الطويلة على كتفه. وكان مشهورا. وبحق، أنه رام ماهر. ولما كان من الممكن أن يلتقي ارواحا عائدة من القبور او جوالين يجوبون الحدود أودُباً سيء النية فمن الأفضل أن يكون مستعدا للدفاع عن النفس.

اما الدكتور «باتاك» فقد ظن أنه مسلح حين حمل مسدسا قديما يخطيء ثلاث طلقات من خمس وفأسا اعطاه اياها رفيقه تحسبا. فقد يحتاجان إليها لشق طريقهما عبر غابات «البلازا» الكثيفة. وكان يعتمر قبعةً

جبلية عريضة تتصل أزرارها بعضها [illegible]
جزمة انعالها الحديدية كبيرة وضخمة. وما كانت هذه
العدة الثقيلة لتمنعه من الهرب اذا سنحت الفرصة. كما
تزودا، هو «ونيك»، ببعض المؤونة ليتمكنا من تمديد عملية
الاستكشاف عند الحـاجة. وبعـدما تجـاوز «نيك دك»
والدكتور «باتاك» المنعطف سارا عدة مئات من الخطوات
بمحاذاة مجرى «النياد» صاعدين ضفته اليمنى. لانهما
اذا تبعا الطريق بين وهاد تلك المرتفعات فسيبتعدان نحو
الغرب، ولذلك كان من الافضل ان يسيرا بمحاذاة مجرى
المياه فيختصران ثلث المسافة لان «النياد» ينبع من بين
رواسي هضبة «الاورغال» التي يقع عليها القصر. ولكن
الطريق على حافة مجرى «النياد» كانت مليئة بالصخور
ومزروعة بالاخاديد العميقة بحيث يستحيل عبورها حتى
عـلى المشـاة. وكـان من الضروري إذاً أن يتجهـا بخط
منحرف نحو الشمال على ان يعود نحو القصر بعد اجتياز
المنطقة السفلى من أحراج «البلازا». وكانت الناحية هي
الناحية الوحيدة التي يمكن الوصول منها الى القصر حتى
حين كان البـارون «رودلف دي غورتـز» لا يزال يسكن
القصر كان الإتصال بين قرية «ورست» وممر «الفولكان»
ووادي نهر «الفالاك» يتأمن عبر طريق فتحت خصيصا في

ذلك الاتجاه. ولكنها أهملت منذ عشرين عـاما فعطـاها
النبـات وسدتهـا الأشواك الكثيفـة وأصبح من العبث
البحث عن إيجاد أثر لها.

وقبل ترك مجـرى «النياد» العميق الهـادر بمياهـه
الغزيرة توقف «نيك دك» ليتبين وجهة سيره. لان القصر لم
يعد مرئيا. ولن يرى ثانية الا بعد اجتياز هذه الأحراج
التي يعلو بعضها بعضا على منحدرات تلك الجبال. وكان
هذا التدرج سمة جغرافية معروفة لجبال «الكاربات». لذا
صار من الصعب تحديد الاتجاه الصحيح لعدم وجـود
علامات ثابتة. ولم يبق من وسيلة توجه الا الشمس التي
كانت تلامس ساعتئذ القمم البعيـدة للجهة الجنـوبية
الشرقية.

- أترى يا حارس الاحراج؟ أترى؟ لا يوجد حتى طريق
للوصول الى القصر. أو بالاحرى لم يعد هناك طريق على
الاطلاق.

- سنجد طريقا يادكتور.

- سهل ان نقول ذلك يا «نيك».

- وسهل ان نحقق ذلك يادكتور.

- أافهم اذاً انك مازلت مصراً على مواصلة سيرك؟

فاكتفى حارس الاحراج باشارة ايجابية واخذ طريقه

عبر الاشجار. وفي تلك اللحظة احس الدكتور برغبة جامحة في العودة لكن رفيقه الذي كان يلتفت صوبه رماه بنظرة فيها من الحزم ماجعل ذلك الجبان يتخلى عن فكرته.

وكان يراود الدكتور «باتاك» بعد امل واحد. وهو ان يضع «نيك دك» في مجاهل هذه الغابات التي لاتدخل في نطاق وظيفته ولم يبلغها من قبل. ولكن باتاك اسقط من حسابه حس «نيك دك» المرهف، وغريزته المهنية وكفاءته التي تؤهله ان يحدد اتجاهه استناداً الى ابسط الاشارات، ومنها: انفلاش الاغصان في هذا الاتجاه او ذاك وعدم استواء مستوى الارض، ولون قشرة الاشجار، والفروقات بين النباتات كالطحلب والحزاز حسبما تكون معرضة لريح الشمال او الجنوب. وكان «نيك دك» ماهراً جداً في مهنته كحارس احراج وكان يمارسها بفطنة وبصيرة ولذلك ماكان ممكناً ان يضيع حتى في مناطق يجهلها.

ورغم ذلك فان عبور تلك المنطقة المكتظة بالاشجار كان يصطدم بصعوبات مهمة. فاشجار الدردار والزان والدلب والسنديان كانت تشكل الواجهة الامامية قبل الوصول الى منطقة شجر الصنوبر والتنوب التي تتجمع

على التلال العالية شمالي الممر الحبلي. وكم كانت رائعة تلك الاشجار بجذوعها الجبارة واغصانها الطافحة بالمياه واوراقها الكثيفة المتشابكة بعضها ببعض بحيث تشكل قمة خضراء تعجز اشعة الشمس عن اختراقها.

ولكنه كان من الممكن المرور مع الانحناء تحت الاغصان المنخفضة لولا ان الارض مليئة بالحواجز والعقبات ويلزمها الكثير من العمل الشاق لتنظيفها واقتلاع القراص والعليق منها وذلك للوقاية من آلآف الاشواك التي تؤذي لمجرد لمسة خفيفة. ولم يكن «نيك دك» ممن تقلقهم مثل هذه الامور او يهتم او يكترث للخدوش اذا كان ذلك سيساعده على التقدم في الغابة. كما لم يكن السير ممكناً في هذه الظروف الا على مهل مما زاد الامر سوءاً وتأخيراً «فنيك دك» والدكتور «باتاك» يهمهما ان يبلغا القصر في فترة بعد الظهر. وهكذا يزوران القصر اثناء النهار ويعودان الى «ورست» قبل هبوط الليل.

وكان حارس الاحراج يستعمل فأسه ليشق طريقه عبر تلك الارض المليئة بنباتات شبيهة بالحراب المسننة. وكانت قدمه تقع على ارض غير مستوية حينا وعلى ارض وعرة كثيرة الحدبات بسبب الجذور والشروش الظاهرة حينا اخر. هذا عدا انه كان يغرق احيانا في اكداس من

الاوراق اليابسة الرطبة التي لم تدسه [illegible]
وكانت القشور اليابسة تتفجر تحت اقدامه كالمفرقعات فتزرع الرعب في قلب الدكتور الذي كان ينتفض لكل فرقعة متلفتاً يميناً ويساراً. وكان يلتفت الى الوراء مذعوراً كلما علق غصن بسترته كما لو كان مخلبا ينوي الامساك به. لا، لم يكن ابدا هذا الرجل المسكين مطمئناً او مرتاحاً. ولكنه الان لايجرؤ على العودة وحده بل صار يبذل اقصى جهده لكي لايبتعد عن رفيقه العنيد المجد في السير.

وكانت تظهر احياناً بين اغصان الغابة المكتظة انفراجات مزاجية يدخل منها فيض من النور. كما كانت الضجة التي يحدثانها في سيرهما تزعج ازواج اللقلق الاسود فتهرب عن اعالي الاغصان وتطير ضاربة اجنحتها في الفضاء ضربات قوية. وان عبور تلك الانفراجات في الغابة كان اكثر تعباً وصعوبة. فهنا تتجمع كدسات كبيرة من اوراق الشجر الساقطة والمتناثرة بالاضافة الى الاشجار التي اقتلعتها العاصفة او وقعت بفعل الزمن كما لو ان فأس حطاب قد ضربتها الضربة القاضية. وهنا تنطرح جذور ضخمة منخورة فلن يشذبها منشار ولن تجرها عربة الى مجرى نهر «الفالاك» لتنقل وتصنع في مناشر المنطقة. وامام هذه العقبات القاسية

الصعبة واحياناً المستحيلة كان على «نيك دك» ورفيقه ان يبذلا جهدا عظيماً. واذا كان حارس الاحراج الشاب، رشيقاً، مرناً وقوياً يستطيع تدبير امره فان الدكتور «باتاك» القصير الرجلين، الناتىء البطن، المنهوك والمذعور ماكان قادرا على تجنب السقطات والوقعات التي كانت تفرض على «نيك دك» الاسراع الى نجدته. وكان «باتاك» يردد بعد كل وقعة:

- سترى يا«نيك» ستتحطم بعض أعضائي في هذه المغامرة.

- وستجبرها بنفسك يادكتور.

- كن عاقلا ياحارس الاحراج اذ لايجوز ان يستبسل الانسان ضد المستحيل. وينتظر الدكتور جوابا فلا يسمعه بل يرى «نيك دك» وقد تقدم امامه فيسرع للحاق به. ولكن هل ان وجهة السير المتبعة حتى الان هي الوجهة الملائمة للوصول الى القصر؟ لقد كان من العسير معرفة ذلك. وعلى كل حال، بما ان الطريق كانت تتجه صعودا فهذا يعني انهما يرتفعان باتجاه طرف الغابة الاعلى الذي بلغاه في حوالي الثالثة من بعد الظهر. من هنا وحتى هضبة «الاورغال» كانت تمتد اشجار خضراء متلاصقة لكنها تتباعد شيئاً فشيئاً كلما ازداد المنحدر ارتفاعاً.

وهناك عاد سيل «النياد» للظهور بين الصخور وذلك لانه اما ان ينحرف باتجاه الشمال الغربي واما لان «نيك دك» كان قد انحرف خلال سيره باتجاهه. وعلى كل حال فان ظهور ساقية «النياد» من جديد أكد لحارس الاحراج انه على الطريق الصحيح. فالساقية تبدو وكأنها تنبع من احشـاء هضبة «الاورغـال» التي يقع عـلى قمتها قصر «الكاربات».

لم يستطع «نيك دك» رفض طلب الدكتور التوقف ولو لساعة على حافة الساقية. فالمعدة تطالب بحقها بالحاح وكذلك الرجلان. والاكياس مليئة بالمؤونة. ومطرة «نيك دك» كما مطرة الدكتور تفيض بمشروب «الراكيو». وعلى مسافة خطوات ماء زلال صاف تكرره الحصى في اعماق الساقية.

وماذا كان يمكن ان يتمنيـا اكثر من ذلـك فهما قـد استهلكا الكثير من الطاقة ويجب ان يعوضا ماخسراه.

ومنذ انطلاقهما لم يتسن للدكتور التحدث مع «نيك دك» الذي كان يسبقه دائماً. ولكن ما ان جلسا على حافة «النياد» حتى عوض مافاته. واذا كان احدهما قليل الكلام فالاخر كان ثرثاراً. لذا لاتعجب اذا اتت الاسئلة مسهبة مطنبة وجاءت الاجوبة مختصرة مقتضبة.



ماذا كان يمكن ان يتمنيا اكثر من ذلك

ـ هكذا إذاً. لا تريد التخلي عن هذا ...

ـ لا. يادكتور.

ـ كيف ذلك؟ الا ترى يا«نيك» اننا منهوكان وبحاجة الى طاولة عامرة في صالة فسيحة والى سرير مريح في غرفة جيدة؟ فكيف يمكن ان تفكر في تمضية الليل في العراء؟

وبدا الدكتور حديثه قائلاً:

ـ لنتحدث قليلا ياحارس الاحراج ولنتحدث بجدية.

ـ اني استمع اليك يادكتور.

ـ اعتقد يانيك اننا توقفنا في هذا المكان لنستعيد قوانا.

ـ اصبت يادكتور. اصبت.

ـ قبل الرجوع الى ورست يا«نيك».

ـ بل قبل الانطلاق مجددا نحو القصر يادكتور.

ـ اسمع يا«نيك». اننا نمشي منذ ساعات ومازلنا في منتصف الطريق او اقل.

ـ وهذا يؤكد يادكتور انه ليس لدينا متسع من الوقت لنضيعه.

ـ ولكن سيحل الظلام قبل ان ندخل القصر ولا اظنك مجنونا الى حد المجازفة بدخول القصر في الظلام. ولذلك سنكون مجبرين على انتظار الصباح يا«نيك».

ـ سننتظر الصباح. يادكتور.

ـ سنمضي الليل في الهواء الطلق اذا وجدنا عقبات وعوائق تمنعنا من عبور ساحة القصر المسورة.

ـ واذا لم نجد عقبات او عوائق يا«نيك» فماذا نفعل؟

ـ ننام في مساكن البرج الرئيس.

وصرخ الدكتور «باتاك»:

ـ مساكن البرج؟: وهل تعتقد ياحارس الاحراج انني اقبل بتمضية الليل بكامله داخل هذا القصر الملعون؟

ـ الا اذا كنت تفضل ان تبقى وحدك في الخارج يادكتور.

ـ ابقى وحدي ياحارس الاحراج! ليس هذا ما اتفقنا عليه. واذا كان لابد من ان نفترق فاني اتمنى ان يحصل ذلك هنا في هذا المكان لكي اعود الى القرية.

ـ ان ما اتفقنا عليه يادكتور «باتاك». واضح وهو ان تتبعني حيث اذهب.

ـ اتبعك في النهار. نعم. اما في الليل فلا.. يا«نيك».

ـ إذاً انت حر في ان تذهب ولكن احذر ان تضيع في الغابة. يادكتور. ان يضيع في الغابة، هذا حقاً ماكان يقلق الدكتور «باتاك» لانه لم يتعود السير عبر تلك الالتواءات في احراج «البلازا». واذا ترك وحده فلن يتمكن من العودة الى «ورست». على كل حال لم يكن واردا عنده ان يكون وحده خلال الليل وقد يكون الليل حالكا. ولا واردا عنده ان ينذا

منحدرات الممر الجبلي معرضا نفسه للانزلاق في وهدة واد؛ واذا كان حارس الاحراج مصرا على موقفه فمن الافضل ان يتبعه حتى اول الساحة المسورة شرط ان لايتسلقا الجدار الخارجي للساحة بعد غياب الشمس ولكن الدكتور اراد ان يحاول للمرة الاخيرة ثني رفيقه عن المضي في مشروعه فقال له:

ـ تعرف جيداً ياعزيزي «نيك» انني لن اوافق ابدا على الانفصال عنك.. وبما انك تصر على الذهاب الى القصر فلن اتركك تذهب وحدك.

ـ كلامك في محله يادكتور «باتاك». واعتقد ان واجبك ان تبقى عند قولك.

ـ لا... لي بعد كلمة يا«نيك». عدني ان لاتحاول الدخول الى القصر اذا وصلنا وقد حل الظلام.

ـ ما اعدك به يادكتور هو ان اعمل المستحيل لادخل الى القصر ولن اتراجع خطوة واحدة طالما لم اكتشف بعد ماذا يجري في داخله.

وصرخ الدكتور باتاك هازاً كتفيه:

ـ تريد ان تعرف ماذا يجري في داخله ياحارس الاحراج؟ وماذا تظن يجري في داخله؟

ـ لست ادري، وبما انني مصر ان اعرف فساعرف.

فاجاب «باتاك» وقد استنفد كل حجة:

ـ يبقى ان نتمكن من الوصول الى قصر الشيطان هذا. فقياساً على الصعوبات التي اعترضتنا حتى الان وقياسا على الوقت الذي استغرقه عبور احراج «البلازا» فسينقضي النهار قبل ان نرى القصر.

ـ لا اعتقد ذلك يادكتور. فغابات التنوب في اعالي هذه المرتفعات ليست مغطاة بالهشيم كغابات الدردار والدلب والزان.

ـ ولكن الارض ستكون صعبة الصعود يا«نيك».

ـ وهذا لايهم لانها ليست عاصية او مستحيلة.

ـ ولكني سمعت يا«نيك» اننا قد نصادف دببا في جوار هضبة «الاورغال».

ـ انك تزعجني ياباتاك. وانت حر في ان تتركني. واتمنى لك رحلة موفقة.

وقام نيك دك يستعد للرحيل فصرخ باتاك:

ـ بالله ياحارس الاحراج اسمعني.

ـ أاسمع حماقاتك يادكتور.

ـ تمهل يانيك. بما ان الوقت اصبح متأخراً، مارأيك ان نبقى هنا؟ وان نمضي الليل تحت هذه الاشجار؟ وغدا نغادر منذ الفجر وسيكون لدينا كل الوقت لبلوغ الهضبة

قبل الظهر.

- يادكتور. اكرر على مسمعك انني انوي ان اقضي الليل في القصر.

- لا... لا لن تفعل ذلك يا «نيك».. وسأعرف كيف امنعك.

- انت؟

- نعم انا يا «نيك» سأتعلق بك.. وسأجرك وسأضربك اذا لزم الامر..

ولم يعد «باتاك» التعيس يعي مايقول. اما «نيك دك» فلم يجبه. حيث علق بندقيته منحرفة على صدره وسار بضع خطوات باتجاه حافة «النياد». فصرخ الدكتور بلهجة تدعو الى الشفقة:

- انتظر.. انتظر. يالك من رجل شيطان.. انتظر لحظة.. إن رجليّ جامدتان ومفاصلي لاتتحرك..

ومع ذلك فقد تحركت مفاصله بسرعة اذ ان المرض السابق اضطر ان يخبّ خبّاً على رجليه القصيرتين ليتمكن من اللحاق بحارس الاحراج الذي ماعاد يلتفت وراءه.

كانت الساعة الرابعة من بعد الظهر واشعة الشمس تلامس قمة «البلازا» فتنير بشكل مائل الاغصان العالية في غابة التنوب ثم لاتلبث ان تختفي وراء الجبال وكان «نيك دك» محقاً في ان يسرع الخطى لان قلب الغابة

سيظلم بعد لحظات من غياب الشمس.

ما اعجب وما اغرب منظر تلك الغابات التي تتجمع فيها العطور الطبيعية. فبدلا من الاشجار المفتولة او الملتوية ترى اشجاراً باسقة مستقيمة متباعدة معراة حتى علو يقارب الخمسين او الستين قدماً فوق الجذور حيث قليل من الشوك والعشب المتشابك. وجذوعها بلا عقد وتمتد اغصانها الخضراء لتشكل مايشبه السقف. اما الجذور فتزحف طويلة منتفخة على سطح الارض كأنها حيات خامدة بسبب البرد. والارض مفروشة ببساط من العشب القصير المائل الى الاصفرار تخالطه اغصان يابسة وثمار برية تفرقع تحت الارجل. ومنحدر قاس مزروع بصخور بلورية ذات نتوءات حادة تقطع الجلد الاكثر سماكة. وهكذا كان العبور شاقاً عبر تلك الغابة من التنوب على مسافة ربع ميل لان تسلق تلك الكتل الصخرية كان يتطلب ليونة في الجسم وقوة في الركب وثباتاً في الاعضاء. وكل ذلك لم يعد موجوداً عند الدكتور «باتاك». ولو كان نيك دك وحده لتسلق هذا المنحدر خلال ساعة واحدة الا ان التسلق استغرق ثلاث ساعات بسبب عجز رفيقه. فقد كان مضطراً ان ينتظره حيناً وان يساعده على الارتفاع فوق صخرة عالية حينا اخر.

لم يبق في قلب الدكتور «باتاك» خوف الا من شيء واحد وهو ان يجد نفسه وحيدا وسط تلك العزلة الكئيبة. وفي تلك المرحلة اصبح صعود المنحدر شاقاً اكثر فأكثر وبدأت الاشجار تقل عدداً على مؤخرة «البلازا» العالية فتشكل باقات معزولة هنا وهناك من دون حجم يذكر. وكانت مجموعة الجبال تتراءى من خلال هذه الباقات وترتسم في الافق البعيد حيث تبرز ملامحها من خلال غشاوة المساء.

اما سيل «النياد» الذي مازال «نيك دك» يسير بمحاذاته حتى الان فقد تحول الى ساقية عادية يظهر انها تنبع من مكان قريب وعلى بعد بضع مئات من الخطوات فوق اخر الالتواءات ترتفع بشكل دائرة هضبة «الاورغال» التي تتوجها ابنية القصر.

وبلغ «نيك دك» تلك الهضبة بعدما بذل جهداً كبيراً حوّل الدكتور «باتاك» الى كتلة جامدة. ولم يعد هذا الرجل المسكين يقوى على التقدم ولو عشرين خطوة بل انطرح ارضا كثور تجندل تحت ثقل الجزار. اما «نيك دك» فكان لايشعر الا بقليل من التعب بعد هذا الصعود المضني. وقد وقف جامداً وكأنه يتفرس بعينيه قصر «الكاربات» الذي لم يقترب منه ابدا قبل ذلك. وكان يمتد امام عينيه سور ذو فتحات، تحميه من حوله حفرة عميقة ولا مجال



يساعده على الارتفاع..

لاجتياز الخندق الى السور الا عبر جسر متحـرك واحد مرفوع عـلى البوابـة الكبيرة التي يحيط بهـا صف من الحجارة المتراصة الناتئة. وحول السور على سطح هضبة «الاورغال» كان كل شيء مهملا متروكا، صامتا وكانت بقية من النهار تسمح بالقاء نظرة شاملة على مجمل ابنية القصر التي تختفي شيئاً فشيئاً وسط ظلال المساء. ولم يظهر احد على حافة الحائط الخارجي ولا على سطح البرج الاعلى ولا على الشرفة الدائرية للطابق الاول. كما لم يظهر اي اثر للدخان حول دوارة الريح الخـارقة التي اكلها الصدأ. وقطع الصمت صوت الدكتـور «باتـاك» يقول: «حسناً ياحارس الاحراج الا توافقني على ان امامنا ثلاثة مستحيلات: اجتياز الخنـدق، وانزال الجسر المتحـرك وفتح البوابة الكبرى؟».

لم يجب «نيك دك» الدكتور «باتاك». فقد راى انه لابد من استراحة للتفكير امام اسوار القصر. اذ كيف يمكن في وسط الظلام النزول الى اعماق الخندق ثم الصعود منه لبلوغ السور والدخول عبره؟ وان الحكمة تقضي بان ينتظر الفجر ليتحرك في النور التام. وهذا ماتقرر بانزعاج كبير لدى حارس الاحراج وبرضى تام لدى الدكتور «باتاك».

الفصل السادس

الهلال الهزيل المرتسم على شكل منجـل من الفضة اختفى من السماء حالما غابت الشمس. والغيوم الاتية من الغـرب اطفأت تـدريجياً اخـر انوار الغسق الخـافتة. والظلال الصاعدة من المناطق السفلى اقتحمت الفضاء شيئاً فشيئاً، فغطى الظلام الهضاب المتدرجة واختفت ملامح ابنية القصر تحت سواد الليـل. واذا كانت تلـك الليلة تنذر بسواد حالك فلا شيء يشير الى احتمال حدوث تقلبات جوية كالعواصف والزوابع والمطر. وكان ذلك من حسن حظ «نيـك دك» ورفيقه اللـذين كان سينـامان في الهواء الطلق بل كان هنا وهنـاك شجيرات تكـاد تكون بمحاذاة الارض ولا توفر اية حماية من صقيـع الليل. وصخور تملأ الارض بعضها مطمور الى النصف وبعضها ظاهر يكاد يفقد تـوازنه وتظن ان دفعـة واحدة كـافية ليتدحرج حتى غابة التنوب. وفي الواقع ان النبتة الوحيدة التي كانت تنمو بكثرة في تلك الارض الصخرية هي شوكة كثيفة تعرف «بالشوكة الروسية».

والمهم الان هو العثور على مكان ملائم ينتظران [illegible] النهار ويقيان انفسهما من انخفاض الحرارة الذي يكون ملحوظا على مثل هذا العلو اما الدكتور «باتاك» فعلق على هذا الوضع قائلاً:

ـ ايا كان خيارنا فسنكون في اسوأ حال.

ـ أتتذمر يادكتور؟

ـ طبعا اتذمر. يا «نيك». ياله من مكان رائع للاصابة بزكام حاد او بداء المفاصل الذي لن اعرف كيف اشفى منه.

قال الدكتور «باتاك» ذلك من دون أي تصنع. آه. انه يتحسر على بيته المريح في «ورست» وسريره المليء بالمسند والاغطية بعد ان وجب عليهما ان يختارا واحدة من تلك الصخور المنتشرة على هضبة «الاورغال» يسمح موقعها وشكلها بحمايتهما من الريح الجنوبية الغربية الباردة التي بدأت تنفحهما. وهذا مافعله «نيك دك» وانضم اليه الدكتور فاحتميا وراء صخرة واسعة مسطحة كالطاولة في القسم الاعلى منها.

وهذه الصُخرة هي واحدة من تلك المقاعد الحجرية المغمورة بشجيرات والتي نجدها غالبا على الطرق في مقاطعات «الفالاك» حيث كان المسافر يجلس عليها ويرتوي من اناء موضوع عليها يجدد اهل الريف ماءه كل

يوم. وعندما كان البارون «رودولف دي كورتز» يسكن القصر كان يوجد على هذا المقعد اناء يهتم خدم العائلة بألاّ يفرغ من الماء ابدا. ولكنه في الوقت الحاضر ملوث بالنفايات معشوشب، وقد تحوله اقل صدمة الى فتات وغبار. وعلى طرف المقعد ينتصب عمود من الغرانيت هو بقية من صليب قديم ذراعاه على العمود الافقي نصف ممحيتين.

ان الدكتور «باتاك» كصاحب عقل متبصر لم يكن يؤمن بان هذا الصليب يحميه من الارواح الشريرة الفائقة الطبيعة. ولم يكن بعيدا عن الايمان بالشيطان كما يفعل عدد كبير من الكفار الذين اجتاحتهم موجة هرطقة. فالدكتور «باتاك» يعتقد ان للشيطان يداً فيما يجري في القصر. فالشيطان ذاته يحوم حول القصر ولن يمنعه مانع من الخروج منه. فلا الحائط الخارجي العالي ولا الخندق العميق ولا الجسر المتحرك المرفوع ولا البوابة الكبيرة المغلقة تمنعه، اذا عنَّ على باله ان يأتي اليهما ويقضي عليهما. وكلما فكر الدكتور ان عليه ان يقضي الليل في مثل هذه الظروف كان يرتعد خوفاً ورعباً. اذاً ان في الامر مايفوق قدرة المخلوقات البشرية ولايستطيع الصمود في مثل هذه الحالة حتى اكثر الناس صلابة وقوة وحيوية. ثم

خطرت في باله فكرة متأخرة لم يفكر بها منذ ان غادر «ورست» فقد كان الوقت مساء الثلاثاء. وفي يوم الثلاثاء يمتنع الناس في المقاطعة بأكملها عن الخروج من منازلهم بعد غياب الشمس. فنهار الثلاثاء يعرف بيوم السحر والحيل السحرية. وحسب التقاليد فان التجول مساء قد يعرض صاحبه للجن والارواح الشريرة. وها هو ذا الدكتور «باتاك» يجد نفسه ليل الثلاثاء ليس خارج منزله فحسب بل بالقرب من قصر مشبوه وعلى بعد ميلين او ثلاثة من القرية.. وفي هذا المكان بالذات كان عليه ان ينتظر الفجر الذي قد لايطلع.. وفي الحقيقة ان وضعهما كان كوضع من يريد ان يجرب الشيطان.

وفيما كان الدكتور مستسلما لافكاره رأى حارس الاحراج يتناول من كيسه وبهدوء قطعة لحم بارد بعد ان اخذ من مطرته جرعة لابأس بها. ففكر الدكتور «باتاك» ان افضل مايمكن ان يفعله هو ان يتشبه برفيقه. وهذا ماقام به بالفعل. فتناول فخذ اوزة وشرحة كبيرة من الخبز واكلهما مع جرعات متتالية من «الراكيو». وما كان يلزمه اكثر من ذلك ليستعيد قواه. ولكنه اذا استطاع بذلك ان يسد جوعه فهو لم يستطع ان يهدىء من روعه. ثم وضع نيك كيسه عند اسفل الصخرة وقال للدكتور:

ـ لننم الان.

ـ ماذا تقول؟ اننام ياحارس الاحراج؟

ـ ليلة سعيدة يادكتور.

ـ انه لمن السهل ان نتمنى ليلة سعيدة. ولكني اخشى ان تكون نهاية هذه الليلة سيئة. اما «نيك دك» الذي لم يكن مزاجه يسمح له بالتحدث فلم يجب لانه كان بحكم وظيفته معتادا على النوم في الغابات فتمدد مجانباً الصخرة ما امكن وما لبث ان غط في نوم عميق. فلم يستطع الدكتور الا ان يتمتم ويهمهم حين شعر ان رفيقه استسلم للنوم كليا. بينما هو لم يستطع، ولو لبضع دقائق، وابطال حاستي السمع والبصر عنده. فعلى الرغم من التعب ظل ينظر ويرهف السمع. وكان عقله فريسة رؤى غريبة تتولد من الاضطرابات العصبية التي يسببها الارق. ماذا كان يحاول ان يرى في كثافة الظلام؟ كل شيء ولا شيء: الاشكال الغامضة للاجسام التي تحيط به. الغيوم المبعثرة في الفضاء. كتلة ابنية القصر الضخمة التي تكاد لاترى. ثم صخور هضبة «الاورغال» التي كانت تتراءى له وكأنها ترقص رقصة جهنمية صاخبة. وكان يتخيل انها ستتزعزع من اساساتها وتتدحرج على المنحدر فتسقط على ذينك الشخصين المتهورين فتسحقهما على

باب القصر الذي كان ممنوعا عليهما الدخول اليه.

انتصب الدكتور التعيس وهو يستمع الى تلك الضجة المتماوجة على الهضبات العالية، وتلك الهمهمات المبهمة للقلق وكأنها همس او حفيف او انين او تنهد وكان يسمع الخفافيش تضرب الصخور باجنحتها والعفاريت تقوم بنزهتها الليلية والبوم المشؤوم يدوي نعيقه متبرما. وحينئذ انقبضت عضلاته وراح جسمه يرتعد ويرشح عرقا بارداً. وانقضت ساعات طوال حتى منتصف الليل. ولو تيسر للدكتور ان يتكلم او يتبادل الحديث مع احد من وقت لاخر او ان يطلق العنان لشكاواه وتظلماته لما تملكه الخوف الى هذا الحد ولكن نيك دك كان نائماً وكان نومه عميقا.

انه منتصف الليل. تلك هي الساعة الرهيبة. ساعة الرؤى والسحر المؤذي. ترى ماذا يجري اذاً؟

قام الدكتور وهو يتساءل عما اذا ماكان مستيقظاً حقاً ام كان تحت تأثير كابوس. لقد تراءى له فوق.. لا لم يتراءَ له بل رأى فعلا اشكالا غريبة يضيئها نور غريب فتبدو كالاشباح. وكانت هذه الاشكال الاشباح تمر من افق الى افق، تصعد ثم تهبط وتنزل مع الغيوم، كأنها انواع من مسخ او تنين له ذنب افعى او انواع طير ذي مخالب

واجنحة عريضة او انواع من مسخ بحري اسطوري او مصاصو دماء يتخبطون استعدادا لالتقاطه بمخالبهم وابتلاعه.

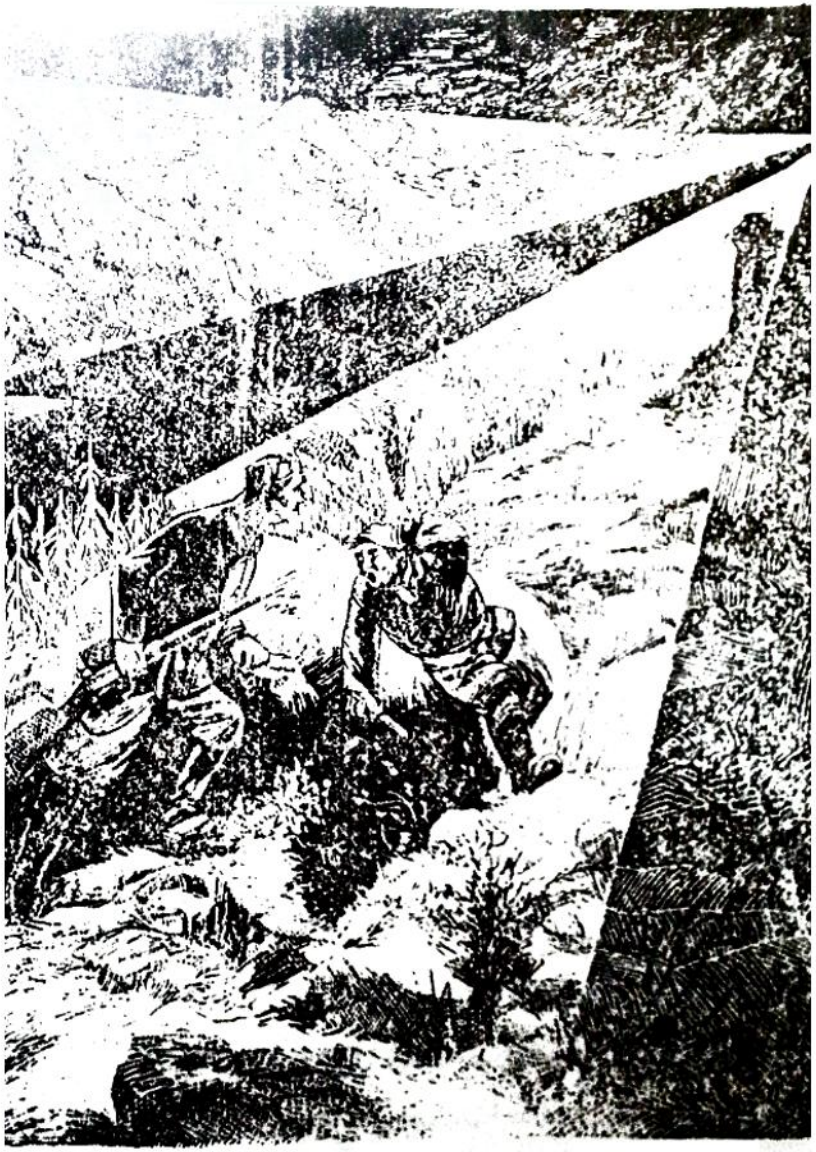
ثم رأى كل شيء يتحرك فوق هضبة «الاورغال» وكان يسمع بوضوح وقع ضربات ودقات موقعة على فترات متساوية. فقال همسا: «انه الجرس.. جرس القصر».

نعم انه جرس الكنيسة القديمة في القصر وليس جرس كنيسة «الفولكان» الذي يمكن ان يكون الهواء قد حمل صداه باتجاه معاكس.

وها هي ذي الدقات تتسارع.. فاليد التي تدق الجرس لاتدق دقات حزن.. لا. انه ناقوس خطر ودقاته اللاهثة ترجع اصداءها الحدود الترنسلفانية.

وفيما كان الدكتور «باتاك» يسمع هذه التموجات الكئيبة تملكه رعب مصحوب بتشنجات واحس بقلق لايمكن التغلب عليه واعتراه ذعر لايقاوم وسرت في انحاء جسمه قشعريرة باردة. كما ان دقات الجرس المرعبة هذه ايقظت حارس الاحراج من نومه فانتصب واقفا فيما الدكتور «باتاك» يتجمع على ذاته.

وارهف «نيك دك» السمع وراحت عيونه تحاول اختراق تلك الظلمات الكثيفة التي كانت تغطي ابنية



نيك... نيك... انظر الي

القصر وراح الدكتور «باتاك» يردد: «هذا الجرس.. هذا الجرس.. لاشك ان الشيطان يقرعه.. انه الشيطان». من المؤكد ان الدكتور المسكين المذعور يؤمن الان اكثر من اي وقت مضى بالشيطان.

اما حارس الاحراج فبقي صامدا ولم يجب. وفجأة سمع صفيراً صاخباً شبيهاً بذلك الذي تطلقه صفارات الانذار البحرية على مدخل المرفأ وقد ارتج الفضاء على مسافة واسعة بفعل تموجات هذا الصفير الـذي يصم الآذان. ثم شع ضوء من البرج المركزي انه نـور قوي يخرج منه بريق ساطع حاد وومضات تعمي البصر. من اين يصدر هذا النور الجبار الذي تتشعب منه اشعاعات تنتشر بشكل طبقات من نور على هضبة «الاورغال»؟ من اي اتون يخرج هذا الينبوع النير الذي يبدو وكأنه يلهب الصخور ويغمرها في الوقت ذاته بدكنة غريبـة. وصرخ الدكتور: «نيك... نيك... انظر الي... هل انا مثلك جثـة هامدة؟

• بالفعل كان الاثنان يظهـران بمظهر الامـوات: وجه شاحب، عيون منطفئة، محاجر فارغـة، خدود مخضرة، شعر اشبه بالعشب الذي ينمو، حسب الاسطورة، على جماجم المشنوقين.

كان «نيك دك» مندهشا مما يرى ويسمع اما الدكتور «باتاك» فبلغ به الذعر اخر مبلغ فتقلصت عضلاته، ووقف شعر بدنه وتمدد بؤبؤ عينه واصيب جسمه بتصلب هائل.

ولم تدم هذه الظاهرة المرعبة اكثر من دقيقة واحدة. حيث خفت ذلك النور الغريب تدريجياً وإنقطع الانين وخيم على هضبة «الاورغال» السكون والظلام.

فلا هذا ولا ذاك حاول ان ينام. فالدكتور «باتاك» الذي انهكه الذعر وحارس الاحراج الذي ظل واقفاً متكئاً على المقعد الحجري كانا ينتظران الفجر.

بِمَ كان «نيك دك» يفكر امام هذه الاحداث التي تحدث امام عينيه فتبدو خارقة وفائقة الطبيعة؟ ألم يكن في ذلك مايكفي لزعزعة قراره؟ وهل يستمر في عناده ويتابع هذه المغامرة المتهورة؟ صحيح انه وعد بدخول القصر واستكشاف البرج... ولكن أليس كافيا انه وصل الى سور القصر الذي يستحيل عبوره وان يكون تعرض لغضب الجن والعفاريت واثار هذا الاضطراب في العناصر؟ هل يأخذون عليه عدم التزامه بوعده اذا عاد الى القرية من دون ان يصل به جنونه الى حد المجازفة في الدخول الى هذا القصر الشيطاني؟

وفجأة اندفع نحوه الدكتور «باتاك» وامسك بيده

وحاول جره مرددا بصوت خافت:

ـ «تعال.... تعال...»

ـ لا... لا... اجاب «نيك دك» وامسك بالدكتور «باتاك» الذي وقع ارضا بعد هذا الجهد الاخير.

وانقضت تلك الليلة وهما في حالة لاتوصف ولم يشعرا بالوقت الذي انقضى حتى طلوع الفجر حيث لم يبق في ذاكرتيهما شيء من الساعات التي سبقت بشائر الصباح الاولى. وفي تلك اللحظة ارتسم خط وردي خلف جبل «البارينغ» في الافق الشرقي من الجهة الاخرى لوادي النهرين. وتناثر بياض خفيف في كبد السماء التي بدت مخططة كجلد حمار الزرد.

التفت «نيك دك» صوب القصر فرأى اشكاله شيئاً فشيئاً: فالبرج يخرج من الضباب العالي الذي بدأ ينزل نحو الممر الجبلي والكنيسة والاروقة والحائط الخارجي الذي بدأ يبرز من خلال غبار الظلام. ثم على حصن الزاوية شجرة الزان التي كانت اوراقها تصدر حفيفاً بفعل النسيم الشرقي.. اذاً لم يطرأ اي تغيير على المظهر العادي للقصر حيث الجرس ودوارة الريح كانا جامدين. ولم يظهر اي اثر للدخان على مدخنة البرج الذي بدت نوافذه بقضبانها الحديدية محكمة الاقفال. وفوق

السطح تطير عصافير وهي تطلق زقزقات صافية وهنا حوّل «نيك دك» نظره نحو المدخل الرئيس للقصر. فشاهد ان الجسر المتحرك المرفوع على الفتحة في السور يقفل البوابة الكبرى بين عمودين حجريين مزينين بالاسلحة شعار بارونات «دي غورتز» ولكن هل كان حارس الاحراج مصمماً على المضي في هذه المغامرة حتى النهايــة؟ نعم. وقراره لم يتأثر ابداً باحداث الليلة الماضية. فهو اذا قال فعل. وذلك كان شعاره كما يعلم الجميع. فــلا الصوت العجيب الذي هدده شخصياً في الصالة الكبرى في نزل «الملك ماتياس»، ولا الظواهر الغريبة غير المفهومة عبــر الانوار والاصوات التي شهدها، لا هــذا ولا ذاك، كان ليمنعه من ان يعبر جدران القصر. وكان يعتقد ان ساعة واحدة تكفي ليطوف في أروقة القصر ويزور البرج وعندئذ يكون قد وفى بوعده فيأخذ طــريق العودة الى «ورست» حيث يصل قبل الظهر.

اما الدكتور «باتاك» فتحوّل الى آلة جامدة. لاقدرة له على المقاومة ولا حتى على الارادة وربما سيذهب حيثما يدفعونه. واذا وقع فلن يستطيع النهوض. لان الحوادث المرعبة في تلك الليلة جعلته في حالة غباء تام. ولم يبد اية ملاحظة حين اشار حــارس الاحراج الى القصر وقــال:

«لننطلق». هذا مع ان النهار قد طلع وكان بامكان الدكتور بــاتاك ان يعــود الى قريــة «ورست» من دون ان يخشى الضياع في احراج «البلازا». ولكن لافضل له اذا بقي مع «نيك دك». فهو حين لم يترك رفيقه ويعود الى القرية فلانه كان لايعي الموقف والحال. فقد اصبح جسداً بلا روح. وقد انصاع انصياعاً كاملاً حين اتجه به «نيك دك» نحو منحدر الخندق المحيط بابنية القصر.

والان، هل يمكن الدخول الى القصر من غير البــوابة الكبرى؟ هذا ما اراد «نيك دك» ان يعرفه بادىء ذي بدء. ولم يكن في الجدار الخارجي للسور اية ثغرة او اي تشقق يسمح بالدخول الى ساحة القصر.. لقد كان من المدهش حقا ان تحافظ هذه الجدران القديمة على مثل هذه المتانة. وقد يكون ذلك عائداً الى سماكتها. ثم فكر في التسلق حتى الفتحات في اعلى السور لكنه وجد ذلك مستحيــلاً لان الخندق المحفور تحت السور يبلغ عمقه اكثر من اربعين قدما. يبدو إذاً ان «نيك دك» الذي استطاع الوصول الى سور قصر «الكاربات» سيصطدم بعقبات يستحيل عليه التغلب عليها.

ولحسن حظه اولسوئه كان يوجد فوق البوابة الكبرى نوع من فتحة اوكوة كان ينصب فيها قديما مدفع. ولاحظ

ان احد جنازير الجسر المتحرك يتدلى حتى الارض وحينئذ فكر بان يستعمل هذا الجنزير للصعود الى الكوة. وليس الامر بصعب على رجل رشيق وقوي مثله. وكانت سعة تلك الكوة كافية للمرور عبرها وقد يستطيع «نيك دك» الدخول منها الا اذا كانت مجهزة بقضبان حديد من الداخل.

وادرك حارس الاحراج للوهلة الاولى ان ليس امامه سوى هذه الطريقة لدخول القصر. ولذلك نزل مع رفيقه الدكتور في طريق منحرفة شديدة الانحدار من الجهة الداخلية لحافة الخندق. ولما بلغا عمق الخندق وجدا ارضه مزروعة بالحجارة بين هشيم نباتات برية. لم يكونا يعرفان اين يدوسان وخشيا ان تكون اعشاب هذه الحفرة الرطبة تعج بالحيوانات السامة.

وفي وسط الخندق وبموازاة الحائط الخارجي للسور حفر مجرى القناة القديمة التي تبدو الان شبه جافة ويمكن العبور فوقها بقفزة كبيرة وكان «نيك دك» الذي لم يفقد شيئاً من قواه العقلية والجسدية يتصرف برباطة جأش بينما كان الدكتور يتبعه بصورة آلية وكأنه حيوان يجره صاحبه بحبل. وبعدما اجتاز القناة سار حارس الاحراج بجانب اساسات الحائط الخارجي للسور حوالي عشرين خطوة ثم توقف تحت البوابة الكبرى حيث كان

يتدلى طرف الجنزير. وفكر انه اذا استعمل يديه ورجليه فعندها سيتمكن من الوصول الى الطوق الحجري الناتىء تحت الكوة. ولم يكن في نية «نيك دك» ان يرغم الدكتور «باتاك» على مشاركته محاولة التسلق هذه. فرجل ثقيل الجسم مثل الدكتور «باتاك» لايستطيع ذلك. بل اكتفى بأن هز الدكتور «باتاك» بقوة ليسترعي انتباهه وطلب منه ان يبقى بلا حراك في اسفل الخندق. ثم بدأ بتسلق الجنزير وبدت العملية تمرينا رياضيا بالنسبة لعضلاته كجبلي.

ولكن عندما شعر الدكتور انه وحيد استعاد وعيه وادرك الوضع الذي هو فيه ونظر حوله، ورأى رفيقه معلقا على ارتفاع حوالي اثني عشر قدما صرخ بصوت خنقته الاهوال:

- توقف... يانيك... توقف!

لم يصغ حارس الاحراج لنداء الدكتور الذي صرخ مجددا:

- تعال... تعال.. والا رجعت وحدي.

- ارجع اجاب «نيك دك». وتابع تسلقه متمهلا على جنزير الجسر المتحرك.

وعندئذ اراد الدكتور «باتاك» وهو في ذروة الذعر



توقف... يانيك... توقف

صعود الطريق المنحدر الذي نزلا فيه ليعود الى قمة هضبة «الاورغال» ويأخذ طريق «ورست» على عجل.

وهنا حدثت المعجزة التي امحى امامها كل ما حدث في الليلة الماضية. فها هوذا الدكتور لايقوى على التحرك من مكانه.. وان رجليه مشدودتان الى الارض وكأنهما ممسوكتان بين فكيّ ملزمة.. وحاول ان ينقلهما الواحدة بعد الاخرى فلم يفلح.. وانهما ملتصقتان بالارض عبر كعب الجزمة ونعلها.. فهل علق الدكتور إذاً في فخ؟... فلقد كان مذعوراً جداً ولا يستطيع التمييز.. وكان يشعر وكأنه مشدود الى الارض بواسطة مسامير الحديد المثبتة في اسفل جزمته. ومهما يكن الامر فان الرجل المسكين مثبت في مكانه.. ولعله مسمر في الارض.. حتى لم يعد يقوى على الصراخ فمد يديه يائسا.. وكأنه يريد انتزاع نفسه من براثن حيوان مفترس يبرز شدقه من احشاء الارض.. وفي هذا الوقت بلغ «نيك دك» علو البوابة الكبرى وها هوذا يضع يده على احدى الحدائد التي يدخل فيها احد مفاصل الجسر المتحرك.. وفجأة صرخ صرخة الم. ثم ارتمى الى الوراء كما لو ضربته صاعقة وتزحلق على الجنزير الذي تمسك به بحركة لاشعورية في اخر لحظة. ولما وصل الى اعماق الخندق تمتم: «ان الصوت الذي

سمعته في نزل الملك ماتياس كرر بصورة واضحة انه سيصيبني مكروه». ثم اغمي عليه.

الفصل السابع

كيف نصف القلق الذي كان يفترس قرية «ورست» منذ انطلاق حارس الاحراج الشاب والدكتور «باتاك»؟ حيث لم يتوقف هذا القلق عن التزايد مع مرور الساعات التي كانت تبدو وكأن لانهاية لها. فالسيد «كولتز» وصاحب النزل «جوناس» والمعلم «هرمود» وغيرهم من اهالي القرية ظلوا بصورة دائمة في الساحة المشرفة وكل واحد منهم يراقب بانتباه كبير ابنية القصر البعيدة ليرى اذا ما كانت تلافيف الدخان تظهر فوق البرج ولكن لم يظهر اي دُخان وقد ثبت ذلك بواسطة المنظار الذي كان مصوبا ابدا في ذلك الاتجاه. وفي الحقيقة ان صرف المال للحصول على هذه الالة كان موفقا وفي محله. فالسيد «كولتز» النفعي جدا والحريص على امواله لم يشعر مرة

بأسف اقل مما يشعر به الان لصرفه المال خصوصا وان الصرف جاء في محله. وفي الساعة الثانية عشرة والنصف حين عاد الراعي «فريك» من المرعى امطروه بوابل من الاسئلة! هل من جديد؟ هل من حدث خارق فائق الطبيعة؟.

فاجاب «فريك» انه تجول في وادي نهر «الفالاك» ولم يلاحظ مايثير الشبهات وبعد الغداء حوالي الساعة الثانية من بعد الظهر رجع كل واحد الى مركزه في المراقبة. ولم يفكر احد قط في البقاء في بيته. كما لم يفكر احد في الذهاب الى نزل «الملك ماتياس» حيث كانت تسمع اصوات التهديد والوعيد. وان يكون للجدران آذان فهذا امر مقبول. اذ ان هذه العبارة معروفة في الاستعمال اليومي اما ان يكون للجدران فم..

وكان صاحب الحانة يخشى ان يضرب الحجر على نزله فلا ينزل عنده احد وبقي هذا الامر يشغل باله بدرجة اولى. فهل سيضطر الى اقفال نزله والى ان يشرب هو ماعنده من مشروب بسبب انقطاع العملاء عنه؟ وعلى كل حال، لقد عمل على طمأنة اهالي «ورست» اذ أجرى تحقيقا دقيقا في «الملك ماتياس». حيث فتش الغرف حتى تحت الأسرة كما فتش الخزائن على انواعها واستكشف بدقة

الزوايا في الغرفة الكبـرى وفي الاقبية والاهـراء* وربما يمكن ان يكون احد المازحين السيئين قد دبر هذه الخدعة ولكنه لم يجد شيئاً.

كما لم يجد شيئاً كذلك في الواجهة التي كانت تشرق على «النياد». فالنوافـذ هناك كـانت عاليـة جداً بحيث لايمكن الوصول الى فتحاتها خصوصاً وانهـا تقع عـلى جنب سـور عمودي تغـوص قاعدته في ميـاه «النياد» الجارفة. ولكن الخوف لايدع احداً يفكر، وسيمضي وقت طويل قبل ان يستعيد رواد نزل «الملك مـاتياس» ثقتهم بالنزل وبمشروبه من «الشنابس» والراكيو. ولكن لا لن يمر وقت طويل قبل ان يستعيـد الرواد ثقتهم بـالنزل. وسترون ان هذا التنبؤ المزعج لم يصح ابداً. وبالفعل بعد بضعة ايام، وعلى اثر حدث غير منتظر، عاد وجهاء القرية يعقدون اجتماعاتهم اليومية، مع مايرافقها من مشروب، حول طاولات نزل «الملك ماتياس».

ولكن يجب علينا ان نعود الى حارس الاحراج الشاب والى رفيقه الدكتور «باتاك». لاننا نذكر ان «نيك دك»، حين ترك «ورست»، وعد «ميريوتا» المفجوعة بان لايتـأخر في

* الاهراء مفردها هُرْيٌ وهو مخزن القمح ونحوه

زيارته الى قصر «الكاربات». وكـان ينوي ان يعـود الى القرية في اوائل السهرة حسب برنامجه، هذا اذا لم يصبه مكروه او تنفذ التهديدات التي وجهت اليه وهكذا ظلوا بانتظاره وبفارغ الصبر! وعلى كل حـال، لا الصبية ولا والدها ولا المعلم «هرمود» كان بامكـانه ان يعـرف اية صعوبات ستعترض حارس الاحراج في طريقه الى القصر وتمنعه بالتالي من الوصول الى قمة هضبة «الاورغال» قبل هبوط الليل. ونتج عن ذلك ان القلق الذي كان حاداً خلال النهار عند هؤلاء تجاوز كل حد حين دقت الساعة الثامنة مساء في قبة جرس كنيسة «الفـولكان» وسمعهـا اهالي «ورست» بكل وضوح. اذاً ما الذي حدث فمنع «نيك دك» والدكتور من الرجوع حتى هـذه الساعـة؟ وامام هـذا الواقع لم يفكر احد منهم بالعودة الى منزله قبل عودة «نيك دك» و«باتاك». وفي كل لحظة كـان احدهم يتصـور انه يراهما يطلان من وراء منعطف الممر الجبلي.

اما السيد كولتز وابنته فقد ذهبا الى طرف الشارع حيث وضع الراعي للمراقبة. ولعدة مرات اعتقدوا انهم يرون خيالات ترتسم في البعيد بين فسحات الاشجار.. ولكن ذلك كان مجرد وهم حيث كان الممر الجبلي مقفرا كالعادة ومن النادر جدا ان يجـازف سكان الحـدود في

اجتيازه خلال الليل. هذا عدا اننا في مساء الثلاثاء ـ ثلاثاء الجن الاشرار ـ والترانسيلفانيون لايتجولون في هذا اليوم في الريف بعد غياب الشمس. ولو لم يكن «نيك دك» مجنونا لما اختار مثل هذا النهار لزيارة ابنية القصر. ولكن الحقيقة أن لاحارس الاحراج ولا احد غيره من اهالي القرية تنبه الى هذه النقطة. غير ان «ميريوتا» ماكانت تفكر الا بهذا الامر الان. واية صور مرعبة كانت تتراءى لها! فلقد تتبعت خطيبها في الخيال ساعة فساعة عبر تلك الغابات الكثيفة في جبل «البلازا» فيما كان يصعد نحو هضبة «الاورغال».. والان وقد حل الليل فقد بقيت تتخيل انها تراه داخل السور يحاول التخلص من الارواح الشريرة التي كانت تلازم قصر «الكاربات».. حتى اصبح العوبة شعوذات هذه الارواح السحرية المؤذية.. ولقد صار الضحية المرصودة.. لانتقامها.. وقد يكون مسجونا في عمق دهليز.. وقد يكون ميتا..

يا للابنة المسكينة. انها مستعدة ان تضحي بكل شيء من اجل ان تلحق «بنيك دك». ولما كانت عاجزة عن اللحاق به ارادت ان تنتظره هنا طوال الليل. ولكن اباها اجبرها على العودة معه الى المنزل فيما بقي الراعي في المراقبة.

وما ان اصبحت وحيدة في غرفتها الصغيرة حتى

استسلمت لدموعها من دون اي تحفظ لانها كانت تحب هذا الطيب «نيك دك»، بكل جوارحها. وكان في حبها له نوع من عرفان الجميل كونه كان يريدها زوجة له بمعزل عن الشروط والظروف التي كان يتقرر في ظلها الزواج في ذلك الريف الترانسيلفاني وبطريقة جد غريبة.

يالها من ليلة! مرت على «مريوتا» الحزينة وملؤها القلق والدموع! لم ترد ابدا ان تنام بل كانت متكئة على شباكها ونظرها مثبت على الشارع الصاعد. وهي تتخيل صوتا يهمس في اذنيها «نيقولا دك لم يأبه للتهديدات.. «مريوتا» اصبحت بلا خطيب»... وكان هذا الصوت يتردد نتيجة لاضطراب اعصابها بينما لم يكن له اثر في سكون الليل. فظاهرة الصوت الغامض في صالة «الملك ماتياس» لم تتكرر في منزل السيد «كولتز».

في اليوم التالي ومنذ الفجر كان سكان «ورست» خارج منازلهم. يذرعون الشارع الكبير ذهاباً واياباً من الساحة حتى منعطف الممر الجبلي هؤلاء يسألون عن الاخبار الجديدة واولئك يعطون بعضا منها. ومن هذه الاخبار ان الراعي «فريك» ابتعد حوالي الميل عن القرية لكنه لم يسلك الطريق عبر احراج «البلازا» بل سار بجانبها. وما كان ليفعل ذلك بلا سبب.

ولابد من انتظار عودته. وقد قصد السيد «كولتز» و«مريوتا» و«جوناس» طرف القرية لجهة «البلازا» ليتمكنوا من الاتصال به بسرعة. وبعد نصف ساعة شوهد «فريك» على بضع مئات من الخطوات في أعلى الطريق. ولكنه لم يكن يسرع في مشيته فاعتبروا ذلك علامة سيئة. وما ان وصل بالقرب منهم حتى سأله السيد «كولتز» حسنا يا«فريك»، ماذا تعرف؟... ماذا علمت؟...

- لم أر شيئا.. ولم اسمع شيئا..

- لاشيء! رددتها الصبية وعيناها غارقتان في الدموع.

وتابع الراعي حديثه قائلاً:

- عند طلوع النهار شاهدت رجلين على مسافة ميل من هنا واعتقدت في بادىء الامر انهما «نيك دك» والدكتور «باتاك»... ولكن لم يصح ظني..

- وهل تعرف من هما هذان الرجلان يا«فريك»؟

- انهما مسافران غريبان، يا«جوناس»، عبرا حدود «الفالاك».

- وهل تحدثت اليهما يا«فريك».

- نعم «ياجوناس».

- وهل ينزلان نحو القرية؟ يا«فريك»؟

- لا، يا«جوناس»، انهما يتجهان نحو جبل «الراتيازات»

الذي يسعيان لبلوغ قمته.

- وهل هما سائحان يا«فريك»؟

- كانا يبدوان كسائحين ياسيد «كولتز».

- الم يشاهدا شيئا لناحية القصر فيما كان يجتازان ممر «الفالكان» خلال الليل يا«فريك»؟

- لا... لم يشاهدا شيئا لانهما كانا مايزلان في الجهة الاخرى من الحدود. ياسيد «كولتز».

- هكذا! إذاً ليس لديك اي خبر عن «نيك دك» يا«فريك»؟

- لا ليس لدي اي خبر ياسيد «كولتز»...

وقاطعته «مريوتا» متنهدة:

- يا الهي!

وتابع «فريك»: «على كل حال، يمكنك ياسيد «كولتز» ان تستوضح هذين المسافرين بعد بضعة ايام لانهما ينويان الاستراحة في «ورست» قبل التوجه الى «كولوسفار».

فقال «جوناس» في سره وهو في حالة حزن عميق: «آمل ان لايخبروهما الاخبار السيئة عن نزلي بشأن الاصوات التي تسمع في الصالة الكبرى فيعدلا عن النزول فيه».

وكانت هذه الخشية تستبد بصاحب النزل منذ ست وثلاثين ساعة. فهو يخشى ان لايجرؤ اي مسافر بعد الان على الاكل والنوم في نزل «الملك ماتياس». وفي النتيجة ان

هذه الاسئلة والاجوبة بين الراعي «فريك» وسيده «كولتز» لم توضح الموقف في شيء. وبما ان حارس الاحراج الشاب والدكتور «باتاك» لم يظهرا بعد، وقد بلغت الساعة الثامنة صباحا، فهل يمكن ان نأمل بعد بأن يعودا سالمين؟ ذلك انه لايستطيع احد ان يقترب من قصر «الكاربات» من دون نيل العقاب.

لم تعد «مريوتا» تقوى على التماسك بعدما انهكتها الانفعالات والتأثرات خلال ليلة الارق تلك. وكانت تكاد تعجز عن المشي بسبب ما اصابها من الاعياء والانحطاط مما اضطر والدها لان يعيدها الى المنزل. وهناك في المنزل تضاعفت دموعها حيث كانت تنادي «نيك دك» بصوت متهدج.. تريد ان تنضم اليه.. وان وضعها يثير الشفقة وكان يخشى ان تمرض. وصار من الضروري ان يتخذ موقف وبسرعة. اذ لابد من ان يهبوا لمساعدة حارس الاحراج والدكتور «باتاك» من دون ان تضيع لحظة واحدة. ولا يهم ان خاطروا وعرضوا انفسهم لانتقام الكائنات البشرية او غير البشرية التي تحتل القصر بل المهم الان ان يعرفوا ماذا جرى لحارس الاحراج والدكتور «باتاك». وهذا واجب يفرض نفسه على اصدقائهما وعلى سائر سكان القرية، فالاكثر شجاعة

بينهم لم يتأخروا عن رمي انفسهم في احراج «البلازا» من اجل الصعود الى قصر «الكاربات».

وهذا ماتقرر واتفق عليه بين الجميع. وبعد كثير من المناقشات والمساعي كان عدد «الاكثر شجاعة» بينهم ثلاثة فقط لاغير. انهم السيد «كولتز» والراعي «فريك» وصاحب النزل «جوناس»، اما الاستاذ «هرمود» فقد شكا فجأة من الم في جنبه نتيجة داء النقرس وقد اضطر ان يتمدد على كرسيين في غرفة الصف في مدرسته.

وحوالي الساعة التاسعة صباحاً انطلق السيد «كولتز» ورفيقاه في طريق الممر الجبلي وقد تسلحوا جيدا من باب الاحتراز والتحسب. ثم تركوا هذه الطريق في المكان نفسه الذي تركها فيه «نيك دك» وتوغلوا في الغابات الكثيفة بين تلك الكتل الصخرية الضخمة.

وكانوا يعتبرون وبحق ان حارس الاحراج والدكتور «باتاك» سيأخذان في طريق العودة الطريق التي سلكاها عبر «البلازا» الى القصر. وهكذا سيكون من السهل التعرف الى اثارهما. وهذا ماحدث فعلا اذ ما ان عبر الثلاثة الاشجار على طرف الغابة حتى وجدوا اثار حارس الاحراج والدكتور «باتاك» فتبعوها.

سنتركهم يذهبون لنروي اي تبدل في الراي حصل في

قرية «ورست» بعد ان غاب الثلاثة عن الانظار. فبعدما كان رأي الجميع انه من الضروري ان يهب اصحاب الارادة الطيبة لمساعدة «نيك دك» و«باتاك» اصبحوا يرون الان ان ذهاب السيد «كولتز» ورفيقيه لمساعدتهما عمل طائش ومتهور. فما احلى النتيجة حين تضاف الى الكارثة الاولى كارثة ثانية! فما من احد يشك بأن حارس الاحراج والدكتور «باتاك» قد ذهبا ضحية محاولتهما الدخول الى القصر. فماذا ينفع إذاً ان يعرض السيد «كولتز» ورفيقاه انفسهم ليكونوا ضحية غيرتهم؟ واي تقدم يتحقق عندما ستبكي الابنة والدها كما تبكي الان خطيبها، وعندما سيلوم اصدقاء الراعي وصاحب النزل انفسهم على خسارتهما؟.

هذا هو الجو الذي ساد قرية «ورست» بعد رحيل السيد كولتز ورفيقيه. فعم الاسف القرية ولم يكن هناك مايشير الى ان هذه الموجة ستنحسر عما قريب. فعلى افتراض ان السيد كولتز ورفيقيه لن يصابوا بأذى فلا يمكن توقع عودتهم قبل ان يغلف الظلام التلال المجاورة. وكم كانت الدهشة كبيرة إذاً لما شوهدوا حوالي الثانية من بعد الظهر في البعيد في اخر الطريق! وبأية عجلة سارعت «ميريوتا» التي ابلغت بالامر الى ملاقاتهم!



سارعت «مريوتا» الى ملاقاتهم.

لم يكونوا ثلاثة بل اربعة. وكانت «ملامح» الرابع تدل على انه الدكتور «باتاك» وهنا صرخت الصبية المسكينة:

ـ «نيك»... حبيبي.. اليس «نيك» بينهم؟

بلى. كان «نيك» بينهم، ولقد كان ممدداً على حمالة صنعت من اغصان الاشجار وحملها «جوناس» والراعي بمشقة. واندفعت «مريوتا» نحو خطيبها وانحنت فوقه وضمته بين ذراعيها وراحت تصرخ: لقد مات.. لقد مات. فاجاب الدكتور «باتاك»: كلا لم يمت ولكنه كان يستحق الموت وانا كذلك.

والحقيقة ان حارس الاحراج كان قد فقد وعيه. فاعضاؤه متشنجة، ووجهه مصفر، وتنفسه يكاد لا يحرك صدره. اما الدكتور، فاذا لم يكن وجهه خاليا من اللون كوجه رفيقه فأن السير اعاد اليه لونه العادي الاحمر كالقرميد.

لم يتمكن صوت «مريوتا» الناعم المؤثر من ان ينتشل «نيك دك» من هذا السبات العميق الذي غرق فيه وهكذا اعيد الى القرية ووضع في غرفة السيد «كولتز» ولم يكن بعد قد نبس ببنت شفة. وبعد لحظات انفتحت عيناه وما ان شاهد الصبية «مريوتا» منحنية فوق سريره حتى ارتسمت بسمة على شفتيه. ولكنه لما حاول النهوض لم

يتمكن من ذلك. فلقد كان قسم من جسمه مشلولا كما لو كان مصابا بفالج نصفي. ولكنه اراد ان يطمئن «مريوتا» فقال لها بصوت ضعيف خافت:

ـ سيكون الامر بسيطاً.. بسيطاً.

ـ ياحبيبي المسكين يانيك..

ـ هذا قليل من التعب ياعزيزتي مريوتا. وقليل من التأثر والانفعال. وسيزول كل شيء بسرعة.. وسأشفى بفضل عنايتك..

كان يلزم المريض الراحة والهدوء. فغادر السيد «كولتز» الغرفة تاركاً «مريوتا» بالقرب من حارس الاحراج الشاب الذي لم يكن ليتمنى ممرضة اكثر منها نشاطاً ومثابرة فاطمأن ولم يمض وقت قصير حتى استسلم للنوم.

وفي هذا الوقت كان صاحب النزل يروي ماجرى معهم منذ انطلاقهم وقد رفع صوته ليسمعه الحاضرون جيداً.

بعدما وجد السيد «كولتز» والراعي «فريك» و«جوناس» الطريق التي سلكها «نيك دك» والدكتور «باتاك» اتجهوا عبرها نحو قصر «الكاربات» وظلوا يصعدون في منحدر «البلازا» حوالي الساعتين. ولما اصبحوا على بعد نصف ميل من طرف الغابة، اطل عليهما

رجلان. انهما «نيك دك» والدكتور «باتاك»! الاول مجهول القوى وما لبث ان وقع على جذع شجرة والثاني رجلاه شبه معطلتين يكاد لايقوى على المشي. فأسرعوا الى الدكتور «باتاك» يسألونه عما جرى ولكنهم لم يظفروا منه بكلمة واحدة لأنه كان في حالة من الذهول لاتسمح له بالاجابة. وعندها وكلمح البصر صنعوا حمالة من اغصان الاشجار ومددوا «نيك دك» فوقها وساعدوا «باتاك» على النهوض على رجليه. ثم حمل السيد «كولتز» والراعي الحمالة وتوجه الجميع نحو «ورست». وكان «جوناس» يريح على التوالي مرة السيد «كولتز» واخرى الراعي «فريك».

اما لماذا كان «نيك دك» في تلك الحالة؟ وهل استكشف ابنية القصر؟ فلا احد منهم كان يعرف ذلك لان الدكتور «باتاك» لم يكن قد استعاد وعيه بعد ليُلَبّي فضولهم.

واذا كان «باتاك» لم يتكلم في ذلك الحين فلابد ان يتكلم الان. فلقد اصبح في مأمن، الان وفي القرية بين اصحابه وعملائه. ولم يعد من داع للخوف من الارواح هناك.. حتى ولو كانت الارواح اجبرته على القَسَم بألا يخبر شيئاً عما رآه في قصر «الكاربات» فان المصلحة العامة تفرض عليه ان يحنث بوعده.

اما السيد «كولتز» فتوجه الى الدكتور «باتاك» وقال له:

«تنشط يادكتور واسترجع ذكرياتك واخبرنا..

ـ اتريدون ان اتكلم؟

ـ باسم اهالي «ورست» يادكتور ولضمان امن القرية، اني أمرك بأن تتكلم.

ثم احضر «جوناس» للدكتور قدحا من مشروب الراكيو الذي ساعده على استعادة طلاقة لسانه فراح يتكلم بجمل متقطعة:

«ذهبنا نحن الاثنين.. «نيك» وانا.. مجانين.. مجانين لقد قضينا مايقارب النهار بكامله لعبور تلك الغابات اللعينة.. ووصلنا مع المساء امام ابنية القصر.. اني مازلت ارتعد بسبب ماحدث.. وسأرتعد طول حياتي.. واراد «نيك» الدخول الى ساحة القصر.. نعم كان يريد تمضية الليل داخل البرج.. لنقُل في غرفة نوم الشيطان الاكبر».. وكان الدكتور «باتاك» يروي ذلك بصوت اجش الى حد ان سامعيه كانوا يرتعشون لسماعه. وتابع الدكتور «باتاك»: «لم اوافقه الرأي.. لا.. لم اوافقه.. وماذا كان سيحل بنا لو استسلمت لرغبات «نيك دك»؟ ان شعري ينتصب حين افكر بالامر»..

ولما كان شعر الدكتور ينتصب فوق جمجمته فقد كانت

اصابع يده تتجول فيه بصورة آلية. وتابع الدكتور «اقتنع «نيك دك» بأن ننام على هضبة «الاورغال».. ويالها من ليلة.. يا اصدقائي.. يالها من ليلة!.. كيف يمكن ان يرتاح المرء حين لاتدعه الارواح ينام ساعة.. لا ولا ساعة واحدة!.. وفجأة ظهرت اشباح من نار بين الغيوم.. مسوخ عجيبة تتسارع نحو الهضبة لافتراسنا.. واتجهت جميع الانظار نحو السماء لترى اذا ماكانت مسرحا للاشباح تعدو فيها.

وتابع الدكتور «باتاك»: «وبعد لحظات بدأ جرس الكنيسة يسمع ضربات متتالية».

ولكن كل الآذان تركزت نحو الافق واكثر من واحد بين الحاضرين ظن انه يسمع دقات بعيدة لفرط ماكانوا متأثرين برواية الدكتور الذي تابع يقول:

«وفجأة ملأت الفضاء انات مرعبة.. او عواء وحوش مفترسة.. ثم تدفق نور من نوافذ البرج.. لهب جهنمي أنارَ الهضبة بكاملها حتى غاب التنوب.. وراح كل منا، انا «ودك»، ينظر الى الاخر.. ياله من منظر مرعب.. لقد كنا اشبه بجثتين.. جثتين تبدو الواحدة امام الاخرى كالمسخ بفعل تلك الانوار الشاحبة».

ومن ينظر الى الدكتور «باتاك» في تلك اللحظة بوجهه

المنقبض وعينيه المجنونتين لابد ان يتساءل اذا ما كان حقا عائدا من العالم الاخر حيث ارسل حتى الان الكثير من امثاله. كان من الضروري ان يتركوه يلتقط انفاسه اذ كان عاجزا عن متابعة روايته. وقد كلف ذلك «جوناس» كأساً ثانية من «الراكيو» الذي بدأ انه يعيد الى الدكتور «باتاك» جزءاً من عقله الذي كانت الارواح قد افقدته اياه.

واستأنف السيد «كولتز» الحوار فسأل الدكتور:

«وماذا حل اخيرا بالمسكين «نيك دك»؟» ولم يكن هذا السؤال مجانا. فالسيد «كولتز» كان يعلق اهمية كبرى على جواب الدكتور لان حارس الاحراج الشاب كان هو المقصود شخصياً حين سمعت اصوات الجن في الصالة الكبرى في نزل «الملك ماتياس».

فاجابه الدكتور «باتاك» قائلا: «اليكم مابقي في ذاكرتي. كان النهار قد طلع... وكنت توسلت الى «نيك دك» ان يتخلى عن مشروعه.. ولكنكم تعرفونه.. لاشيء يرجى من رجل عنيد مثله.. فنزل الى الخندق.. وكنت مجبرا على اللحاق به لانه كان يسيطر عليّ ويجذبني.. وعلى كل حال لم اكن اعي ما افعل. فقد تقدم «نيك» حتى تحت البوابة الكبرى.. وامسك بجنزير الجسر المتحرك وارتفع عليه بموازاة السور.. وفي تلك اللحظة استعدت وعيي وشعرت

بما نحن فيه.. ولم يفت الوقت بعد لايقاف هذا المتهور
الطائش.. بل اقول هذا المدنس الخارق للقدسيات..
وللمرة الاخيرة امرته بان ينزل ويتراجع لنأخذ معا طريق
العودة الى «ورست».. فصرخ في وجهي: كلا.. وعندما
اردت ان اهرب وليس بينكم من كان ليفكر بغير ذلك لو كان
مكاني.. ولكن عبثا حاولت الارتفاع عن الارض. اذ كانت
رجلاي مسمرتين فيها.. مثبتتين.. مجذرتين راسختين..
وحاولت ان انتزعهما.. فكان الامر مستحيلا.. وحاولت
ان اقاوم ولكن بلا جدوى».. وكان الدكتور «باتاك» وهو
يقلد حركات رجل يائس ممسوك برجليه يبدو وكأنه ثعلب
اطبق عليه الفخ.. ثم عاد الى روايته قائلا: «وفي هذه
اللحظة سمعت صرخة.. ويالها من صرخة.. انه «نيك»
يصرخ.. افلتت يداه الجنزير وبدأ يهبط نحو اسفل
الخندق كما لو ان يدا سحرية ضربته».

ومما لاشك فيه ان الدكتور روى الامور كما حصلت من
دون ان تضيف اليها مخيلته شيئاً رغم شدة اضطرابها.
وهكذا حدثت تلك الاعاجيب على هضبة «الاورغال»
وهكذا رواها. اما الاحداث التي تبعت سقوط «نيك دك»
فهي التالية: اغمي على حارس الاحراج،وكان الدكتور
«باتاك» عاجزا عن مساعدته لان حذاءه كانت مسمرة في

الارض ورجليه المتورمتين لاتخرجان منها.. وفجأة زالت
تلك القوة غير المنظورة التي كانت تشده الى الارض..
وتحررت رجلاه.. فاسرع نحو رفيقه وكان ذلك عملاً
شجاعاً يفتخر به.. فرطب وجهه بمنديله الذي بلله في مياه
القناة.. حتى استعاد حارس الاحراج وعيه ولكن ذراعه
اليسرى وقسما من جسمه كانا مجمدين لايستطيع
تحريكهما بسبب تلك الصدمة الرهيبة.. ورغم ذلك تمكن
«نيك دك» وبمساعدة الدكتور «باتاك»، من النهوض
والصعود عبر منحدر الخندق الى سطح الهضبة.. ثم
اخذا طريق العودة نحو القرية.. وبعد ساعة من المشي بلغ
الالم في ذراع «نيك دك» وجنبه مبلغا اجبره على التوقف..
واخيرا وفيما كان الدكتور «باتاك» يهم بالذهاب الى
«ورست» طلبا للنجدة وصل السيد «كولتز» ومعه
«جوناس» و«فريك» في الوقت المناسب. اما فيما يتعلق
بحالة حارس الاحراج الصحية ومدى خطورتها فقد كان
الدكتور «باتاك» يتحاشى اعطاء رأيه فيها رغم انه كان
يظهر عادة ثقة بالنفس نادرة حين يتعلق الامر بحالة
مرضية. وكان يردد على مسامع سائليه وبلهجة قاطعة:
«اذا كان المرء مصابا بمرض طبيعي يعد الامر خطيرا، اما
ان يكون المرء مصابا بمرض فائق الطبيعة من صنع

الشيطان فلا احد يستطيع ان يشفيه منه الا الشيطان نفسه».

وبغياب التشخيص الواضح للمرض فأن هذا التكهن لم يكن مطمئنا «لنيك دك». ولحسن الحظ ان كلام الدكتور «باتاك» لم يكن كلاما مقدسا. فكم من الاطباء منذ زمن «ابقراط» و«جالينوس» اخطأوا! وكم من الاطباء يخطئون يوميا وهم يتفوقون على الدكتور «باتاك». واما حارس الاحراج فكان شابا صلبا. وكانت بنيته القوية تسمح له بأن يأمل بالتغلب على مرضه من دون تدخل الشيطان شرط ان لايتقيد كثيرا بتعليمات المعرض السابق في المحجر الصحي.

الفصل الثامن

ان هكذا حوادث ما كانت لتهدىء من روع سكان «ورست» كما لم يعد من مجال للشك الان. فالتهديدات التي اطلقها «فم الشبح»، على مسامع عملاء «الملك ماتياس» لم تكن عبثا ولم تذهب هباء. وان «نيك دك» الذي ضرب بهذا الشكل الغامض، تلقى عقابا على عصيانه وجسارته. اليس ذلك رسالة واضحة الى كل من تسوّل له نفسه ان يحذو حذوه؟ وابرز مايجب استنتاجه من تلك المحاولة المفجعة هو انه ممنوع منعا باتا الدخول الى قصر «الكاربات». وكل من يحاول ذلك سيعرض حياته للخطر. ولو استطاع حارس الاحراج اجتياز السور الى داخل القصر لما قدر له ابدا ان يظهر من جديد في القرية. وهذا امر لاجدال فيه.

وخلال الاسبوع الاول من حزيران لم يخاطر احد في الخروج من القرية ولو ليقوم باشغاله الزراعية. الا يمكن ان تسبب اي ضربة معول ظهور شبح مخبأ في احشاء الارض؟ الا يمكن ان تطير سكة المحراث اذا ماشقت

الثلم•، جماعات من العفاريت ومصاصي الدماء؟ الا يمكن ان تنبت بذور الشياطين حيث تزرع حبوب الحنطة؟ وكان الراعي «فريك» يقول بلهجة الواثق المقتنع: «كل هذا يمكن ان يحدث». وهو من جهته كان يمتنع كليا عن رعاية اغنامه في مراعي النهر.

هكذا صار الرعب يملأ القرية. فالعمل في الحقول كان متروكا كليا حيث ظلوا يلزمون بيوتهم والابواب والنوافذ مقفلة اما السيد «كولتز» فلم يكن يعلم اي موقف يتخذ ليعيد الى مواطنيه الثقة التي كانت تنقصه شخصيا على كل حال. وقد قرّ الرأي اخيرا على ان السبيل الوحيد الى ذلك هو نقل الامر الى السلطات في «كولو سفار» والطلب اليها ان تتدخل.. ونعود الى قصة الدخان هل كان لايزال يظهر على رأس مدخنة البرج؟ نعم لقد سمح المنظار عدة مرات بمشاهدة الدخان يتصاعد من المدخنة وسط الضباب الذي كان يزحف على سطح هضبة «الاورغال»! والغيوم! هل كانت في الليل تصطبغ بالاحمرار وكأنها تعكس وهج حريق ما؟ نعم. كانت هذه الغيوم تبدو وكأنها نفثات ملتفة من الدخان الملتهب يحوم فوق القصر. والانين

• الثلم: ماتشقه سكة الفلاح من الارض.

الذي طالما ارعب الدكتور «باتاك»؟ هل كان يتماوج عبر مرتفعات «البلازا» مخلفا ذعراً كبيراً لدى سكان ورست؟ نعم، او في الاقل كانت الرياح الجنوبية الغربية تحمل معها رغم بعد المسافة هديرا مخيفا يردد اصداءه الممر الجبلي وبالاضافة الى ذلك وعلى ذمة هؤلاء الناس المذعورين فان الارض كانت مضطربة بسبب ارتجاجات جوفية كما لو ان فوهة بركان قديم قد اشتعلت من جديد في سلسلة جبال «الكاربات». ولكن ربما كان الكثير من المبالغة فيما كان اهالي «ورست» يعتقدون انهم يرون ويسمعون ويشعرون. ومهما يكن من امر فقد حدثت وقائع ثابتة اكيدة وملموسة سنتوافق• بشأنها لاحقاً. ولم يعد من مجال للعيش في بلد تسيطر عليه الاحداث الخارقة الى هذا الحد. وغنيٌّ عن القول ان نزل «الملك ماتياس» بقي مقفرا. فلو كان محجراً صحياً في زمن الاوبئة المعدية لما ابتعد عنه الناس بهذا الشكل. ولم يكن احد يجرؤ على تخطي عتبته. وفيما كان «جوناس» يتساءل اذا ما كان انقطاع العملاء سيؤدي به الى الاقفال وصل مسافران الى النزل وتبدلت الحال.

• سنتوافق: سنتساعد.

واليكم ماجرى. مساء التاسع من حزيران وحوالي الساعة الثامنة رفع مزلاج الباب الرئيس للنزل من الخارج. ولكن هذا الباب المحكم الاقفال من الداخل لم ينفتح.

كان «جوناس» في هذا الوقت قد أوى الى غرفته فاسرع في النزول. وكانت تتجاذبه حالتان: الامل بأن يجد عميلا في انتظاره والخوف من ان يكون هذا العميل احد اولئك العائدين من القبور من ذوي الوجوه الكالحة فلا يعود يعرف «جوناس» كيف يرفض استقباله. وراح «جوناس» يحاور بحذر عبر الباب دون فتحه. فسأل اولا:

ـ «من الطارق؟

ـ نحن مسافران.

ـ مسافران حيان.

ـ جدُّ حيّين.

ـ هل انتما متأكدان من ذلك؟

ـ حيان بقدر ما يمكن للمرء ان يكون حياً ياصاحب النزل ولكننا لن نلبث ان نموت جوعاً اذا دفعت بك القساوة الى ان تتركنا خارجاً».

وقرر «جوناس» ان يسحب مزلاج الباب ويفتحه فدخل الى النزل رجلان.

وما ان دخلا حتى طلبا غرفتين، واحدة لكل منهما. لانهما كانا ينويان تمضية اربع وعشرين ساعة في «ورست». وتفحص «جوناس»، بدقة متناهية على ضوء قنديله، القادمين الجديدين وتأكد له انه يتعامل مع مخلوقين بشريين. يالحسن حظ نزل «الملك ماتياس»!!

وكان اصغر المسافرين يبدو في الثانية والثلاثين من عمره: قامة ممشوقة، ووجه جميل عليه سمة النبل وعينان سوداوان وشعر كستنائي داكن ولحية بنية مشذبة انيقة وسيماء حزينة لكن المحيا ينضح بالفخر. انها ملامح رجل شريف نبيل. وصاحب نزل دقيق المراقبة «كجوناس» لايمكن ان يخطىء فيه. اضف الى ذلك انه عندما سألهما «جوناس» عن اسميها لتسجيلهما اجاب الشاب:

ـ «الكونت فرانز دي تلك» ومرافقه الجندي «روتزكو».

ـ من اي بلد انتما؟

ـ من «كراجوا». اجاب الكونت.

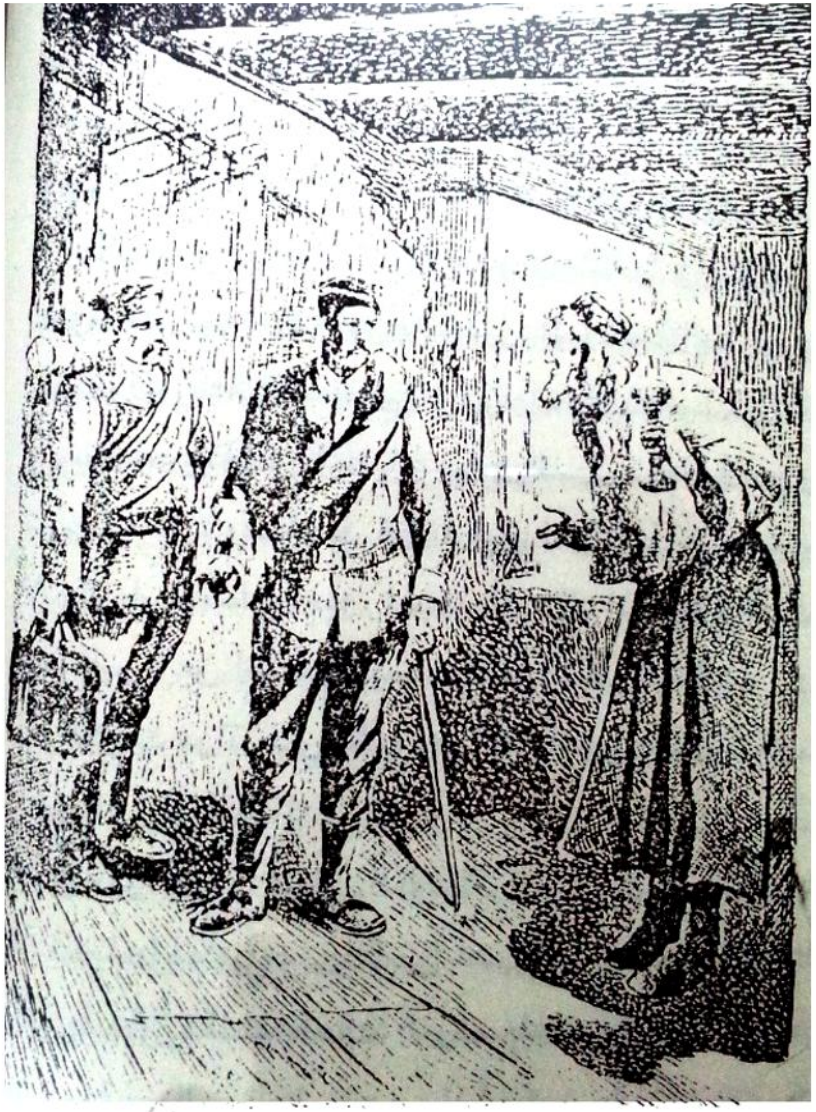
«كراجوا» هي واحدة من اهم بلدان الدولة الرومانية وهي مجاورة للمقاطعات الترنسيلفانية للجهة الجنوبية لسلسلة جبال «الكاربات». واذاً يكون «فرانز دي تلك» روماني الاصل. وهذا ماعرفه «جوناس» منذ النظرة الاولى.

اما «روتزكو» فرجل في الاربعين، طويل القامة، صلب العود، كثيف الشاربين، كثّ الشعر، شعر بدنـه خشن ويظهر بمظهر الرجل العسكري. كان يحمل كيس الجندي مشدودا الى كتفه بحمالات وفي يده حقيبة خفيفة وتلـك جميع اغراض الكونت الذي كان يسافر كسائح وسيرا على الاقدام في غالب الاحيان. وكان يشير الى ذلك هندامه: معطف له حمالة وقبعة مخصصة لقطع الجبـال وسترة مشدودة على قامته بزنار يتدلى منه غمد من جلد لخنجر من بلاد «الفالاك» ولفافات حول ساقيه محكمة بشكل دقيق على فردتي حذائه العريض السميك النعل.

وهذان المسافران لم يكونا الا الرجلين اللذين التقى بهما الراعي «فريك» على طريق الممر الجبلي منـذ عشرة ايام وكانـا متجهين نحـو «الراتيـازات». وبعد ان زارا المنطقة حتى حدود «المارو» وصعدا الجبل هناك جـاءا ليأخذا قسطا من الراحة في قريـة «ورست» استعدادا لاجتياز وادي النهرين. وسأل الكونت «فرانز دي تلك» صاحب النزل:

ـ «هل لديك غرف تؤجرنا اياها؟

ـ لدي اثنتان.. ثلاث... اربع.. بقـدر مايطيب لسيـدي الكونت.



تفحص جوناس القادمين الجديدين

ـ اثنتان تكفيان على ان تكونا مجاورتين الواحدة للاخرى».

وفتح «جوناس» بابي غرفتين على طرف الصالة الكبرى وقال: ـ «اتناسبكما هاتان الغرفتان»؟

ـ «جيد جداً». اجاب الكونت «فرانز دي تلك».

لقد بات واضحاً ان «جوناس» لم يعد يخشى شيئاً لدى ضيفيه الجديدين اذ لم يكونا ابدا من الكائنات الفائقة الطبيعة او من الارواح التي اتخذت اشكال البشر من جديد. لا! وهذا الرجل النبيل كان يبدو واحدا من تلك الشخصيات المميزة التي يشرف صاحب النزل ان يستقبلها. وانها مناسبة سعيدة ستعيد نزل «الملك ماتياس» الى سابق عهده من الشهرة. ثم سأل الكونتُ «جوناسَ»:

ـ «كم تبعد كولوسفار» من هنا؟

ـ حوالي الخمسين ميلا اذا سلكت ياسيدي الكونت الطريق التي تمر «بيتروزني».و«كارلسبورغ».

ـ وهل السفرة متعبة الى هناك؟

ـ متعبة جدا اذا ذهبت سيرا على الاقدام ياسيدي الكونت. واذا سمحت لي ان ابدي هذه الملاحظة فانك ياسيدي الكونت بحاجة الى الراحة لبضعة ايام».. فقطع

الكونت حديث «جوناس» وسأله:

ـ «هل يمكن ان نتعشى؟

ـ صبرا نصف ساعة وسيشرفني ان اقدم لحضرة الكونت وجبة تليق بمقامه.

ـ يكفينا لهذا المساء خبز وبيض ولحم بارد

ـ سأحضرها لكما.

ـ بأسرع مايمكن.

ـ في الحال سيدي الكونت».

وكان «جوناس» يستعد للذهاب الى مطبخه حين استوقفه الكونت سائلا:

ـ «لايبدو ان لديك الكثير من العملاء في نزلك؟

ـ بالفعل. لا نزلاء في نزلي في الوقت الحاضر سيدي الكونت.

ـ ليست الان اذاً الساعة التي يأتي فيها اهل البلد ليشربوا خمرتهم ويدخنوا غليوناتهم.

ـ لقد فات الوقت ياسيدي الكونت. فالناس هنا ينامون باكرا جداً».

لم يكن «جوناس» يريد ان يقول السبب الحقيقي لخلو النزل حتى من عميل واحد. ولكن الكونت تابع قائلاً:

ـ «الا تعد قريتكم بين اربعمئة وخمسمئة شخص؟

ـ تقريبا سيدي الكونت.

ـ ومع ذلك لم نلتق انسانا حيا في الشارع الرئيس

ـ ذلك.. ان اليوم.. هو يوم السبت.. عشية الاحد..

ولم يلح «فرانز دي تلك» في السؤال. وهذا لحسن حظ «جوناس» الذي لم يكن يعرف بم يجيب وهو لم يكن مستعدا، مهما كان الثمن ان يبوح بالسر. فان علم الغريبان بالامر الان فقد يسرعان في الهرب من قرية مشبوهة وبحق.

راح «جوناس» يجهز المائدة في وسط الصالة وهو يتمنى في سره أن لايعود الصوت الغامض الى الثرثرة اثناء تناول الكونت ورفيقه وجبة العشاء. وبعد لحظات كانت وجبة الطعام البسيطة التي طلبها الكونت الشاب قد قدمت بنظافة تامة على شرشف ابيض. وجلس «فرانز دي تلك» الى المائدة وجلس «روتزكو» قبالته كما جرت العادة خلال سفرهما ثم اكل الاثنان بشهية فائقة وبعد العشاء، دخل كل الى غرفته.

وبما ان الكونت و«روتزكو» لم يتبادلا عشر كلمات خلال العشاء لذا لم يتمكن «جوناس» من المشاركة في حديثهما مما سبب له انزعاجاً حاداً. وعلى كل حال يبدو ان «فرانز دي تلك» لم يكن كثير التخالط. ولاحظ صاحب

النزل بعد مراقبته «روتزكو» مراقبة دقيقة انه لايمكنه ان يحصل من هذا العسكري على اي تفصيل حول عائلة سيده وكان على «جوناس» ان يكتفي اذاً بتمني ليلة سعيدة لضيفيه. ولكن قبل ان يصعد الى علّيته اجال بنظره في انحاء الصالة الكبرى مصغياً بقلق لاقل حركة في الداخل والخارج ومكررا في سره: «المهم ان لا يوقظهما ذلك الصوت البغيض».

وهكذا انقضى الليل بسلام.

وفي اليوم التالي ما ان انبلج الفجر حتى انتشر خبر وجود مسافرين في نزل «الملك ماتياس» فتجمع عدد من سكان القرية امام النزل. وكان «فرانز دي تلك» و«روتزكو» لايزالان نائمين نتيجة التعب الذي سببته لهما رحلة الامس. ولم يكونا ينويان النهوض من النوم قبل الساعة السابعة او الثامنة. وذلك ادى الى ازدياد التلهف عند الفضوليين الذين ـ على كل حال ـ ماكانوا يجرؤون على دخول الصالة الكبرى مادام المسافران في غرفتيهما.

واخيراً اطل الاثنان في تمام الساعة الثامنة. ولم يحدث لهما اي مكروه خلال الليل. وها هما ذان يروحان ويجيئان في النزل. ثم يجلسان لتناول وجبة الفطور. وكل ذلك كان يزيد من الطمأنينة والامان. ومن جهة اخرى كان

«جوناس» واقفاً على عتبة النزل يبتسم بتحبب ويدعو عملاءه القدامى لاستعادة الثقة به.

اما المسافر الذي يتشرف نزل «الملك ماتياس» بحضوره فهو من النبلاء الرومانيين ومن احدى اقدم العائلات الرومانية. فاي شيء يخشى مع رفيق نبيل كهذا؟ وفكر السيد «كولتز» ان من واجبه ان يعطي المثل الصالح فقرر المخاطرة في سبيل ان يثبت وجوده.

وحوالي التاسعة دخل السيد «كولتز» الى النزل مع بعض التردد. وبعد قليل تبعه المعلم وثلاثة او اربعة من رواد النزل ثم الراعي «فريك». اما الدكتور «باتاك» فلقد كان من المستحيل اقناعه بمرافقتهم. وكان يردد: «لن تطأ قدمي نزل «جوناس» ابدا حتى ولو دفع لي عشر ليرات لقاء كل زيارة». وارى من المناسب هنا ان نشير الى ملاحظة لاتخلو من الاهمية: اذا كان السيد «كولتز» قد وافق على العودة الى «الملك ماتياس» فلم يكن فعله هذا بهدف ارضاء فضوليته فقط ولا لتلبية رغبة في التعرف الى الكونت «فرانز دي تلك»، وانما كان للمصلحة المادية اثر كبير في موافقته هذه. وبالفعل فالكونت الشاب وبوصفه مسافرا كان ملزما بدفع رسم مرور عنه وعن مرافقه. ولا ننسى ان هذه الرسوم تعود الى جيب السيد «كولتز»

بوصفه القاضي الاول في «ورست». ولذا فانه جاء الى نزل «الملك ماتياس» ليطالب بحقوقه بكثير من اللياقة. اما الكونت «فرانز دي تلك» فسارع الى دفع هذه الرسوم وان كان هذا الطلب قد فاجأه قليلا. وقد عرض فوق ذلك على السيد «كولتز» والمعلم «هرمود» ان يجالساه لفترة. فنزلا عند رغبته اذ لم يكن بوسعهما ان يرفضا دعوة وجهت اليهما بمثل ذلك التهذيب.

واسرع «جوناس» في تقديم المشروب على انواعه ومن افضل مافي خمارته. بعض اهالي «ورست» طلبوا عندئذ المشروب على حسابهم الخاص. وهكذا بدا ان العملاء القدماء الذين تفرقوا لفترة من الزمن لن يتأخروا في العودة الى نزل «الملك ماتياس».

وبعدما سدد «فرانز دي تلك» رسم المرور اراد ان يعرف ما اذا كان هذا الرسم مدرارا فاجاب السيد كولتز.

- «ليس بالقدر الذي نريده. سيدي الكونت.

- الا يزور الاجانب هذه المنطقة من ترانسيلفانية؟

- نادرا جدا مايفعلون ياسيدي الكونت رغم ان هذه المنطقة جديرة بالاستكشاف والزيارة.

- هذا هو رأيي. وان مارأيته منها بدا لي جديرا بلفت انتباه المسافرين واثارة اهتمامهم. عندما كنت على قمة

«الراتيازات» نظرت بكثير من الاعجاب الى الاودية والى القرى التي تبرز لجهة الشرق والى هذا المدرج من الجبال التي تنتهي بسلسلة مرتفعات جبال «الكاربات»».

فرد المعلم «هرمود»: «انه لمنظر جميل جدا، ياسيدي الكونت، جميل جدا. لكي تكمل رحلتك فاننا ننصحك بأن تصعد الى قمة «بارينغ».

- نهار واحد يكفيك ياسيدي الكونت.

- من دون شك. ولكني ذاهب الى «كارلسبورغ» وانوي الانطلاق صباح غد».

وهنا تدخل «جوناس» وهو الذي ماكان ليتكدر ابدا لو اطال زائره الاقامة عنده فقال بلطف زائد:

- «ماذا؟ هل يفكر سيدي الكونت بمغادرتنا بهذه السرعة؟

- لابد من ذلك. وبالتالي ما الفائدة من الاقامة في «ورست»؟

- صدقني، قال السيد «كولتز»، ان في قريتنا مايستحق ان يتوقف عنده السائح لبعض الوقت».

فأجابه الكونت:

- «ومع ذلك يبدو انها ليست مقصودة كثيراً وهذا يعود في الغالب الى انه ليس في محيطها مايثير الفضول.

- بالفعل ليس هناك مايثير الفضول».

قال السيد «كولتز» هذا وهو يفكر في ابنية القصر، وردد المعلم «هرمود» بعده:

- «لا.. ليس هناك مايثير الفضول»..

اما الراعي «فريك» فلم يتمالك نفسه عن التعبير عن تعجبه من هذا الكلام فخرجت من فمه تأوهات متتالية:

«أوه... أوه... أوه»..

يالها من نظرات تساقطت على «فريك» من السيد «كولتز» والاخرين وخصوصاً من صاحب النزل. ولكن هل من الضروري ان تكشف اسرار المنطقة امام الغرباء؟ وهل من الضروري الكشف عما يجري على هضبة «الاورغال»، ولفت الانتباه الى قصر «الكاربات»؟ الم يكن ذلك كمن يريد تخويف المسافر ودفعه الى مغادرة القرية؟ ومَنْ مِنَ المسافرين بعد سيسلك في المستقبل طريق مضيق «الفولكان» للدخول الى ترانسيلفانية؟ حقا ان هذا الراعي لم يظهر من الذكاء اكثر مما نجد عند اخر خروف من خرافه. فقال له السيد «كولتز» بصوت خافت: «اصمت ايها الابله.. اصمت»... اما وقد اثارت تأوهات الراعي فضولية الكونت الشاب فقد وجه كلامه اليه مباشرة وسأله ماذا يعني بتأوهاته المليئة بالتعجب. ولم يكن الراعي من النوع الذي يتراجع. وربما كان يعتقد في



قلت اوه.. اوه.. سيدي الكونت

اعماقه ان «فرانز دي تلك» قد ينصح بامر تستفيد القرية منه. لذا تابع حديثه مع الكونت ثائلاً:

- «قلت: اوه.. اوه.. سيدي الكونت. ولن اتراجع عن قول قلته ابدا.

- هل في محيط «ورست» من الروائع مايوجب زياته»؟

فسارع السيد «كولتز» الى التساؤل قائلاً:

- «اية روائع؟ ومن اين»؟

وصرخ الحاضرون بصوت واحد:

- «لا.. لا.. لا روائع ابدا».

وكان الحاضرون من اهالي «ورست» قد ارتعدوا لمجرد التفكير بأن محاولة ثانية للدخول الى القصر قد تجر عليهم ويلات جديدة.

ولاحظ «فرانز دي تلك» مع بعض الدهشة ان هؤلاء الطيبين يعبرون عبر ملامح وجوههم عن الرعب بمختلف اشكاله فسألهم:

- «ما الامر ياترى»؟

فاجابه مرافقه «روتزكو»:

- الامر ياسيدي، كما يبدو، ان هناك قصر «الكاربات»..

وانتفض الكونت سائلاً:

- «قصر «الكاربات»؟

ـ نعم ياسيدي.. هذا هو الاسم الذي همس به في اذني هذا الراعي».

قال «روتزكو» هذا واشار الى الراعي الذي كان يهز راسه مؤكدا من دون ان يجرؤ على النظر الى السيد «كولتز».

والان فتحت ثغرة في جدار الحياة الخاصة لتلك القرية المليئة بالاوهام والخرافات وسرعان ما ستتسرب كل قصتها من خلال هذه الثغرة.

اما السيد «كولتز» الذي نال حصته من تلك الخرافات والاوهام فقد اراد ان يشرح بنفسه الموقف بكامله للكونت الشاب فراح يخبره بكل مايتعلق بقصر «الكاربات» ويدور حوله.

وغني عن القول ان «فرانز دي تلك»، لدى سماعه هذه القصة، لم يتمكن من اخفاء الدهشة التي تملكته ولا المشاعر التي ولدتها فيه. وعلى الرغم من ان معلوماته في امور العلم كانت ضعيفة كسائر الشبان الذين في وضعه من يعيشون في قصورهم في عمق ارياف «الفالاك» فقد كان صاحب منطق سليم اذ كان لايؤمن بظهور الارواح. وكان يسخر كلياً من الاساطير. ولم تكن قصة الارواح التي تحوم حول قصر «الكاربات» الا لتزيد من ريبته

وشكه في الارواح والاساطير. وبرأيه، لم يكن فيما اخبره اياه السيد «كولتز» شيء خارق على الاطلاق. بل كان هنالك فقط بعض الاحداث المدبرة والموقعة والتي كان اهالي «ورست» يعتبرونها خارقة صادرة عن كائنات فائقة الطبيعة. فظاهرتا دخان البرج والجرس الذي كان يقرع بقوة يمكن تفسيرهما ببساطة كلية. اما الومضات البراقة والانات التي كانت تخرج من ساحة القصر المسورة فكلها نتيجة الوهم والتخيل والهذيان.

قال «فرانز دي تلك» ذلك ساخرا وبكل ارتياح مما ترك استنكارا عارما لدى سامعيه. وسارع السيد «كولتز» الى القول:

ـ ولكن، ياسيدي الكونت، هناك ايضا امور اخرى.

ـ امور اخرى؟

ـ نعم ياحضرة الكونت انه لمن المستحيل دخول قصر «الكاربات».

ـ صحيح؟

ـ منذ بضعة ايام اراد حارس احراجنا وطبيبنا ان يجتازا اسوار القصر اندفاعا منهما في سبيل القرية. فكادا يدفعان غاليا ثمن محاولتهما.

فسأل «فرانز دي تلك» السيد «كولتز» بلهجة ساخرة:

- وماذا جرى لهما؟

فسرد السيد «كولتز» بالتفصيل الحوادث التي جرت مع «نيك دك» والدكتور «باتاك». فقال الكونت الشاب:

- «هكذا اذن عندما اراد الدكتور «باتاك» ان يخرج من الخندق كانت رجلاه مشدودتين الى الارض بحيث لم يستطع ان يخطو خطوة واحدة الى الامام»...؟

- لاخطوة واحدة الى الامام ولا خطوة واحدة الى الوراء.

اضاف المعلم «هرمود». وتابع «فرانز دي تلك»:

- هذا ماظنه طبيبكم. لكن الحقيقة ان ماشعر به هو نتيجة الخوف الذي كان يتعقبه حتى اعقابه.

- فليكن ياحضرة الكونت اجاب السيد «كولتز». ولكن كيف نفسر الضربة الفظيعة التي عانى منها «نيك دك» عندما وضع يده على حديد الجسر المتحرك؟

- لقد كان ضحية لعبة قذرة.

- قذرة الى حد جعله طريح الفراش منذ ذلك الحين ياحضرة الكونت؟

- آمل ان لايكون في حالة خطر حتى الموت.

- لا ياحضرة الكونت ولحسن الحظ.

وفي الحقيقة كان الحادث امرا ملموسا لايمكن انكاره وكان السيد «كولتز» ينتظر التفسير الذي سيعطيه

الكونت «فرانز دي تلك». وهنا قال الكونت بكل وضوح:

«اكرر القول ان ليس في كل ماسمعته امر غريب. وانا لا اشك الان بأن هناك من يشغل قصر «الكاربات». من يشغله؟ لست ادري! ولكن ليسوا على كل حال من الارواح بل اناس لجأوا الى القصر ويريدون ان يختبئوا فيه. ولاشك انهم من الاشرار.

- من «الاشرار»! صرخ السيد «كولتز».

- هذا جد محتمل وممكن. وبما انهم يريدون ان لايعثر عليهم ابدا فقد حرصوا على الايحاء بأن في ابنية القصر مخلوقات فائقة الطبيعة.

فتعجب المعلم «هرمود» من هذا التحليل وقال:

- ماذا ياحضرة الكونت؟ اتعتقد ذلك؟

- اعتقد ان هذه المنطقة تؤمن كثيراً بالخرافات وتستسلم للاوهام. والمقيمون في القصر يعرفون ذلك وقد ارادوا بهذا الاسلوب من التصرف ان يتحاشوا زيارات المزعجين. لقد كان معقولا جدا ان تكون الاحداث جرت على هذا النحو لكن لن نعجب ابدا اذا لم يرد احد في «ورست» ان يسلم بهذا التفسير. وقد رأى الكونت الشاب انه لم يقنع سامعيه على الاطلاق لانهم ماكانوا يريدون ان يقتنعوا. لذا اكتفى بأن يضيف:

- «بما انكم لاتريدون ان تأخذوا بوجهة نظري وتحليلي فاستمروا ايها السادة في اعتقاد مايحلو لكم حول قصر «الكاربات».

فاجاب السيد «كولتز»:

- اننا نعتقد مارأينا ياحضرة الكونت».

واضاف المعلم «هرمود».

- «وما هو حاصل.

- اذاً فليكن. ولكني آسف حقا الا استطيع تمديد اقامتي اربعا وعشرين ساعة والا كنت قمت مع رفيقي «روتزكو» بزيارة لقصركم الشهير. وعندها نكون قد علمنا وبسرعة حقيقة مايجري فيه.

- تزوران القصر؟..

- بلا تردد. ياسيد «كولتز». والشيطان نفسه ماكان ليمنعنا من عبور السور». ولما سمع الحاضرون «فرانز دي تلك» يتكلم بعبارات ثابتة واكيدة وحتى ساخرة تملكهم رعب من نوع اخر. الا يكون التعاطي مع الارواح بهذه الخفة سبباً لكوارث اخرى تقع على القرية؟ الم تكن هذه الارواح تسمع مايقال في نزل «الملك ماتياس»؟ الن يعود الصوت مرة ثانية؟ اما السيد «كولتز» فقد اخبر الكونت الشاب كيف نودي حارس الاحراج باسمه وهدد بعقاب

فظيع ان هو صمم على اكتشاف اسرار ابنية القصر.

واكتفى «فرانز دي تلك» بأن هز كتفيه. ثم نهض من مكانه وهو يقول انه لايمكن ان يكون سمع صوت في الصالة كما كانوا يزعمون. انما كان كل ذلك من نسج خيال العملاء الذين يصدقون الاخبار بسرعة ويكثرون من شرب «الشنابس» في صالة «الملك ماتياس».

وعندئذ اتجه بعض الحاضرين الى الباب غير راغب في البقاء وقتاً اطول في مكان يتجرأ فيه هذا الشاب الشكاك على الدفاع عن هكذا نظريات وعندئذ استوقفهم «فرانز دي تلك» باشارة من يده وقال:

- «من المؤكد ايها السادة ان قرية «ورست» تعيش تحت تأثير الخوف».

فاجاب السيد «كولتز»:

- «وليس ذلك بلا سبب ياحضرة الكونت».

- «حسنا. ان هناك وسيلة ناجعة للتخلص من هذه المؤامرات التي تجري في قصر «الكاربات» كما تقولون. فبعد غد سأكون في «كارلسبورغ» وسأُعلم السلطات هناك بالامر اذا كنتم تريدون. وسيرسلون اليكم فرقة من رجال الشرطة وانا اؤكد لكم ان هؤلاء الشجعان سيعرفون جيدا كيف يدخلون الى القصر اما ليطردوا

اولئك المهرجين الذين يستغلون سذاجتكم واما ليضعوا حدا للاشرار الذين ربما يحضّرون لعمل شرير».

ليس هناك انسب من هذا الاقتراح، ومع ذلك فهو لم يلق القبول لدى وجهاء «ورست». فحسب رأيهم لا الشرطة ولا حتى الجيش نفسه قادر على النيل من هذه الكائنات الخارقة الي تعتمد للدفاع عن نفسها وسائل خارقة.

وعاد الكونت الشاب الى الكلام قائلا:

- الاحظ ايها السادة انكم لم تذكروا امامي بعد: من يملك او كان يملك هذا القصر؟

فاجاب السيد «كولتز»:

- انه ملك لعائلة قديمة من المنطقة هي عائلة البارونات «دي غورتز».

وصرح «فرانز دي تلك»:

- «عائلة «دي غورتز»؟
- هي ذاتها.
- العائلة التي ينتمي اليها البارون «رودولف»!
- نعم ياحضرة الكونت.
- وهل تعلم ياسيد «كولتز» ماذا حل به؟
- كلا فمنذ سنوات عديدة لم يظهر البارون «دي غورتز» في القصر».

واصفر وجه الكونت «فرانز دي تلك» وراح يردد بصورة آلية وبصوت متهدج: «رودولف دي غورتز»!

الفصل التاسع

ان عائلة كونت «دي تلك»، هي احدى اقدم عائلات رومانيا واكثرها شهرة، وكانت تحتل مركزاً مرموقاً قبل ان تنتزع البلاد استقلالها في اوائل القرن السادس عشر. وكان لها دور في كل الاحداث السياسية التي تكون تاريخ تلك المقاطعات. ويذكر هذا التاريخ اسمها بكل عظمة ومجد.

اما الان فقد تقلصت عائلة «دي تلك» الى فرع واحد هو فرع مدينة «كراجوا» واخر سليل من هذا الفرع هو ذاك الشاب النبيل الذي وصل الى قرية «ورست».

ولقد امضى «فرانز» طفولته في القصر العائلي حيث كان يقيم الكونت والكونتيسا «دي تلك» ولم يغادره قط. وكان افراد هذه العائلة يتمتعون باحترام وتقدير كبيرين وكانوا ينفقون من ثروتهم بسخاء. ورغم انهم كانوا يعيشون حياة الرخاء والترف التي يعيشها نبلاء الارياف فانهم

كانوا لايتركون مقر اقامتهم في «كراجوا» الا مرة واحدة في السنة حين تدعوهم اشغالهم للانتقال الى القرية التي تحمل هذا الاسم ولا تبعد الا بضعة اميال. وهذا النمط من الحياة اثر بشكل اكيد في تربية ابنهم الوحيد. اذ ظل «فرانز» متأثراً لمدة طويلة جدا بالبيئة التي امضى فيها ايام صباه. ولم يتعلم الا على يد معلم واحد وهو كاهن ايطالي عجوز لم يلقن «فرانز» الا ما كان يعرفه.. ولم يكن هذا الكاهن العجوز يعرف الشيء الكثير. وهكذا اصبح الولد شابا ولكنه لم يكتسب الا معلومات قليلة غير كافية في مجالات العلم والفن والادب المعاصر. وكان يمضي اوقاته عادة في الصيد بشغف وهوى وفي التنقل عبر الغابات والسهول ليل نهار وفي مطاردة الغزلان والخنازير البرية وفي مهاجمة الحيوانات البرية في الجبال متسلحا بخنجر. وبما ان الكونت الشاب كان شجاعاً وحازماً فقد حقق مآثر حقيقية في تلك الرياضات والممارسات.

وتوفيت الكونتيسا «دي تلك» وولدها لما يبلغ الخامسة عشرة بعد. كما لم يكن قد اتم الحادية والعشرين حين قضى والده الكونت نحبه على اثر حادث صيد وعندها بلغ الاسى من «فرانز» الشاب حده الاقصى. وبكى والده كما كان قد بكى والدته. فلقد فقد الاثنين خلال سنوات قليلة. واقتصر

كل حنانه وكل ماحوى قلبه من عواطف حتى الان على الحب البنوي الذي كان يكفي ربما للتعبير عن مشاعر الطفولة والصبا. اما الان وقد افتقد ذلك الحب مع فقد والديه، ومات مربيه، ولم يكن لديه اصدقاء اطلاقا، فقد وجد نفسه وحيدا في هذا العالم.

وهكذا بقي الكونت الشاب بعد ذلك ثلاث سنوات في قصر «كراجوا» يرفض ان يخرج منه. يعيش داخله من دون ان يفكر في اقامة علاقات مع الخارج. ولم يغادره الا مرة او مرتين الى «بوخارست» لان اعماله هناك كانت تجبره على ذلك. وكانت غيبته في كل مرة قصيرة اذ كان دائما مستعجلا للعودة الى قصره. الا ان هذا النمط من الحياة لم يكن ليدوم الى ما لانهاية وبدأ «فرانز» يشعر بحاجة لتوسيع آفاقه التي كانت تحدها الجبال الرومانية فقرر ان يطير فوقها ويتعداها.

وكان الكونت الشاب في حوالي الثالثة والعشرين حين قرر السفر. وكانت ثروته تسمح له بتحقيق رغباته الجديدة على اكمل وجه. وذات يوم ترك قصر «كراجوا» في حمى خدامه القدامى وغادر بلاد «الفلاك». واصطحب معه «روتزكو» وهو جندي روماني سابق يخدم العائلة منذ عشر سنوات ويرافقه في جميع رحلات الصيد التي كان

يقوم بها. وكان «روتزكو» هذا رجلاً شجاعاً وحازماً ومخلصا كل الاخلاص لسيده.

وكان في نية الكونت الشاب ان يزور اوروبا ويقيم عدة اشهر في العواصم والمدن الكبرى فيها. وبقي يعتبر وبحق ان هذه الرحلة التي اعد برنامجها بعناية فائقة ستوفر له معلومات تكمل ثقافته الاولية التي تلقاها في قصر «كراجوا».

واراد «فرانز دي تلك» ان يبدأ رحلته بايطاليا لانه كان يتقن لغتها التي علمه اياها الكاهن العجوز. واستهوته تلك الارض الفنية بالذكريات وشعر ان شيئاً مايشده اليها حتى امضى فيها اربع سنوات. فكان لايترك البندقية الا للانتقال الى «فلورانس» ولا يترك روما الا الى نابولي وهكذا ظل ينتقل من مدينة الى اخرى من دون ان يقوى على مغادرة تلك المراكز الفنية. وكان يرى ان من الافضل له ان يزور فرنسا والمانيا واسبانيا وروسيا وانكلترا لاحقاً بعد ان تكون السنون قد انضجت افكاره فيطلع على مافي تلك البلدان بقدرة اقوى على الاستفادة. والعكس صحيح بالنسبة لايطاليا فهو يرى انه بحاجة الى حيوية الشباب ليتذوق سحر وجاذبية تلك المدن الايطالية الكبيرة.

كان «فرانز دي تلك» في السابعة والعشرين حين جاء

الى نابولي للمرة الاخيرة. وكان ينوي الاقامة فيها بضعة ايام قبل ان ينتقل الى صقلية حيث ينهي رحلته ليعود الى قصر «كاراجوا» ويرتاح سنة بكاملها. وطرأ طارىء مفاجىء لم يغير برنامجه وحسب بل تحكم بحياته وغيّر مجراها.

وخلال تلك السنوات التي قضاها في ايطاليا لم يستفد الكونت الشاب الا قليلا في مجال العلوم التي لم تكن تستهويه كثيراً ولكن الشعور بالجمال تكشف له كما يتكشف النور للاعمى. وانفتح عقله على روائع الفن فبات يهيم بروائع الرسم حين كان يزور متاحف نابولي والبندقية وروما وفلورانس. وفي الوقت ذاته اتاحت له المسارح في تلك المدن ان يتعرف الى المسرحيات الغنائية في ذلك العصر وقد استهوته كثيراً تأدية الفنانين الكبار على المسرح فخلال اقامته الاخيرة في نابولي وفي ظروف سنأتي على تفصيلها لاحقاً استولى على قلبه شعور خاص وحميم تملكه حتى الاعماق.

ففي ذلك الزمن كان على مسرح «سان كارلو» مغنية شهيرة نالت اعجاب جميع المولعين بالفنون بفضل صوتها الصافي واسلوبها الرائع وادائها المؤثر. ولم تكن المغنية «لاستيلا» قد حاولت اجتذاب الاجانب بعد. فهي لم تغن

حتى الان الا الالحان الايطالية التي استعادت الصدارة في فن التأليف. وكانت تنتقل بين مسرح «كارينيان» في «توران» ومسرح «لاسكالا» في «ميلان» ومسرح «فينيس» في البندقية ومسرح «سان كارلو» في «نابولي». ولم تترك لها نجاحاتها الباهرة مجالا للتأسف على كونها لم تظهر على المسارح الاوروبية بعد.

وكانت «لاستيلا» في الخامسة والعشرين تبدو امرأة ذات جمال لايضاهى فشعرها طويل مذهب وعيناها سوداوان غامضتان تشعان لهباً وقسمات وجهها نقية، وبشرتها وهاجة وقوامها ممشوق مياس. وكان في داخل هذه المرأة فنانة عظيمة سامية. يصح فيها قول القائل: «وغناؤك في السماوات يذهب بالالم». وان ذلك الصوت الذي ينبعث من القلب ليبلغ القلب كان صوت «لاستيلا» بكل روعته التي لاتوصف. الا ان هذه الفنانة الكبيرة التي كانت تشدو نغمات الحنان وتعبر عن اقوى مشاعر النفس لم يشعر قلبها يوما بشيء من ذلك كله كما يقولون فهي لم تهوَ احداً حتى الان ولم تتجاوب عيناها مرة مع آلاف النظرات التي كانت تحيط بها من كل جانب، وكان يبدو انها لاتريد ان تحيا الا في فنها ومن اجل فنها دون سواه.

ومنذ ان رأى «فرانز» «لاستيلا» للمرة الاولى تملكته

مشاعر لاتقاوم، هي مشاعر الحب الاول. فتخلى عن مشروعه القاضي بمغادرة ايطاليا بعد زيارة صقلية وقرر البقاء في نابولي حتى اخر الفصل. وكان يشعر كأن رباطاً غير منظور لايقوى على قطعه، يشده الى هذه الفنانة. فكان يحضر جميع حفلاتها التي كانت حماسة الجمهور تحولها الى نجاحات باهرة. وكم مرة استبد به الهوى فحاول التقرب منها ولكن باب «لاستيلا» بقي موصداً بوجهه بلا شفقة كما هو حاله بالنسبة لكثيرين غيره من المعجبين المتحمسين.

وقد نتج عن ذلك ان اصبح الكونت الشاب اشقى البشر. فلم يعد يفكر الا «بلاستيلا» ولا يعيش الا ليراها ويسمع صوتها. وما عاد يهتم لاقامة علاقات في المجتمع يفرضها عليه اسمه وثروته. وسرعان ماساءت صحته تحت تأثير هذا الضغط المزدوج من الفكر والقلب. ولنتصور كم يكون أ[illegible] ان له منافس على حبها. ولكنه كان يعلم ان لا احد يستطيع التقدم عليه حتى ذلك الشخص الغريب الذي تقضي تطورات القصة بالتعرف الى سماته وطباعه.

انه بين الخمسين والخامسة والخمسين من العمر او بالاحرى هكذا بدا حين قام «فرانز دي تلك» برحلته الاولى

الى نابولي وكان هذا الرجل القليل المخالطة يتظاهر بأنه يعيش خارج تلك الاصطلاحات الاجتماعية التي تتبعها الطبقات العليا في المجتمع اذ لم يكن احد يعرف شيئاً عن عائلته او عن وضعه او عن ماضيه. فكان يرى اليوم في روما وغدا في «فلورنسا». والانسب القول انه يكون حيث تكون «لاستيلا». وفي الحقيقة لم تعرف له الا هواية واحدة وهي الاستماع الى السيدة الاولى ذات الشهرة الواسعة التي كانت تحتل في ذلك الوقت المركز الاول في فن الغناء.

واذا كان «فرانز دي تلك» لايعيش الا من اجل «لاستيلا» منذ رآها على مسرح نابولي فان ذلك المهووس الغريب الاطوار لم يكن ليعيش منذ ست سنوات الا ليسمعها. ويبدو ان صوت المغنية اصبح ضروريا لحياته كالهواء الذي يتنفسه.

لم يحاول، خلال السنوات الست، ان يقابلها خارج المسرح. ولم يذهب ابدا لمقابلتها كما لم يكتب لها مطلقا. ولكن كلما اعلن ان «لاستيلا» ستغني على اي مسرح في ايطاليا كان يمر امام موظف المراقبة رجل طويل القامة، ملتف بمعطف طويل قاتم، معتمر قبعة عريضة تغطي وجهه. وان هذا الرجل يسارع الى اخذ مكان له في عمق مقصورة ذات حاجز مصبغ حجزه مسبقاً لاجله. حيث

ينزوي في تلك المقصورة جامداً وصامتاً طوال العرض الغنائي الذي تقدمه «لاستيلا». وما ان تنتهي وصلتها بلحنها الختامي حتى ينسحب خفية وماكان احد من المغنين او المغنيات ليستوقفه او ليبقيه في المسرح. فهو لا يستمع الى غيرها ابدا.

من يكن ذلك المشاهد المواظب الى هذا الحد؟ لقد حاولت «لاستيلا» عبثاً ان تعرف شيئاً عنه. ولما كانت بطبيعتها شديدة التأثر فقد انتهى بها الامر الى التوجس شراً من حضور هذا الرجل الغريب الاطوار. وهذا الخوف عندها وان كان غير معلل او معقول فانه كان حقيقة ملموسة. وعلى الرغم من انها لم تكن تتمكن من رؤيته في عمق مقصورته التي ماكان يخفض ابدا حاجزها المصبغ فانها كانت تعرف انه هناك لانها كانت تشعر ان نظره الحاد مصوب اليها فتضطرب اضطراباً شديداً. وصار هذا الاضطراب يؤثر عليها الى حد انه يحول دون سماعها صرخات الاستحسان والتشجيع التي يطلقها الجمهور لدى ظهورها على المسرح.

ولقد قلنا سابقا ان هذا الرجل لم يحاول تقديم نفسه الى «لاستيلا». ولكنه اذا كان لم يحاول التعرف الى المراة ـ وهذه نقطة سنتوقف عندها بشكل خاص ـ فانه

كان كثير الاهتمام وبصورة ثابتة بكل مايتعلق بها كفنانة. فهو يملك اجمل رسم للفنانة رسمه الرسام الكبير «ميشال غريغوريو». وكانت تظهر فيه هائمة، متقدة، مهيبة، مجسدة احد اجمل ادوارها. وهذا الرسم، الذي يساوي ثقله ذهباً، كان جديراً بالثمن الذي دفعه المعجب المهووس.

واذا كان هذا الرجل الغريب الاطوار يأتي دائماً وحده الى مقصورته لحضور حفلات «لاستيلا»، كما انه لايخرج ابدا الا للذهاب الى المسرح، فهذا لايعني ابدا انه يعيش في عزلة تامة. لا فان رفيقا لايقل عنه شذوذاً وغرابةً يشاطره الوجود.

وهذا الرفيق يدعى «اورفانيك». اما كم عمره؟ من اين يأتي؟ اين ولد؟ فلا احد يستطيع الاجابة عن هذه الاسئلة الثلاثة. وحين تسمعه يتكلم -وهو يتكلم من تلقاء نفسه- تراه واحدا من اولئك العلماء الذين لم يقدروا حق قدرهم ولم يسمح لعبقرياتهم ان ترىٰ النور فصبوا جام نقمتهم على العالم. وكانوا يحسبونه وبحق مخترعاً فقيراً مسكيناً يموله بسخاء ذلك الهاوي المتمول. وكان «اورفانيك» هذا متوسط القامة، ضعيفاً، هزيلاً، ضامراً، ذا وجه اصفر من تلك الوجوه التي كانوا يدعونها «بالوجوه الشحيحة».

وكان يضع - كعلامة مميزة - غمامة* سوداء على عينه اليمنى التي فقدها كما يبدو نتيجة احدى اختباراته في الفيزياء او الكيمياء، وعلى انفه نظارات سميكة ذات زجاجة واحدة، ضد قصر البصر، امام عينه اليسرى المشتعلة بنظر مخضر، واثناء نزهاته التي كان يقوم بها منفرداً كان يؤشر بيديه كما لو كان يتكلم مع كائن غير منظور يسمعه من دون ان يجيبه.

وهذان الرجلان، هاوي الموسيقى والغناء الغريب الاطوار و«اورفانيك» الذي لايقل عنه غرابة، كانا معروفين كثيراً او على الاقل بقدر مايمكن ان يكونا معروفين في تلك المدن الايطالية حيث كان يدعوهما الموسم المسرحي.

وكانا يمتازان باثارة الفضول لدى الجمهور. وعلى الرغم من ان المعجب «بلاستيلا» كان يصد المراسلين ويرفض مقابلاتهم المفشية للاسرار فقد انتهى الامر بان عرف اسمه وجنسيته. فهو يحمل الجنسية الرومانية وعندما سأل «فرانز دي تلك» عن اسمه قيل له: «البارون رودولف دي غورتز».

لقد كانت الامور على هذه الحال حين وصول الكونت الشاب الى نابولي منذ شهرين. ومنذ ذلك الحين ومسرح

* غمامة: مايوضع على العين حتى لاترى ماحولها.

«سان كارلو» لايفرغ ابدا ونجاح «لاستيلا» يتعاظم ليلة بعد ليلة. حيث لم تظهر ابدا من قبل بمثل هذه الروعة في مختلف ادوار برنامجها ولم تثر ابدا من قبل مثل هذه الهتافات الحماسية. وفي كل حفلة من حفلاتها كان «فرانز دي تلك» يحتل مقعداً في الصالة بينما يختبىء البارون «دي غورتز» في عمق مقصورته مأخوذاً بذلك الغناء الساحر ومتأثراً بذلك الصوت النافذ الى الاعماق. ذلك الصوت الذي لولاه. لما استطاع البارون كما يبدو ان يحيا حياته.

وسرت شائعة في نابولي، شائعة يرفض الجمهور تصديقها لكنها في النهاية اقلقت عالم هواة الغناء والموسيقى لانهم كانوا يقولون ان «لاستيلا» ستهجر المسرح بعد انتهاء الموسم في «سان كارلو»! لماذا؟ وهل يعقل ان تفكر في الاعتزال وهي في عز موهبتها واوج جمالها وقمة مهنتها كفنانة؟

ومهما يكن هذا الخبر غير معقول فقد كان صحيحاً. حيث كان البارون «دي غورتز» ومن دون ان يدري وراء هذا القرار في جزء منه. فهذا المشاهد الذي يكتنفه الغموض، وهذا الحاضر ابدا، وان يكن غير منظور، وراء قضبان مقصورته، انتهى به الامر الى اثارة انفعال نفسي

دائم عند لاستيلا حتى وجدت نفسها عاجزة عن التغلب عليه. فما ان تدخل المسرح حتى يمتلكها شعور غريب ممزوج باضطراب نفسي ظاهر للعيان ادى بالنتيجة الى الاساءة الى صحتها. وكانت تعلم انها لو تركت نابولي او هربت الى روما او البندقية او اية مدينة اخرى من ايطاليا لما كان ذلك كافياً للتخلص من حضور البارون «دي غورتز». وقد لاتتوصل الى الهرب منه حتى ولو سافرت الى المانيا او روسيا او فرنسا. لانه سيتبعها حيثما ذهبت تغني لذا وجدت ان الوسيلة الوحيدة للتخلص من هذا الازعاج الملازم لها هي ان تعتزل المسرح.

ومن جهة اخرى ومنذ شهرين قرر «فرانز دي تلك» ان يقوم بخطوة باتجاه الفنانة وذلك قبل انتشار الشائعة حول اعتزالها ولكن تلك الخطوة ولسوء الحظ ستتسبب كارثة مميتة. فالكونت «فرانز دي تلك» الحر بشخصه صاحب الثروة الكبيرة تمكن من مقابلة «لاستيلا» وعرض عليها ان تصبح الكونتسا «دي تلك». ولم تكن «لاستيلا» تجهل المشاعر التي يكنها لها الكونت الشاب منذ زمن بعيد. وقد قيل لها انه من النبلاء وان كل امراة حتى لو كانت من ارفع طبقة اجتماعية تتمنى ان تأتمنه على سعادتها. وفي ظل الحالة النفسية التي كانت تعيشها حين

تقدم «فرانز دي تلك» منها بطلب الزواج استقبلت طلبه بميل ظاهر لم تحاول ابدا اخفاءه. وقد وافقت ان تصبح زوجة الكونت «فرانز دي تلك» بثقة تامة بمشاعرها ومن دون أي أسف لان تكون مجبرة على اعتزال الفن.

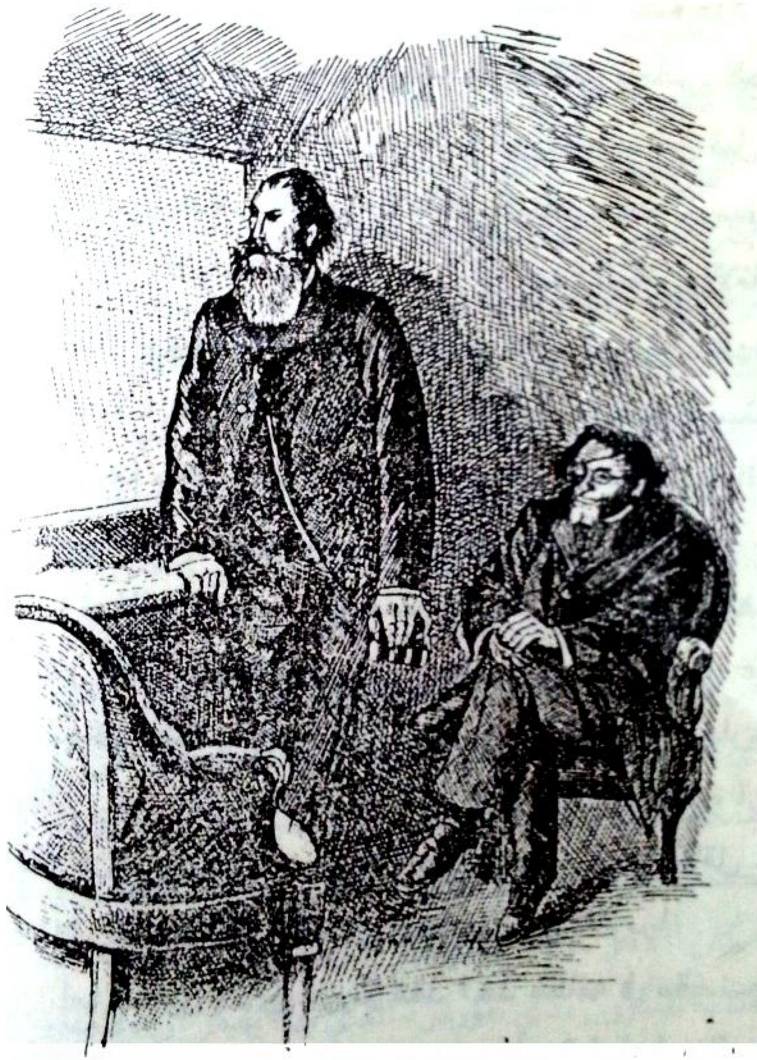
كان الخبر إذاً صحيحاً. «فلاستيلا» لن تظهر على اي مسرح بعد انتهاء موسم «سان كارلو». وزواجها الذي كانت تحيط به بعض الشكوك قد اصبح اكيداً. ومما لاشك فيه ان هذا الحدث ترك اثراً هائلاً ليس فقط في الوسط الفني بل في طبقة الاعيان ووجوه المجتمع في ايطاليا ايضا. وبعدما كان شبه اجماع على رفض تصديق هذا المشروع اصبح لابد من التسليم به. وقد اثار هذا الامر موجة من الحسد والبغض ضد الكونت الشاب الذي كان سيخطف اكبر فنانة في ذلك العصر من فنها ونجاحاتها وعبادة معجبيها. وقد نتج عن ذلك تهديدات شخصية لم يكترث لها الكونت الشاب لحظة واحدة. ولكن اذا كان الامر كذلك بالنسبة للجمهور فما عساه يكون بالنسبة للبارون «دي غورتز» الذي بدأ يفكر ان «لاستيلا» ستخطف منه وانه سيفقد بفقدانها كل مايشده الى الحياة؟ وسرت شائعة انه حاول الهروب من الواقع عبر الانتحار كما صار من الثابت منذ ذلك الحين انه لم يعد

«اورفانيك» يجوب شوارع نابولي وحيداً كعادته. فلقد لازم البارون «رودولف» حتى انه صحبه عدة مرات الى تلك المقصورة في «سان كارلو» حيث كان يجلس البارون اثناء كل حفلة. وهذا لم يحدث «لاورفانيك» من قبل لانه صار مثل كثير من العلماء لايتأثر البتة بسحر الموسيقى.

وكانت الايام تمضي من دون ان يهدأ التأثر والانفعال وقد بلغا اوجهما ذلك المساء الذي كان مقررا ان تظهر فيه «لاستيلا» على المسرح للمرة الاخيرة. وكانت ستودع جمهورها بلعب دور «انجليكا» في «اورلندو» ذلك العمل الفني الرائع للموسيقار «اركوناتي».

وفي ذلك المساء ضاق مسرح «سان كارلو» بالمشاهدين الكثر الذين تهافتوا على ابوابه باعداد تفوق عشرة اضعاف مايتسع له مما اضطر الغالبية للبقاء خارجاً. وكان يخشى من مظاهرات ضد الكونت «دي تلك» ان لم يكن اثناء وجود «لاستيلا» على المسرح فعلى الاقل حين يسدل الستار على الفصل الخامس من الاوبرا.

اما البارون دي غورتز فقد اخذ مكانه في مقصورته وكان «اورفانيك» الى جانبه هذه المرة ايضا. وظهرت «لاستيلا» وهي متأثرة كما لم تكن من قبل. ولكنها استعادت رباطة جأشها واستسلمت لوحيها والهامها



راس غريب طويل الشعر اشيب

وغنت كأحسن مايكون الغناء! فاي اتقان هذا! واية موهبة تلك! ان اللسان حقا ليعجز عن التعبيروان الحماس الذي اجتاح المشاهدين لايوصف وقد بلغ حد النشوة والهذيان.

واثناء الحفلة بقي الكونت الشاب في الكواليس وهو نافد الصبر، متوتر الاعصاب، محموماً، لايستطيع للهدوء سبيلا، لاعناً طول المشاهد، غاضباً ساخطاً للتأخير الذي يسببه التصفيق وطلبات الاعادة. آه! كم كان مستعجلاً لينتزع من هذا المسرح تلك التي ستصبح الكونتسا «دي تلك» فيذهب بها بعيداً بعيداً بحيث لاتكون الا له، له وحده وجاء المشهد المأسّاوي من الاوبرا حيث تموت البطلة. ولم تكن موسيقى «اركوناتي» الرائعة يوما ما اكثر تأثيراً كما لم تكن تأدية «لاستيلا» لها يوماً ما اكثر اتقاداً وحرارة بل كانت تبدو وكأنها تفرغ روحها كلها من خلال شفتيها. ومع ذلك كنت تحسب ان ذلك الصوت المتقطع بين الحين والاخر سيكل ويتعب. ذلك الصوت الذي لم يسمع بعد الان ابدا وفي هذه اللحظة انخفض حاجز مقصورة البارون «دي غورتز». وظهر منها رأس غريب طويل الشعر اشيب، عيناه ملتهبتان، ووجهه منتش مرعب باصفراره وقد رآه «فرانز دي تلك» من عمق

الكواليس تحت نور قوي وكان يراه للمرة الاولى.

كانت «لاستيلا» قد اطلقت لنفسها العنان مستسلمة لحماسة تلك الخاتمة الفاتنة.. وكانت على وشك الانتهاء من اعادة الجملة الاخيرة باحساس رائع حين توقفت فجأة.. فلقد ارعبها وجه البارون دي غورتز.. وشل حركاتها رعب غامض.. ثم وضعت يدها بسرعة على فمها الذي نزف دماً.. وترنحت.. وسقطت..

وقف الجمهور هائجاً مذعوراً في ذروة القلق.. وانطلقت صرخة من مقصورة البارون «دي غورتز».. وكان «فرانز» قد اسرع الى المسرح وحمل «لاستيلا» بين ذراعيه ورفعها.. ونظر اليها.. وناداها.. ثم راح يصرخ: «ميتة.. ميتة.. ميتة»..

ماتت «لاستيلا».. انقطع شريان في صدرها.. وانطفأ غناؤها مع اخر نفس من روحها.. ثم نقل الكونت الشاب الى الفندق في حالة كان يخشى معها ان يفقد عقله ولم يستطع حضور جنازة «لاستيلا». تلك الجنازة التي شارك فيها جمهور غفير من اهالي نابولي.

وفي مدافن «كامبو سانتو نيوفو» حيث دفنت الفنانة الكبيرة وضعت على قبرها لوحة رخامية بيضاء كتب عليها «لاستيلا».

وعند المساء بعد الجنازة جاء رجل الى مدافن «كامبو سانتو نيوفو». وهناك وقف شارد العينين منحني الرأس، مطبق الشفتين كما لو ان الموت اقفلهما وراح ينظر طويلاً الى المكان الذي دفنت فيه «لاستيلا». وكان يبدو مصغياً وكأن صوت المغنية الكبيرة سينطلق مرة اخيرة من ذلك القبر.

انه «رودولف دي غورتز».

وفي الليلة ذاتها غادر «دي غورتز» نابولي برفقة «اورفانيك». ومنذ رحيله لم يعرف احد عن مصيره شيئاً.

ولكن في اليوم التالي وصلت رسالة الى الكونت الشاب.

إلا أن هذه الرسالة لم تتضمن سوى هذه الكلمات التي تحمل تهديداً موجزاً:

(انت الذي قتلتها!... الويل لك ايها الكونت «دي تلك»).

.... «رودولف دي غورتز».

الفصل العاشر

هكذا جرت احداث تلك القصة المفجعة وقد بقي «فرانز دي تلك» شهراً كاملاً في حالة الخطر. فلم يكن يتعرف على احد ولا حتى على مرافقه الجندي «روتزكو». وفيما بلغت حرارته الحد الاقصى كانت شفتاه الجاهزتان ابدا لان تلفظا النفس الاخير، لاتنفتحان الا على اسم واحد: «لاستيلا».

الا ان الكونت الشاب نجا من الموت وخرج عقله سليماً من ذلك الخبل الفظيع بفضل براعة الاطباء واعتناء «روتزكو» الدائم به. كما ساعده على ذلك شبابه ومزاجه وشخصيته القوية. ولكن عندما عادت اليه الذاكرة وتذكر المشهد المأساوي الاخير «لاورلندو»، حيث انفطر قلب الفنانة، راح يصرخ من جديد «لاستيلا ـ لاستيلا» بينما كانت يداه تمتدان وكأنه يستعدّ للتصفيق لها مجدداً.

وما ان تمكن الكونت من مغادرة الفراش حتى تمكن «روتزكو» من اقناعه بمغادرة تلك المدينة اللعينة والانتقال الى قصر «كراجوا». الا ان الكونت الشاب اراد وقبل ان

يغادر نابولي ان يصلي على قبر الفقيدة ويودعها وداعاً سامياً ابدياً.

ورافقه «روتزكو» الى «كامبو سانتو نيوفو» حيث القى «فرانز» بنفسه على تلك الارض القاسية ينبشها باظافره ليندفن فيها حياً. وبعد جهد جهيد تمكن «روتزكو» من ابعاده عن القبر الذي كانت ترقد فيه كل سعادته. وبعد بضعة ايام بلغ «فرانز دي تلك» قصر ««كراجوا» في عمق بلاد «الفالاك» ليشاهد من جديد املاك عائلته القديمة. وهناك في داخل ذلك القصر عاش فرانز خمس سنوات في عزلة مطلقة كان يرفض الخروج منها. فلا الوقت ولا المسافة تمكنا من تخفيف حزنه وألمه.

لقد كان عليه ان ينسى ولكن من اين له ذلك وذكرى «لاستيلا»، الحية الحاضرة ماثلة كما هو الحال في اليوم الاول لانها اصبحت جزءاً من وجوده وكيانه. ان جرحه صار من تلك الجروح التي لاتلتئم الا بالموت. وقد كان «روتزكو» بحاجة الى الحاح طويل وضاغط كي يقنع معلمه بأن يقطع هذه العزلة التي كانت تضنيه وتقضي عليه ببطء. فاذا سلمنا ان الكونت الشاب لايستطيع ان يتعزى فليحاول على الاقل ان يروح عن نفسه ويتسلى عن همومه. وهكذا وضعت خطة سفر لزيارة المقاطعات

الترانسيلفانية اولا وكان «روتزكو» يـأمل في ان يوافق الكونت الشاب لاحقا على استئناف رحلته عبر اوربا، تلك الرحلة التي قطعتها احداث نابولي الحزينة.

ذهب «فرانز دي تلك» هذه المرة اذن كسائح وفي رحلة قصيرة للاستطلاع فقط. وسار برفقة «روتزكو» في سهول «الفالاك» حتى بلغ جبل «الكاربات» المهيب. ثم توغلا في سلسلة «الفولكان» وبعد ان صعدا الى «الراتيازات» وقاما بنزهة في وادي «ماروس» جاءا يستريحان في نزل «الملك ماتياس» في قرية «ورست» ولقد مر بنا كيف كانت الحالة هناك حين وصل «فرانز دي تلك» كما نعلم كيف اطلعوه على الحوادث المبهمة التي كان القصر مسرحاً لها. ونعلم ايضاً كيف اخبروه بأن القصر كان ملكا للبارون «رودولف دي كورتز».

ولقد كان تـأثير اسم البـارون واضحاً عـلى الكونت الشاب لدرجة ان السيد «كولتز» وسائر الوجهاء لاحظوه بسهولة. اما «روتزكـو» فقد تمنى لـو يبعد عنـه السيد «كولتز» الذي لسوء الحظ والصدف ذكر اسم البـارون وروى تلك القصص التافهة عن القصر. لماذا شاء سوء الطالع ان يأتي «فرانز دي تلك» الى هذه القرية بالذات في جوار قصر «الكاربات»؟

ثم اعتصم الكونت الشاب بالصمت. وكانت انظاره التائهة بين هذا وذاك من الحضور تدل بوضوح على مافي نفسه من اضطراب عميق يحاول عبثاً تهدئته.

ولقد ادرك السيد «كولتز» واصدقاؤه ان هناك سراً عجيباً يربط بين الكونت «دي تلك» والبارون «دي غورتز» إلا أنهم رغم فضولهم الزائد لزمـوا تحفظاً مـلائماً ولم يلجّوا لمعرفة المزيد لأنهم سينتظرون لاحقاً بما يجب ان يفعلوه. وبعد لحظـات قليلة غـادر الجميع نـزل «الملك ماتياس» محتارين ومنشغلين بهـذا التسلسل الغـريب للمغامرات التي لم تكن تبشر بأي خير للقرية.

والان وقـد علم الكـونت الشـاب لمن يعـود قصر «الكاربات» فهل يفي بوعده؟ وهل يعلم السلطات بالامر ويطلب تدخلها حين يصل الى «كارلسبورغ»؟ هكذا كان يتساءل القاضي والمعلم والطبيب «باتاك» والاخرون. على كل حال اذا لم يفعـل الكونت الشـاب ذلك فـان السيد «كولتز» كان مصمماً ان يفعله. وسيعلم الشرطة بـالامر وستأتي الى القصر وستحقق اذا ماكان القصر مسكونا بالارواح اوكان يسكنه اناس اشرار. وان القرية لايمكنها ان تبقى مدة اطول في مثل هذه الحالة من الوسواس علماً بأن غالبية سكانها تعتقد ان مثل هذه المحاولة لن تجدي

نفعاً. فهم يعتقدون انه اذا هاجمت الشرطة عفاريت القصر فستتكسر حراب الجنود كالزجاج وستخطيء بنادقهم الهدف لدى كل طلقة. اما «فرانز دي تلك» الباقي وحده في الصالة الكبرى في نزل «الملك ماتياس» فقد استسلم الى تلك الذكريات المؤلمة التي اثارها في ذهنه اسم البارون «دي غورتز». وبعد ان امضى ساعة منهوك القوى في مقعده قام فغادر النزل وتوجه نحو اطراف الشرفة الكبيرة واخذ ينظر الى البعيد حيث كان قصر «الكاربات» قائماً في مؤخرة «البلازا» وفي وسط مرتفع «الاورغال». وهناك كان يعيش في الماضي ذلك الشخص الغريب الاطوار الذي كان يحضر بصورة دائمة حفلات «لاستيلا» في «سان كارلو» ويسبب لها خوفاً كبيراً ولم تكن تلك المسكينة لتتمكن من التغلب عليه. لكن القصر اليوم مهجور والبارون «دي غورتز» لم يعد اليه منذ ان هرب من نابولي. فمنذ ذلك الحين لم يعرف عنه شيء وليس مستبعداً ان يكون قد انتحر بعد وفاة تلك الفنانة الكبيرة. ولقد بقي «فرانز» ضائعاً بين هذا الحشد من التكهنات والافتراضات ولا يعرف اي واحدة منها يأخذ بعين الاعتبار.

ومن جهة اخرى فان مغامرة رجل الاحراج «نيك دك»

لم تتوقف عن اشغاله الى حد ما. وكم كان يرغب في ان يحل الغازها ويكتشف خفاياها لا لشيء الا ليطمئن اهل «ورست». ولما كان الكونت الشاب لم يشك لحظة بأن اشراراً اتخذوا من القصر مخبأ لهم فقد قرر ان يفي بوعده ويفضح حيل هذه الاشباح المزعومة فيخبر شرطة «كارلسبورغ» بالامر. ولكنه كان يريد الحصول على تفاصيل دقيقة حول هذه القضية ليكون قادراً على التحرك والعمل. فرأى ان من الافضل ان يبحث الموضوع مباشرة مع حارس الاحراج. لذلك وقبل ان يعود الى نزل «الملك ماتياس» حضر حوالي الساعة الثالثة من بعد الظهر الى بيت السيد كولتز».

ولقد حرص السيد كولتز» على ان يظهر للكونت الشاب كم يشرفه ان يزوره في بيته، فهو الكونت المتحرر ومن سلالة رومانية عريقة. وان قرية ورست ستكون مدينة لهذا الكونت الشاب بعودة الهدوء والازدهار اليها اذا تمكن من القضاء على تلك العفاريت الشريرة اذ سيعود السياح حينئذ ليتوافدوا اليها. وسيدفعون رسم الدخول بلا خوف من العفاريت الشريرة في قصر «الكاربات».

شكر «فرانز دي تلك» السيد «كولتز» على هذه الحفاوة والمجاملة وطلب اليه ان يعرفه «بنيك دك» اذا لم يكن لديه

مايمنع ذلك.

«لامانع ابداً» حضرة الكونت اجاب السيد «كولتز». وان هذا الشاب الطبيب يتماثل الى الشفاء ولن يتأخر في العودة الى عمله. ثم التفت وراءه قائلاً: اليس هذا صحيحاً يا «مريوتا»؟ وكان يتوجه بالكلام الى ابنته التي دخلت لتوها القاعة.

ـ «ان شاء الله يا ابي». اجابت «ميريوتا» بصوت متهدج. فُتن «فرانز» بالتحية الانيقة التي وجهتها اليه الابنة الصبية. وعندما رآها لاتزال قلقة من حالة خطيبها الصحية سارع ليستوضحها بعض الامور حول هذا الموضوع. وقال لها:

ـ حسب ماسمعت. لم تكن اصابة «نيك دك» بالغة..

ـ لا ياسيدي الكونت، اجابت ميريوتا، ولتكن السماء مباركة.

ـ هل لديكم طبيب ماهر في «ورست»؟

همهم السيد «كولتز» همهمة لم تكن ابدا في صالح الدكتور «باتاك» الذي كان يعمل سابقا كممرض في الحجر الصحي.

اما ميريوتا فقالت:

ـ لدينا الدكتور «باتاك».

ـ هل هو نفسه الذي رافق «نيك دك» الى قصر «الكاربات»؟

ـ نعم سيدي الكونت.

ـ انسة «ميريوتا». اود ان اقابل خطيبك وآخذ منه تفاصيل دقيقة حول هذه المغامرة وثقي ان ذلك سيكون لمصلحته.

ـ سيسارع الى اعطائك اياها حتى ولو كلفه ذلك بعض لتعب. سيدي الكونت.

ـ لن اضايقه يا انسة «ميريوتا» ولن افعل اي شيء يلحق به الضرر.

ـ اعرف ذلك سيدي الكونت.

ـ متى ستجري مراسم زواجكما؟

ـ بعد خمسة عشر يوما اجاب السيد «كولتز».

ـ اذاً يسرني ان اكون حاضراً. هذا اذا تكرم السيد «كولتز» ووجه الي الدعوة.

ـ سيدي الكونت انه لشرف كبير...

ـ حسناً اتفقنا. واني لعلى ثقة بأن «نيك دك» سيتماثل الى الشفاء حالما يستطيع القيام بنزهة مع خطيبته الجميلة.

ـ فليحفظه الله ياسيدي الكونت اجابت الصبية وقد احمرت وجنتاها وبدا على وجهها الفتان في تلك اللحظة قلق واضح دفع «بفرانز» لان يسألها عن سبب هذا القلق

فقالت:

ـ نعم ليحفظه الله ان «نيك دك» تحدى العفاريت الشريرة حين حاول دخول القصر على الرغم منها.. ومن يدري؟ فقد تنكب على تعذيبه طوال حياته.

ـ آه انسة ميريوتا، اجاب فرانز، لا تقلقي لهذا فانني اعدك بأننا سنضع حدا لهذا الامر.

ـ لن يحصل اي ضرر «لنيك»؟

ـ ابدا، وبفضل رجال الشرطة سنتمكن بعد بضعة ايام من التنقل داخل القصر بامان تام كما لو كان في ساحة «ورست».

ولما كان الكونت يعتبر انه من المزعج والمتعب ان يجادل في هذا الموضوع الفائق الطبيعة امام عقول مشبعة به فقد طلب من «ميريوتا» ان تقوده الى غرفة حارس الاحراج.

وقد سارعت الصبية الى تلبية طلبه وتركته مع خطيبها لوحدهما.

كان «نيك دك» قد اعلم بوصول مسافرين الى نزل «الملك ماتياس». ولما دخل عليه الكونت قام من مقعده القديم الواسع لاستقباله. وكان في حالة صحية تسمح له بالاجابة عن اسئلة الكونت وان كان لم يشف بعد تماماً من الشلل الذي اصابه. وبعدما صافح «فرانز دي تلك»

حارس الاحراج بحرارة قال له:

ـ سيد دك اود ان اسألك ذي بدء اذا كنت تؤمن بوجود مخلوقات فائقة الطبيعة في قصر «الكاربات».

ـ انا مكره على الايمان بذلك سيدي الكونت.

ـ وتعتقد ان هذه المخلوقات الفائقة الطبيعة هي التي منعتك من اجتياز اسوار القصر «يانيك»؟

ـ لا اشك في ذلك ابدا. ياسيدي الكونت.

ـ ولماذا انت متأكد الى هذا الحد يا «نيك»؟

ـ لانه لو لم يكن هناك عفاريت لما كان ممكناً ان نجد تفسيراً لما حصل لي. ياحضرة الكونت.

ـ هل تسمح بأن تخبرني ماحصل لك بالتفصيل؟

ـ بكل سرور سيدي الكونت.

وسرد «نيك دك» الحادثة بادق تفاصيلها. ولم يسعه الا ان يؤكد الوقائع التي نقلت الى الكونت اثناء لقائه مع ضيوف نزل «الملك ماتياس»، هذه الوقائع التي كان «فرانز» كما نعلم، يعطيها تفسيراً جد طبيعي. وباختصار ان الحوادث التي وقعت في ليلة المغامرات تلك يمكن ان نجد تفسيراً لها بسهولة اذا كان الاشخاص الموجودون في قصر «الكاربات»، اشراراً ام غير اشرار، يملكون الالات اللازمة لاحداث هذه الانفعالات والتأثيرات العفريتية.

اما ما يزعمه الدكتور «باتاك» من انه شعر وكأنه مسمر في الارض بفعل قوة غير منظورة فيمكن ان نعتبره ناتجاً عن حالة الوهم التي كان فيها. وما يبدو معقولاً في هذا المجال هو ان الدكتور «باتاك» لم تعد تحمله رجلاه بسبب الرعب الذي تملكه حتى الجنون. وهذا ما قاله «فرانز» لحارس الاحراج «نيك دك» الذي اجاب:

ـ كيف ذلك ياسيدي الكونت؟ افي اللحظة التي قرر فيها ذلك الجبان الهرب تخونه رجلاه؟ هذا مستحيل. الا توافقني الرأي؟

ـ على كل حال، لنفترض ان فخاً مخبأ تحت العشب اطبق على رجليه.

ـ عندما يطبق الفخ، ياسيدي الكونت، يجرح جرحاً بليغاً ويمزق اللحم، وليس على رجلي الدكتور «باتاك» اي اثر لجرح.

ـ ملاحظتك في محلها «يانيك دك» ولكن صدقني اذا كان صحيحاً ان الدكتور «باتاك» لم يستطع الهرب فلان رجليه كانتا مكبلتين بهذه الطريقة.

ـ اني اسألك، سيدي الكونت، كيف يمكن للفخ ان ينفتح تلقائياً ويعيد للدكتور «باتاك» حرية التحرك؟.

وقد احرج هذا القول «فرانز» فحار كيف يجيب. ولكن

«نيك دك» تابع يقول: «على كل حال سيدي الكونت اني اترك جانباً مايتعلق بالدكتور «باتاك». فانا لا استطيع ان اؤكد الا ما اختبرته وعشته بنفسي.

ـ حسناً، لنترك هذا الطبيب الطيب ولنتحدث عما حدث لك بالذات يا «نيك دك».

ـ ان ماحصل لي لواضح جداً. ومما لاشك فيه اني تلقيت ضربة قوية وعنيفة لم تكن ابدا من صنع بشر.

ـ ولكن لم تظهر اية اثار جراح على جسمك. يا «نيك».

ـ ابداً، سيدي الكونت، ومع ذلك فقد اصبت بعنف شديد.

ـ هل حصل ذلك في اللحظة التي وضعت فيها يدك على حديد الجسر المتحرك؟

ـ نعم سيدي الكونت ولم اكد المسه حتى اصبت بشبه شلل تام. ولحسن الحظ ان يدي الاخرى التي كانت تمسك بالجنزير ظلت صامدة فانحدرت الى عمق الهوة حيث انتشلني الدكتور «باتاك» وانا فاقد الوعي.

هزّ فرانز رأسه كمن لم يقتنع بشيء من هذه التفسيرات كلها.

ـ سيدي الكونت، اضاف «نيك دك»، ان ما أخبرتك اياه لم يكن حلماً. واذا كنت قد بقيت ثمانية ايام ملازماً الفراش

هنا من دون ان اتمكن من تحريك يدي او رجلي فليس من المعقول ان اكون قد توهمت كل ذلك او تخيلته .

ـ وانا ايضاً لا ادعي ذلك. فمما لاشك فيه انـك تلقيت صدمة عنيفة .

ـ عنيفة وشيطانية .

ـ لا ليست شيطانية . هنا يكمن الخلاف بيننا يا «نيك دك» انت تعتقد انك ضربت على يد كائن عفريت فائق الطبيعة غير بشري . وانا لا اعتقد ذلك لسبب بسيط وهو انه لاوجود للعفاريت والكائنات الفائقة الطبيعة شريرةً كانت ام غير شريرة .

ـ هل لك ياسيدي الكـونت إذاً ان تعطيني تفسيراً لما حصل لي؟

ـ لا استطيع ذلك بعد يا «نيك دك» ولكن كُن على ثقة تامة بأن كل شيء سيتوضح وبأبسط مايكون .

ـ ان شاء الله ياسيدي الكونت ان شاء الله .

ـ قل لي يا «نيك دك» هل كان هذا القصر دائماً ومنذ القديم لعائلة «الفورتز»؟

ـ نعم سيدي الكونت ومـا يزال حتى اليـوم ملكاً لهـذه العائلة على الرغم من ان آخر المتحدرين من هذه العائلة البارون «رودولف» اختفى من دون ان يعرف عنـه شيء

حتى الان .

ـ ومتى حصل هذا الاختفاء يا «نيك دك»؟

ـ منذ حوالي العشرين عاماً سيدي الكونت .

ـ منذ عشرين عاماً؟ . . .

ـ نعم سيدي الكونت . ذات يوم غادر البارون «رودولف» القصر ولم يعد . وبعد بضعة اشهر توفي اخر الخدم في هذا القصر .

ـ ومنذ ذلك الحين ، ألم يدخل احد الى ذلك القصر؟

ـ ابداً لا احد .

ـ وماذا يعتقد اهل القرية حول هذا الموضوع؟

ـ يعتقدون ، ياسيدي الكونت ، ان البارون «رودولف» توفي في الخارج بعد اختفائه بفترة قصيرة .

ـ انهم على خطأ يا «نيك دك» . فمنذ خمس سنوات كـان البارون «رودولف» لايزال على قيد الحياة .

ـ على قيد الحياة ياسيدي الكونت؟

ـ نعم على قيد الحياة . . في ايطاليا . . في نابولي .

ـ هل رايته؟

ـ نعم رايته . يا «نيك» .

ـ ومنذ خمس سنوات؟ ياسيدي الكونت .

ـ نعم ومنذ ذلك الحين لم اسمع عنه شيئاً .

وخطرت فكرة على بال حارس الاحراج الا انه ظ
حائراً ومتردداً في الافصاح عنها. ولكنه عاد فحزم امر
ورفع راسه مقطب الجبين وقال للكونت: «الا يمكن
الافتراض ان يكون البارون «رودولف دي غورتز» قد عا
الى القرية وفي نيته الانزواء في عمق هذا القصر؟

- كلا لا يمكن ان نفترض ذلك يا «نيك دك».

- ما الفائدة التي قد يجنيها من اختبائه في هذا القصر ومنع اي شخص من الوصول اليه؟

- لا فائدة البتة. اجاب الكونت «فرانز دي تلك».

ورغم جوابه هذا فان هناك فكرة بدأت تشق طريقها الى ذهن الكونت.. اليس ممكناً ان يكون الشخص الغريب الاطوار البارون «دي غورتز». قد لجأ الى هذا القصر بعد مغادرته نابولي؟ فهنا يكون سهلاً عليه ان ينزوي في القصر ويمنع اياً كان من الدخول اليه مستغلا حساسية اهالي المنطقة نحو الوسواس وتأثرهم بالخرافات. وهكذا يأمن اية عملية تفتيش عنه. وبدا هذا الافتراض مقبولا لدى الكونت «فرانز دي تلك» الا انه رأى ان لا فائدة من اطلاع اهالي «ورست عليه.

ثم استأذن الكونت الشاب حارس الاحراج «نيك دك» متمنياً له الشفاء العاجل حتى لا يتأخر زواجه من

الحسناء «ميريوتا». هذا الزواج الذي كان يعد الكونت نفسه بحضوره. وعاد الكونت الى نزل «الملك ماتياس» حيث قضى بقية نهاره غارقاً في افتراضاته وتأملاته.

وفي السادسة مساءً احضر «جوناس» العشاء للكونت الى الصالة الكبيرة حيث لم يقطع عليه عزلته لا السيد «كولتز» ولا احد من اهالي القرية. وهذه كياسة يشكرون عليها.

وحوالي الساعة الثامنة قال «روتزكو» للكونت الشاب:

- اما زلت بحاجة اليّ ياسيدي؟

- لا، يا «روتزكو». لم اعد بحاجة اليك الليلة.

- اذن سأدخن غليوني في الشرفة الكبيرة.

- اذهب يا «روتزكو» اذهب.

وراح «فرانز» وهو نصف نائم في مقعده يعيد شريط الذكريات التي لاتنسى. فهو الان في نابولي في اخر حفلة على مسرح «سان كارلو».. وانه يرى من جديد البارون «دي غورتز» حين كان يطل برأسه من مقصورته وعيناه شاخصتان بحرارة الى الفنانة «لاستيلا» كما لو كان يريد ان يسحرها.. ثم راح الكونت الشاب يتذكر تلك الرسالة التي وقعها ذلك الانسان الغريب الاطوار الذي يتهمه فيها، بقتل «لاستيلا»..

وفيما هو هائم في ذكرياته شعر «فرانز» بالنعاس يتسلل الى عينيه شيئاً فشيئاً. الا انه كان لايزال في حالة تسمح له بالتقاط اي حركة او صوت، حين حدث امر عجيب مدهش. فلقد بدا كأن صوتاً رخيماً متناغماً، يسمع في تلك الصالة حيث كان «فرانز» وحيداً. ومن دون ان يتساءل عما اذا كان يحلم ام لا؟ استعاد كامل وعيه وحسه وراح يستمع. نعم انه يشعر وكأن فماً اقترب من اذنه وكأن شفتين غيرمنظورتين ترنمان لحناً يذكر «فرانز» باغنية عاطفية عذبة كانت «لاستيلا» تغنيها في الحفلة الغنائية التي قدمتها على مسرح «سان كارلو» قبل حفلتها الاخيرة. وهكذا استسلم «فرانز» لسحر هذه الاغنية وكأنه طفل صغير تهدهده ذراعا امه. وانتهت الاغنية وراح الصوت ينخفض شيئاً فشيئاً حتى غاب مع ذبذبات الهواء. ولكن «فرانز» نفض عنه حالة الخمول هذه.. وانتصب واقفاً بسرعة.. والتقط انفاسه وراح يحاول التقاط شيء من صدى ذلك الصوت الذي اثر في نفسه تأثيراً عظيماً. ولكنه وجد الصمت في كل مكان، صمتاً مخيماً في الداخل والخارج. وحدث نفسه قائلاً: «انه صوتها، انه بالفعل صوتها الذي طالما احببته». ولما شعر بحقيقة الواقع الذي هو فيه قال اذاً كنت نائماً.. وكنت

احلم»..

الفصل الحادي عشر

في اليوم الثاني استيقظ الكونت الشاب عند الفجر وهو مضطرب الذهن بسبب ما تراءى له خلال الليل. وكان عليه ان يغادر قرية «ورست» عند الصباح ليذهب الى «كولوسفار». وبعد ان يزور التجمعات الصناعية في «بيتروزيني» و«ليفادرز» كان في نيته ان يتوقف يوماً كاملاً في «كارلسبورغ» قبل ان يتوجه الى عاصمة «ترانسلفانية» ومن هناك يأخذ القطار الى مقاطعات هنغاريا الوسطى في المرحلة الاخيرة من رحلته.

وخرج «فرانز» الى الساحة الكبرى وراح يتفحص عبر منظاره وبتأثر بالغ جوانب القصر الظاهر بوضوح تحت اشعة الشمس الطالعة على هضبة «الاورغال» وبقيت فكرة واحدة تشغله.. هل سيفي بوعده لاهالي «ورست»؟ وهل سيبلغ الشرطة حين يصل الى «كارلسبورغ» بما يجري في قصر «الكاربات»؟.

عندما اخذ الكونت الشاب على نفسه ان يعيد الامن والهدوء الى قرية «ورست» على اقتناع تام بأن القصر كان ملجأ لزمرة من الاشرار او على الاقل لجماعة مشبوهة تريد ان تختبيء من وجه العدالة مخترعة بعض الوسائل والحيل للحؤول دون الاقتراب من القصر. ولكنه خلال الليل الفائت فكر ملياً في الموضوع فطرأ تحول على مجرى تفكيره، فبات الان حائراً ومتردداً. لقد راودته الافكار والافتراضات التالية: لقد اختفى اخر المتحدرين من عائلة «الفورتز» البارون «رودولف» منذ خمس سنوات من دون ان يعلم احد مصيره بالتحديد. صحيح انه جرت اشاعات عن موته بعيد مغادرته نابولي ولكن، ما نصيب هذه الشائعات من الصحة؟ وما الدليل على هذه الوفاة؟ واي اثبات لها؟ من يدري؟ قد يكون البارون «رودولف» مازال على قيد الحياة. واذا كان على قيد الحياة فلماذا لا يرجع الى قصر اجداده؟ أليس من الممكن ايضا ان يعود معه «اورفانيك» الشخص الوحيد المقرب منه؟ وما المانع في ان يكون الفزيائي الغريب هو بذاته المصمم والمخرج لهذه الظواهر والحوادث التي مافتئت تزرع الذعر في القرية؟

وبدأت هذه الافتراضات معقولة جداً بنظر الكونت

الشاب الذي رأى ايضا انه اذا كان البارون «رودولف دي غورتز» و«اورفانيك» قد اتخذا من القصر ملجأ لهما فمن البديهي ان يجعلا من هذا القصر مكاناً منيعاً لايقربه احد حتى يتسنى لهما ان يعيشا في عزلة تامة تتناسب مع عاداتهما واطباعهما. وتساءل الكونت الشاب: اذا كان الامر كذلك فكيف يجب علي ان اتصرف؟ هل اتدخل في شؤون البارون الشخصية؟ وفيما كان الكونت «دي تلك» يفكر في الحسنات والسيئات لكل تصرف ممكن حضر الى الشرفة الكبيرة للنزل مرافقه «روتزكو» وانضم اليه. فاغتنمها الكونت الشاب فرصة مناسبة ليطلع «روتزكو» على مايدور في راسه من افكار. وبعدما سمع «روتزكو» اراء سيده الكونت وافتراضاته قال: سيدي الكونت، من الممكن جداً ان يكون البارون «دي غورتز» هو الذي يقوم بكل هذه الاعمال والتخيلات الشيطانية. واذا كان الامر كذلك، فلا ارى اي موجب ان نتدخل في هذا الموضوع. ان اهالي «ورست» ـ هؤلاء الجبناء ـ سيتدبرون امرهم كما يرتأون فهذا شأنهم وليس علينا ان نقلق من اجل اعادة الهدوء الى هذه القرية.

ـ صدقت يا«روتزكو». فبعد درس الموضوع من كل جوانبه ارى انك على حق.

ـ هذا هو رأيي سيدي الكونت. اجاب الجندي «روتزكو» ببساطة.

ـ اما السيد «كولتز» والاخرون فهم يعرفون كيف يتدبرون امرهم في الوقت الحاضر للتخلص من هذه الارواح المزعوم وجودها في القصر.

ـ بالفعل ياسيدي الكونت فما عليهم الا ان يعلموا شرطة «كارلسبورغ» بالامر.

ـ إذاً ـ قال الكونت ـ سنرحل بعد الفطور يا «روتزكو».

ـ سيكون كل شيء جاهزاً ياسيدي.

ـ ولكن قبل ان ننزل وادي «السيل» سنتوجه نحو القصر.

ـ ولماذا؟ ياسيدي الكونت؟

ـ اريد ان ارى عن كثب قصر «الكاربات». هذا القصر الفريد في نوعه.

ـ وماذا ينفع ذلك؟

ـ مجرد نزوة وهوى يا «روتزكو» وهذا لن يؤخرنا اكثر من نصف نهار.

اغتاظ «روتزكو» من اصرار سيده الكونت، وخصوصاً ان لا لزوم برأيه للمرور بقرب القصر. فهو يفضل ان يبقى الكونت بعيداً عن كل مايمكن ان يذكره بالماضي. وعبثاً حاول «روتزكو» اقناع سيده، فقد اصطدم هذه المرة بقرار

حاسم عنيد.

وحوالي الظهر استعد الكونت «فرانز دي تلك» للرحيل بعدما دفع قائمة الحسَاب المضخمة التي قدمها له «جوناس» مقرونة بأفضل ابتسامة اما السيد «كولتز» والحسناء «ميريوتا» ومعلم القرية «هرمود» والدكتور «باتاك» والراعي «فريك» وعدد من سكان القرية فقد جاؤوا جميعهم ليودعوا الكونت وحتى حارس الاحراج الشاب «نيك دك». استطاع ان يغادر غرفته وكان يبدو بحالة جيدة توحي بانه لن يطول به الامر حتى يشفى تماماً وهذا ماكان مدعاة فخر واعتزاز للممرض السابق الدكتور «باتاك» الذي كان له الفضل في ذلك كله.

وهنا التفت الكونت نحو «نيك دك» وقال له: «اقدم تهاني الحارة لك ولخطيبتك يا «نيك دك»».

ـ اننا نقبلها مع الشكر والامتنان اجابت الصبية وهي تشع فرحاً وسعادة.

ـ وليكن سفرك موفقاً سيدي الكونت، اضاف حارس الاحراج.

ـ نعم اتمنى ذلك اجاب الكونت «فرانز دي تلك» وقد تجهم وجهه وعندئذ قال السيد «كولتز»: نرجو ياسيدي الكونت ان لاتنس الاجراءات التي وعدتنا بها لدى وصولك الى

«كارلسبورغ».

- لن انساها ياسيد «كولتز» ولكن اذا ما طرأ مايؤخر في رحلتي فانتم تعرفون، ولاشك، الوسيلة السهلة للتخلص من هذا الجوار المقلق وعندئذ لن يعود القصر مصدر مخاوف لسكان قرية «ورست» الطيبين.

- الكلام على ذلك سهل.. تمتم معلم القرية وحده.

- والفعل سهل ايضاً، اجاب «فرانز»، فخلال ثمان واربعين ساعة، واذا اردتم، يكون رجال الشرطة قد القوا القبض على الذين يختبئون في القصر اياً كانوا.

- الا اذا كانوا من الارواح كما هو مرجح. قال الراعي «فريك».

- حتى ولو كانوا من الارواح، اجاب فرانز، وقد هز كتفيه هزاً خفيفاً.

- سيدي الكونت، قال الدكتور «باتاك»، لو كنت رافقتنا «نيك دك» وانا حين ذهبنا الى القصر لما كنت تقول ماتقول.

- لا، لن اغير رايي يادكتور «باتاك» حتى ولو كنت شددت من رجلي بتلك الطريقة الغريبة كما حصل لكما.

- بل شددنا باحذيتنا وكأنها تسمرت في الارض. الا اذا كنت تعتقد انني كنت احلم سيدي الكونت.

- انا لا اعتقد شيئاً، يادكتور «باتاك» ولن احاول ابداً ان

افسر لك ماتراه انت غير قابل للتفسير. ولكن اذا قصد رجال الشرطة قصر «الكاربات» فكن على ثقة بأن جزماتهم المعتادة على الانضباط لن تتسمر في الارض كما حصل لجزمتك.

وبعدما انهى الكونت حديثه مع الدكتور «باتاك» تلقى للمرة الاخيرة تحيات واحترامات صاحب نزل «الملك ماتياس» ثم حيا السيد «كولتز» و«نيك دك» وخطيبته والاهالي المتجمعين حوله واومأ الى «روتزكو». وبعد لحظات كانا يجدان السير في الممر الجبلي نحو القصر.

لقد صمم «روتزكو» ان لايوجه اية ملاحظة لسيده الكونت لان ذلك لن يجدي نفعاً. فهو معتاد ان يطيعه طاعة عسكرية وسيكون الى جانبه حتى اذا ماتعرض الكونت لاي خطر فانه يهب لمساعدته وانقاذه.

وبعد ساعتين من السير المتواصل توقف «فرانز» و«روتزكو» ليستريحا قليلاً. وبعدما تبينا الطريق نحو القصر تابعا اجتياز الممر الجبلي على امل ان يبلغا القصر قبل غروب الشمس وعندها يتمكن الكونت «فرانز دي تلك» من تفحصه جيداً من الخارج.

كان الكونت الشاب صامتاً، غارقاً في ذكرياته، مضطرباً جداً لاحتمال ان يكون البارون مختبئاً في القصر.

اما «روتزكو» فقد كان عليه ان يبـذل جهداً كبيـراً كي لايقـول لسيده ان من العبث الـذهاب ابعـد من ذلك. فالافضل والانسب ان يديرا ظهريهما لهذا القصر الملعون ويذهبا في طريقهما.

ثم تابعا السير في اسفل الوادي وكان عليهما ان يدخلا اولا منطقة حرجية كثيفة لا اثر فيها لاي طريق. وكانت الارض مليئة بالحفر العميقة لان نهـر «السيل» يفيض احياناً ايام الشتاء ويصب فيضانه بقوة في تلك الاراضي فيحولها الى مستنقعات مما جعل السير فيها صعباً وسبب بعض التأخير للكونت ومرافقه اذ استغرقت الطريق الى ممر «الفولكان» ساعة كاملة واجتازا ذلك الممر الجبلي حوالي الساعة الخامسة.

اما المنحدر الايمن لمرتفعات «البلازا» فلم يكن ابدا مكسواً بتلك الاحراج الكثيفة التي قال «نيك دك» انه لم يستطع اجتيازها الا بعد ان استعمل فأسه لفتح ممر فيها. الا انه كان هناك نوع اخر من الصعوبات تتمثل في وجود ركام حجارة مختلفة الاحجام لايمكن المجازفة في السير بينها من دون اتخاذ الاحتياطـات اللازمـة. فهنا منخفضات مفاجئة وهناك ثغـرات عميقة وصخـور غير ثابتة على اسسها، منتصبـة كنتوءات في جبـال الالب.

وهناك خليط من تراكم حجارة ضخمة جرفتها السيول من قمة الجبل. انه باختصار ردم مشعث يثير الرعب والفزع. وان صعود المنحدر في مثل هذه الظروف استلزم ساعة كاملة من الجهد المضني وبدت هـذه المسالـك الوعـرة وكأنها كانت وحدها كافية لحماية قصر «الكاربات» ومنع الوصول اليه. وربما كان «روتزكو» يأمل في ان يظهر من تلك العقبات والعوائق ما يجعل اجتياز الطريق الى القصر مستحيلا. ولكن ظنه خاب حيث تابـع الكونت الشـاب طريقه حتى بلغ القمة الامامية لمرتفع «الاورغال». ومن هنا كان جانب القصر يبدو واضحاً وسط تلك الصحراء الكئيبة التي ابعد الرعب عنها اهالي المنطقة منذ سنين طويلة.

وتجدر الاشارة الى ان «فرانز» و«روتزكو» كـانا قـد وصلا الى القصر من الجهة الشمـالية بينمـا «نيك دك» والدكتور «باتاك» وصلا اليه من الجهة الشرقية. والدخول الى القصر من الجهة الشمالية كان مستحيلاً ليس فقط لعدم وجود مدخل او جسر متحرك بل لان السور المتعرج مع طبيعة الارض على ذلك المرتفع كان عالياً جداً. ولم يكن الامر مهماً بالنسبة للكونت الشاب لانه ماكان يريد اصلاً الدخول الى القصر. وكانت الساعـة تشير الى السـابعة

والنصف حين توقف الكونت «فرانز دي تلك» و«روتزكو» عند الحد الاقصى لهضبة «الاورغال» حيث يظهر امامهم ذلك الركام المكدس الغارق في الظلال ممتزجة الوانه باللون القديم المميز لصخور «البلازا». وعن شمالها كان السور يشكل منعطفاً حاداً تدعمه الزاوية المحصنة وهناك على ذلك المنبسط وفوق حائط متين كانت تنتصب شجرة زان تشهد اغصانها المعوجة بانها كانت عرضة لزخات المطر العنيفة من الجهة الجنوبية الغربية والحقيقة تقال لقد كان الراعي «فريك» على حق. فاذا عدنا الى الاسطورة فانها تقول بزوال قصر «الكارابات» بعد ثلاث سنوات.

وكان الكونت «فرانز دي تلك» صامتاً ينظر الى مجموعة الابنية التي تؤلف القصر ويعلوها ذلك البرج الواسع القائم في الوسط. وهنا من دون شك تحت هذا الركام توجد غرف واسعة معقودة السقوف بشكل قبب. كما توجد ممرات طويلة مضللة وغرف صغيرة مطمورة في احشاء الارض كالتي نجدها في القلاع القديمة. وراح الكونت الشاب يردد في سره ان ليس من مسكن في الدنيا يمكن ان يكون اكثر موافقة وملاءمة للبارون «دي غورتز» من هذا القصر القديم لكي ينزوي فيه ويختفي. فيغمره

النسيان ولا يعلم بسره احد. وبقدر ماكان الكونت يفكر في ذلك كان يرسخ في ذهنه ان «رودولف دي غورتز» قد لجأ حقاً الى هذا القصر المعزول. علماً بأنه لم يكن هناك مايشير الى اي وجود بشري في برج القصر. اذ لا دخان يخرج من مداخنه ولا حس او صوت يخرج من شبابيكه المغلقة باحكام تام. ولا شيء ابداً ولا حتى زقزقة عصفور تعكر سر ورهبة ذلك الجو الغامض المدلهم الذي يحيط بذلك المكان العجيب.

وراح «فرانز» ينظر بنهم الى باحة القصر التي كانت في الماضي تضج بصخب الاعياد وقرقعة الاسلحة. وظل صامتاً لان قلبه كان يطفح بالذكريات وعقله كان ينضح بالافكار المتراكمة المتزاحمة. وكان «روتزكو» قد انزوى جانباً ليترك الكونت الشاب مختلياً بنفسه. ولم يُرد ان يقطع عليه خلوته ولو بملاحظة واحدة. ولكن عندما مالت الشمس الى المغيب خلف سلسلة مرتفعات «البلازا» وبدأ الظلام يغمر وادي «السيل» لم يجد «روتزكو» بُداً من الكلام فقال للكونت الشاب:

- «سيدي لقد حل المساء والساعة تقترب من الثامنة».

وبدا «فرانز» وكأنه لايسمعه. فعاد «روتزكو» الى القول: «لقد حان وقت الذهاب خصوصاً اذا كنا نريد

الوصول الى «ليفدزل» قبل ان تقفل «النزل ابوابها».

- «انا معك يا«روتزكو» انا معك اجاب فرانز ولكن نهي لحظة.

- ولكن يلزمنا ساعة على الاقل للوصول الى طريق المر الجبلي. وسنجتازها والليل حالك فلا يرانا احد.

- انتظر بعد بضـع دقائق يـا«روتزكـو» وسنتجه نحو القرية». وكان الكونت لايزال مسمراً في المكان الذي توقف فيه لدى وصوله الى مرتفع «الاورغال».

- لا تنس يـاسيدي انـه يصعب اجتياز تلـك الصخور الوعرة خلال الليل فقد كدنا نعجز عن ذلك حتى في وضح النهار. اعذرني اذا كنت الح عليك ياسيدي.

- هيا فلنذهب يا«روتزكو» اني اتبعك.

وهنا احس الشاب وكأن قوة تجبره على البقاء امام ذلك القصر. اكانت هذه القوة وليدة احساس دفين يعجز العقل عن ادراكه ام انه كان مسمراً في الارض كما كان الدكتور «باتاك» يقول عن نفسه؟. لا، ان رجليه حرتان لانه لا يشعر بأي عائق او قيد او شرك. فقـد كان يستطيع التحرك على سطـح المرتفـع. وما كـان شيء ليمنعه من التجول حول باحة القصر بمحاذاة حافة الخندق. وكان ربما يود ذلك لكن «روتزكو» ناداه قائلاً:

- «سيدي هل تأتي؟».

- نعم.. نعم سآتي». اجاب فرانز، ولكنه بقي جامداً في مكانه.

وكانت هضبة «الاورغال» قد اصبحت مظلمة. فظلال سلسلة مرتفعـات «البلازا» كـانت تخفي شيئاً فشيئـاً مجموعة ابنية القصر التي بدت كـأشباح غـير ظاهـرة المعـالم. وعما قليـل لن يظهر منهـا شيء اذا لم يتسرب بصيص نور من شبابيـك البرج الضيق. قـال روتزكـو للكونت:

- «ياسيدي الكونت تعال».

وكان فرانز يهم ليتبعه حين ظهر شبح مبهم الشكل على سطـح الحصن حيث كـانت تـرتفـع شجـرة الـزان الاسطورية. وتوقف «فرانز» وراح ينظر الى هذا الشبح الذي راحت ملامحـه تتضح شيئـاً فشيئاً انهـا امرأة مسدولة الشعر ممدودة اليـدين، ملفوفـة برداء طـويل ابيض. لم يصدق الكونت الشـاب عينيه وراح يسـائل نفسه: اليس هذا الرداء هو ذاتـه الذي كـانت ترتـديه الفنانة «لاستيلا» في المشهد الاخير من مسرحية «اورلندو» حيث رايتها للمرة الاخيرة؟ واجاب نفسه قائلاً: بلى بلى انها «لاستيلا» ذاتها جامدة بلا حراك ويداها ممدوتان

نحوي ونظرها الثاقب الحاد مصوب الي. وحينئذ صرخ الكونت بصوت عال:

- «هي... هي... انها هي...»

وهرول «فرانز» نحو الشبح وكاد يتدحرج حتى اسفل الخندق لو لم يمسك به «روتزكو».

وفجأة اختفى الشبح ولم تظهر «لاستيلا» اكثر من دقيقة. ولكن لا يهم؟ فان ثانية واحدة كانت كافية ليتعرف عليها «فرانز» الذي اردف يقول: «هي... انها هي... هي حية».

الفصل الثاني عشر

هل كان ممكناً؟؟ ايعقل ان تكون «لاستيلا» هي التي ظهرت على سطح الحصن؟ «لاستيلا» التي اعتقد الكونت الشاب انه لن يراها ابداً؟ لم يكن ضحية وهم او تصور لان «روتزكو» رآها ايضاً. لقد كانت حقاً هي هي «لاستيلا» الفنانة الكبيرة في ثوب «الانجليكا». كما ظهرت

على الجمهور في حفلتها الوداعية على مسرح «سان كارلو». انها حقيقة مرعبة تأكدت منها عينا الكونت الشاب وتراكضت الافكار في ذهنه مستنتجاً. ان تلك المرأة التي احبها حتى العبادة، تلك المرأة التي كانت ستصبح زوجته هي الان مسجونة ومنذ خمس سنوات وسط جبال الترانسيلفانية. تلك المرأة التي رآها تقع ميتة على المسرح نجت من الموت وعادت الى الحياة. وخطرت في ذهن الكونت فكرة اخرى وهي ان البارون «دي غورتز» تمكن من خطف «لاستيلا» حين نقل هو «اي الكونت» الى نزله في نابولي بين الحياة والموت بعد الحادث الذي اصابه في المسرح.

ومن هناك حمل البارون الفنانة «لاستيلا» الى قصر «الكاربات». ولم يكن اذن الا نعشاً فارغاً ذاك النعش الذي مشى وراءه الاهالي في اليوم التالي للحادث وشيعوه الى مقابر «كامبو سانتو نيوفو» في نابولي. كل ذلك يبدو غير معقول وغير مقبول وغير منطقي. انه امر لايصدق. ولكن «فرانز» ظل يردده بعناد واصرار. فبالنسبة له كان هناك واقع يفرض نفسه وهو ان البارون «دي غورتز» خطف «لاستيلا». الم يرها بأم عينيه منذ لحظات في القصر؟ انها حية. الم يرها بذاتها فوق هذه الاسوار؟ انه متأكد كل التأكيد من ذلك. وراح الكونت الشاب يحاول التخلص من

هذه الفوضى الضاربة في افكاره. هذه الافكار التي باتت تتركز حول فكرة واحدة وهي انتزاع «لاستيلا» من يدي البارون «رودولف دي غورتز» التي يحبسها منذ خمس سنوات في قصر «الكاربات».

- اسمعني يا«روتزكو»، قال «فرانز» بصوت لاهث. افهمني وخصوصاً لاني اشعر اني سأفقد عقلي.
- سيدي... سيدي العزيز الغالي..
- يجب ان اصل اليها مهما كلف الامر.. والليلة بالذات.
- الليلة لا.. غداً ياسيدي.
- قلت لك الليلة.. انها هناك.. رأتني كما رأيتها.. انها تنتظرني.. يا«روتزكو».
- حسناً مادمت مصراً فاني سأتبعك ياسيدي.
- لا... سأذهب وحدي.
- وحدك؟
- نعم... ياروتزكو.
- ولكن كيف يمكنك الدخول الى القصر ان «نيك دك» لم يستطع ذلك.
- قلت لك يا«روتزكو» سأدخل..
- لكن البوابة مقفلة.
- لن تكون مقفلة امامي. سأفتش.. سأجد ثغرة ما

وسأدخل.

- الا تريد ان ارافقك ياسيدي؟ الا تريد؟
- لا... لا اريد يا«روتزكو». اننا سنفترق.. وفي افتراقنا خدمة لي.
- سأنتظرك هنا إذاً؟
- لا يا«روتزكو».
- الى اين اذهب اذاً؟ ياسيدي.
- الى «ورست» لا... لا تذهب الى «ورست» ياروتزكو ليس من الضروري ان يعلم هؤلاء الناس بالامر.. انزل الى قرية «الفولكان» حيث تبيت ليلتك.. واذا لم الحق بك في الغد اترك قرية «الفولكان» عند الصباح... لا....لاتترك عند الصباح بل انتظر بضع ساعات ثم اذهب الى «كارلسبورغ».. وهناك تخبر رئيس الشرطة بالامر.. تخبره كل شيء.. ثم عد مع فرقة من الشرطة.. وليقتحموا القصر اذا لزم الامر.. يجب ان تنقذوها.. يجب ان تخلصوها... يا إلهي.. هي... «لاستيلا»... حية.. أيعقل ان تكون تحت سلطة «رودولف دي كورتز»؟..

وفيما كان الكونت يتفوه بهذه الجمل المتقطعة كان «روتزكو» يرى معلمه يزداد هيجاناً يعبر عنه بأحاسيس وتصرفات مضطربة مشوشة كتلك التي تصدر عن رجل

لايتمالك نفسه.

- إذهب يا«روتزكو» صرخ الكونت مرة اخرى.

- أمصر انت على ذلك ياسيدي؟

- نعم.. كل الاصرار.

تجاه هذا الامر الصارم لم يبق «لروتزكو» الا ان يطيع.

وقبل ان يفكر في الامر كان «فرانز» قد ابتعد عنه وسط ظلام يحجبه عن الانظار. وبقي «روتزكو» مكانه لبعض الوقت من دون ان يتمكن من الذهاب. وعندها خطرت له فكرة وهي ان جهود «فرانز» لدخول القصر ستبوء بالفشل ولن يتمكن حتى من اجتياز السور وسيضطر للعودة الى قرية «الفولكان» ربما في الصباح او حتى هذه الليلة.. وسيذهبان معاً عندئذ الى «كارلسبورغ».. وما عجز عنه «فرانز» وحارس الاحراج «نيك دك» سيحققه رجال الشرطة.. وسيقبضون على «رودولف دي غورتز» وسينتزعون منه «لاستيلا» المسكينة وسيفتشون قصر «الكاربات».. ولن يتركوا منه حجرا على حجر اذا اضطرهم الامر.. ولتأت كل شياطين الجحيم لحمايته..

ثم نزل روتزكو منحدراً مرتفع «الادغال» ليأخذ طريق الممر الى قرية «الفولكان». بينما ظل «فرانز» يتابع سيره محاذياً قدر الامكان حافة الخندق الذي يحيط بالقصر

متلمساً جوانبه بين الحين والاخر ليتأكد انه لايبتعد عن القصر في ذلك الظلام الحالك.

كان يشعر ان قوة غير عادية تفوق القوة البشرية تسانده وان غريزة غريبة لايمكن ان تخطىء هي التي تقوده. وبلغ الحصن الذي كانت ترتفع بعده الاسوار الجنوبية التي تتصل مباشرة بالجسر المتحرك عندما لايكون هذا الجسر مرفوعاً على البوابة. ولكن ابتداء من هذا الحصن بدأت المصاعب والعوائق تتكاثر. ولم يعد ممكناً بين تلك الصخور الكبيرة ان يتبع جدار الخندق المحيط بالقصر. وكان عليه الابتعاد عنه. حيث كانت الارض امامه ركاماً وردماً ونتوءاتٍ وحفراً. وليس من علامة تساعد على التوجه نحو القصر. وليس من بصيص نور في ذلك الليل الحالك يرشده اليه. ورغم كل هذه الصعوبات كان «فرانز» يتابع سيره ويصعد هنا فوق صخر كبير ويزحف هناك بين الصخور فيجرح الشوك يديه وتمسح رأسه ازواج من الطيور الهاربة وهي تطلق صراخاً صاخباً.

آه لماذا لاتقرع اجراس الكنيسة القديمة كما قرعت «لنيك دك» وللطبيب «باتاك»؟ لماذا لايظهر فوق شرفات البرج ذلك النور القوي الذي غمرها. لو قرعت اجراس

الكنيسة لكان مشى نحو الصوت. ولو اضاء ذلك الضوء لكان اتجه نحوه كما يتجه البحار في عرض البحر نحو صفارة انذار او ومضات منارة.

ولكن لم يكن هناك الا الليل الحالك يحجب النظر فلا يرى امامه ابعد من بضع خطوات. واستمر سيره على هذا النحو قرابة ساعة عندما اكتشف ان الارض عن شماله آخذة في الانحدار فادرك انه قد ضل الطريق.. انزل الى مستوى ادنى من مستوى البوابة ام تقدم الى مابعد الجسر المتحرك؟

وعندها توقف فرانز ضاربا برجله وفاركاً يديه الواحدة بالاخرى ومتسائلاً الى اي جهة عليه ان يتجه؟ لقد اغتاظ كثيراً لمجرد التفكير بانه سيضطر لانتظار النهار لمتابعة سيره. فاذا سار في النهار فسيراه اهل القصر. ولن يتمكن من مفاجأتهم.. وسيكون «رودولف دي غورتز» متأهباً لاي طارىء.

لذا كان لابد من دخول القصر في تلك الليلة بالذات ولكنه كان عاجزاً عن تحديد وجهة سيره في ذلك الظلام الحالك.

واستولى عليه اليأس وصرخ صرخة قوية: «لاستيلا».. حبيبتي «لاستيلا».. ربما كان يعتقد ان

السجينة ستسمعه وانها ستجيبه.. لذلك وجد نفسه يردد هذه الصرخة عشرين مرة فتردد صداها مرتفعات «البلازا» وفجأة لمعت عينا «فرانز» وادرك ان بصيص نور ينسل عبر الظلام. بصيص نور قوي يبدو ان مصدره عال بعض الشيء.

فقال «فرانز» في نفسه: «هذا هو القصر... هذا هو»..

فالواقع وحسب مصدر هذا النور فانه لم يكن ليأتي الا من البرج الرئيس للقصر.

وايقن فرانز وهو على ماهو فيه من حالة عصبية وعقلية ان «لاستيلا» ترسل له هذا الضوء. ولا مجال بعد للشك في الامر حسب رايه. لقد عرفته حين ظهرت على سطح الحصن وهي الان ترسل اليه هذه الاشارة الضوئية لترشده الى الطريق الذي يجب عليه ان يسلكه للوصول الى البوابة.

واتجه فعلا نحو الضوء الذي كان يزداد وهجاً بقدر ما كان «فرانز» يقترب منه. ولما كان قد اتجه خلال سيره كثيراً نحو الشمال على هضبة «الاورغال» فقد اضطر ان يعود حوالي العشرين خطوة صعوداً نحو اليمين. وبعد ما تلمس طريقه بيديه ورجليه وجد نفسه من جديد امام حافة الخندق الذي يحيط بالقصر. وكان الضوء يلمع في

الجهة المقابلة له وكان علو هذا الضوء يثبت انه يأتي من احدى نوافذ برج القصر. وتابع «فرانز» سيره باتجاه الضوء ووجب عليه ان يواجه العقبات الاخيرة التي يخشى الا يتمكن من تخطيها. فبوابة القصر كانت مغلقة والجسر المتحرك مرفوعاً. واذا نزل الى اسفل السور المحيط بالقصر فكيف له ان يتسلق هذا السور الذي يعلو اكثر من عشرين متراً.

ولكنه تقدم نحو القاعدة التي يرتكز عليها الجسر حين يكون ممدوداً. وما ان بلغ هذه القاعدة حتى فتحت البوابة الكبيرة وامتد الجسر. ودون ان يفكر في الامر اجتاز الجسر حتى وصل الى الباب الداخلي للقصر وما ان وضع يده على الباب حتى فتح. وعندئذ دخل مسرعاً تحت القبة المظلمة. وما ان مشى بضع خطوات حتى ارتفع الجسر المتحرك وانغلق على ابوابة محدثاً ضجيجاً قوياً. وهكذا اصبح الكونت «فرانز دي تلك» سجين قصر «الكاربات».

الفصل الثالث عشر

ان اهالي البلاد الترانسيلفانية والمسافرين الذين يعبرون ممر «الفولكان» لايعرفون عن قصر الكاربات الا منظره الخارجي. فالمسافة التي كانت تفصل دائما ـ بسبب الخوف ـ بين اهالي قرية «ورست» والجدار المحيط بالقصر لم تكن تسمح للانظار بأن ترى غير كومة هائلة من حجارة قصر قديم مهدم. ولكن، هل كان القصر وراء الاسوار خرباً الى الحد الذي يتصوره الكثيرون؟ كلا. فلقد بقيت ابنية القصر من الداخل سليمة ويمكن لهذا القصر، القلعة الاقطاعية القديمة، ان يؤوي داخل اسواره كتيبة جند كاملة. ففيه غرف مقببة معقودة السقوف واقبية واسعة ومماش متعددة، واحواش اخفى العشب بلاطها وخلوات تحت الارض لايصل اليها النور اطلاقا وسلالم مخفية ضمن سماكة الجدران ومعاقل حربية تضيئها فتحات ضيقة في السور الكبير وبرج مركزي من ثلاث طبقات فيه مساكن صالحة للسكن بشكل مقبول وسطحه

محاط بمعوقات مسننة الجوانب. وكان يربط بين الابنية المختلفة للقصر ممرات متداخلة تصعد الى سطوح الحصون وتنزل الى اعماق الابنية التحتية. وهنا وهناك ترى بعض الصهاريج التي تمتلىء بمياه الشتاء ويصب الفائض منها مع السيول في نهر «النياد». واخيراً انفاق طويلة غير مسدودة كما كان يظن بل هي تؤدي الى طريق ممر «الفولكان».

لم يكن فرانز يفكر الا بالدخول الى القصر وقد نجح. وربما كان عليه ان يتساءل لماذا انزل الجسر المتحرك خصيصاً ليسمح له بالدخول بينما كان هذا الجسر مرفوعاً منذ زمن طويل؟ وربما كان عليه ان يقلق ايضا لان المدخل الاساس قد اغلق وراءه وقد لايكون امامه سبيل للخروج من هذا القصر. الا ان فرانز لم يفكر قط بذلك. فهو الان في القصر الذي يحتجز فيه البارون «رودولف دي غورتز» الفنانة «لاستيلا» وهو مستعد ان يضحي بحياته في سبيل الوصول اليها. ودخل «فرانز» رواقاً واسعاً وعالياً ذا قبة منخفضة الوسط، بلاطه غير متصل والسير عليه بخطى ثابتة صعب خصوصا في ذلك الظلام الدامس الذي كان يغطي المكان. واقترب «فرانز» من الحائط الشمالي للرواق وراح يسير بمحاذاته متلمساً حجارته

التي كان طلاؤها يتفتت بين يديه. ولم يكن يسمع سوى وقع خطواته الذي كان له رجع اصداء بعيدة ثم شعر بمجرى هواء دافىء عفن الرائحة يدفعه من الوراء. وبعدما تخطى عموداً من الحجارة كان يسند الزاوية الاخيرة الى الشمال وجد نفسه امام ممشى ضيق، يكاد يكون عرضه وسع فتحة ذراعيه. إلا انه تقدم منحنياً متلمساً طريقه بيديه ورجليه باحثاً عما اذا كان هذا الممشى يتبع خطاً مستقيماً. وبعد قرابة مئتي خطوة من عمود الزاوية شعر ان الممشى يتجه شمالا ليعود فيستقيم في اتجاه معاكس بعد حوالي خمسين خطوة. وهنا تساءل «فرانز»: ايعيدني هذا الممشى الى سور القصر ام تراه يؤدي الى اسفل البرج؟ وحاول ان يسرع لكنه كان يضطر الى التوقف مرة بعد اخرى اما بسبب اصطدامه بصخرة ناتئة في الارض واما بسبب التواء مفاجىء يغير اتجاه الممشى. كان يعثر احياناً على فتحات في جانب الممشى تؤدي الى مماش جانبية. وكان الظلام دامساً والرؤية معدومة ولكنه يحاول عبثاً ان يجد طريقه في ذلك الدهليز المتشعب. فكم مرة اضطر للرجوع على اعقابه لانه وصل الى طريق مسدود. وكم مرة خاف ان تزلق رجله في باب نجاة في الارض غير محكم الاغلاق فيسقط الى اعماق هوة

يستحيل عليه الخلاص منها. وكم مرة سمع لوحا حديديا يرن تحت اقدامه بسبب فراغ تحته فيتمسك بالحائط مخافة ان يهوي به هذا اللوح؟ لكنه رغم ذلك كان يتابع سيره بحماسة شديدة لم تترك له مجالاً للتفكير او التأمل.

كان «فرانز» لايزال على مستوى الاحواش الداخلية للقصر لانه حتى الان لم يصعد ولم ينزل. فهل يمكن ان يؤدي هذا الممشى الى البرج المركزي عند اول السلالم؟ لاشك ان هناك طريقاً اخرى تصل مباشرة بين البوابة الخارجية وابنية القصر. فليس معقولا ان يسلك سكان القصر كل هذه الممرات والمماشي التي لانهاية لها. نعم فالذين عرفوا القصر يقولون ان هناك باباً ثانياً مقابل البوابة الخارجية وفي الجهة المقابلة للرواق الذي سلكه «فرانز» وهذا الباب يؤدي الى مخزن الاسلحة الذي يقوم البرج في وسطه. ولكن «فرانز» كما يبدو لم يهتد اليه. فقد يكون هذا الباب مسدوداً.

وهكذا انقضت ساعة على «فرانز» وهو يسير في المجهول. يترقب اية حركة او ضجة. ولا يجرؤ على مناداة «لاستيلا» لئلا تبلغ اصداء صراخه طبقات البرج العليا. ولم يدهمه اليأس ابدا لكن التعب انهكه وان كان لايشعر بذلك بعد. فمنذ ترك قرية «ورست» لم يذق طعاماً ولا شراباً

فهو جائع عطشان. وخطواته لم تعد ثابتة ورجلاه بدأتا تصطكان، وتنفسه اصبح لاهثاً وقلبه يخفق بسرعة فائقة.

كانت الساعة تشير الى قرابة التاسعة مساء حين شعر انه يطأ في فراغ. فانحنى يتلمس الارض فوجد درجة ثم اخرى. انه سلم يتوغل في اساسات القصر وقد لايكون نافذاً.

الا انه لم يتردد في النزول على هذا السلم وراح يعد درجاته السبع والسبعين حتى وصل الى ممشى افقي كثير الالتواءات، شديد الظلام.

ومشى حوالي نصف ساعة ثم توقف منهوك القوى. وفجأة ظهر ضوء على مسافة مئة متر تقريباً. فراح يتساءل: «من اين يأتي هذا الضوء»؟

هل يكون نتيجة بعض العوارض الطبيعية؟ أليس حرياً ان يكون هذا فانوساً يحمله احد الموجودين في القصر؟ ولم لا؟ الا يمكن ان تكون هي «لاستيلا»؟ واذا كانت هي التي اظهرت له ضوءاً من احدى نوافذ البرج حين كان تائهاً بين الصخور الا يمكن ان تكون هي ايضاً تحاول من خلال هذا الضوء ان تقوده عبر هذه التعرجات المهلكة؟

تمالك فرانز نفسه بجهد وانحنى وتطلع نحو الضوء

فاذا نور يشع مما يشبه الناووس* في اخر الممشى. فقرر ان يزحف نحو النور على بطنه لان رجليه ماعادتا تحملانه. وبعدما تجاوز فتحة ضيقة بلغ عتبة قبو يشبه كنيسة قديمة وكان هذا القبو بحالة جيدة. علوه حوالي اربعة امتار، دائري الشكل بقطر يقارب علوه وقبته ترتكز على ثمانية تيجان لثمانية اعمدة دائرية الشكل. اما اقواس هذه القبة فتلتقي حول مثلث كروي يتدلى من وسطه مصباح من زجاج يشع منه نور اصفر.

وقبالة الباب القائم بين اثنين من الاعمدة كان هناك باب اخر مقفل وقد غطى الصدأ رؤوس مساميره واقفاله وهنا نهض «فرانز» واتجه صوب هذا الباب وحاول ان يزعزع دعائمه الثقيلة لكن محاولاته باءت بالفشل. وعندها راح يراقب محتويات القبو من حوله. فهنا سرير عتيق من خشب السنديان مع بعض لوازمه. وهناك مقعد مجدول القوائم وطاولة مشدودة الى الحائط بماسكات من حديد وضع عليها ابريق كبير واسع مملوء بالماء وصحن فيه قطعة من اللحم البارد ورغيف كبير يابس. وهناك في احدى الزوايا خرير مياه في حوض تغذيه نافورة رفيعة

* الناووس: مقبرة النصارى/ حجر منقور تجعل فيه جثة الميت.

ويتسرب الفائض منه في مصرف محكم في اساس احد الاعمدة. الا تبدو هذه التجهيزات وكأنها اعدت لضيف ينتظر وصوله الى هذا القبو؟ او بالاحرى لسجين ينتظر دخوله هذا السجن؟ الا يكون «فرانز» هذا السجين وقد اقتيد الى هذا السجن بالحيلة؟ لكن «فرانز» لم يفكر ابدا بهذا الامر. فلقد كان مضطرب الافكار منهوك القوى جائعاً عطشان. فارتمى على تلك الطاولة يلتهم بنهم ما عليها من المآكل ويروي غليله من ماء ذلك الابريق. ثم القى بنفسه على ذلك السرير الضخم علّه يرتاح بضع دقائق فيعود اليه شيء من قوته. ولما حاول استجماع افكاره كانت تفلت من ذهنه كما لو كان يلتقط الماء بيده. هل كان عليه ان ينتظر حتى الصباح ليستأنف التفتيش؟ هل سلبت ارادته الى حد انه لم يعد سيد نفسه وتصرفاته؟ وما ان راودته هذه الافكار حتى انتفض قائلاً: «لا، لن انتظر الصباح. لابد من الوصول الى البرج الليلة بالذات».

وفجأة انطفأ ذلك الضوء الذي كان يخرج من المصباح الزجاجي المعلق في وسط القبة وغرق القبو في ظلام دامس.

واراد فرانز النهوض.. فلم يقوَ واحس ان فكره قد



حبس «فرانز» انفاسه وراح يستمع...

غرق في سبات عميق او كأنه توقف عن التفكير فجأة كعقرب ساعة انكسر محركها. فنام نوماً غريباً او بالاحرى كان ذلك خبلاً مرهقاً او قل انعداماً مطلقاً في كيانه. ولما استفاق وجد ساعته متوقفة فلم يعرف كم دام ذلك النوم العميق. لكنه لاحظ ان المصباح في وسط القبة قد اضيء من جديد. وعندئذ ترك سريره ومشى بضع خطوات نحو الباب الاول فوجده مفتوحاً ثم نحو الباب الثاني الذي كان لايزال مقفلاً.

لم يكن سهلاً عليه ان يستعيد قدرته على التفكير. فاذا كان جسمه قد ارتاح من تعب الليلة الماضية فانه كان يشعر وكأن رأسه فارغ وثقيل في آنٍ معاً. وحاول ان يتذكر كم قضى من الوقت نائماً. كما وراح يتساءل: «هل الوقت ليل ام نهار»؟

لم يتغير شيء داخل القبو الا ان الضوء أضيء والاكل جدد والابريق ملىء. وغرق «فرانز» في تفكير عميق. هل دخل احد الى القبو حين كان هو غارقاً في سباته العميق؟ وهل كانوا يعلمون انه وصل الى اعماق القصر؟ وهل اصبح تحت رحمة البارون «رودولف دي غورتز»؟ وهل كان محكوماً عليه بألا يتصل باحد بعد الان؟ انه لم يكن ليرضى بهذه الحال. فباستطاعته ان يهرب. وسيجد

الرواق المؤدي الى البوابة الخارجية وسيخرج من القصر. ولكن.. الم تغلق البوابة الكبيرة وراءه حين دخل القصر؟ لا بأس سيحاول ان يبلغ حائط السور وسيجد فتحة ما تقوده الى الخارج. ومهما كلف الامر يجب ان يكون خارج القصر خلال ساعة من الان. ولكن.. ماذا يحل «بلاستيلا».. هل يتخلى عن الوصول اليها؟ هل يذهب من دون ان ينتزعها من «رودولف دي غورتز»؟

كلا لن يتركها. ان ما عجز عن انجازه وحده سينجزه بمساعدة رجال الشرطة الذين من المفروض ان يكون «روتزكو» قد اتى بهم من «كارلسبورغ» الى قرية «ورست».

وعندئذ سيهاجمون القصر وسيفتشون ابنيته واقبيته ودهاليزه.. سيفتشونه كله.. انه قرار صائب وحكيم ويجب ان يبدأ تنفيذه في الحال..

وما ان توجه «فرانز» نحو الممشى الذي دخل منه الى القبو حتى سمع مايشبه انزلاق الارجل خلف الباب الثاني. انه وقع اقدام تقترب على مهل. فوضع اذنه على مصرع الباب، وحبس انفاسه واصغى.. كان وقع الاقدام يسمع بصورة منتظمة وكأنها تصعد سلماً درجة بعد درجة. فلاشك اذن ان خلف الباب الثاني سلماً يصل

القبو بالاحواش الخارجية. وتحسباً لكل طارىء، استل خنجره وامسك به بقوة. وقال في نفسه: «اذا كان القادم من الخدم فسأنقض عليه وانتزع منه المفاتيح، واجعله عاجزاً عن اللحاق بي ثم احاول الوصول الى البرج عبر هذا الممر الجديد. واذا كان القادم هو البارون بنفسه فسأضربه بلا شفقة. وفجأة توقفت تلك الاقدام امام العتبة الخارجية للباب. فجمد في مكانه منتظراً ان يفتح الباب. ولكن الباب لم يفتح بل تسرب الى مسامع الكونت صوت رخيم بمنتهى النعومة.

انه صوت «لاستيلا»... بلى... ولكنه اضعف قليلا مما كان. انه هو.. انه صوتها بكل تموجاته وسحره ونغماته المغناج. انه آله ذلك الفن الرائع الذي ظن انه مات بموت الفنانة. انها «لاستيلا» تردد ذلك النغم الحزين النائح الذي دغدغ احلامه حين كان يداعبه النعاس في الصالة الكبيرة في نزل «ورست». الم يحلم يومها انه كان يسمع صوت «لاستيلا» تترنم بهذه الاغنية بالذات؟ وكان هذا النغم يغوص الى اعماق نفسه. وكان يشرقه شرقاً ويشربه كشراب سماوي إلهي فيما «لاستيلا» تردد هذا النغم وكأنها تدعوه للحاق بها. ولكن الباب مازال موصداً.. فكيف السبيل اذاً الى «لاستيلا»؟ ما العمل ليصل اليها

ويأخذها بين يديه ويخرجها من هذا القصر؟ كيف؟.. كيف؟ وصرخ فرانز: «لاستيلا... لاستيلا» ملقياً بنفسه على الباب الذي بقي صامداً مقفلاً في وجهه. ثم بدأ الغناء يضعف والصوت يخفت ووقع الاقدام ينادي: «لاستيلا... لاستيلا» بينما صوت «لاستيلا» يختفي في اعماق القصر. وفجأة لمعت في ذهنه فكرة رهيبة: ان «لاستيلا» مجنونة.. مجنونة لانها لم تتعرف اليَّ.. لانها لم تجبني!... فهي مسجونة هنا منذ خمس سنوات تحت رحمة هذا الرجل.. مسكينة «لاستيلا» لقد فقدت عقلها.. وحينئذ قام وعيناه باهتتان، وحركاته مضطربة ورأسه محموم.. وراح يردد: «انا ايضا اشعر بأني افقد صوابي.. اشعر انني سأصبح مجنونا.. مجنوناً مثلها». وتابع وهو يذرع القبو ذهاباً واياباً كأنه وحش في قفص: «لا. لا. لايجوز ان افقد صوابي.. يجب ان اخرج من هذا القصر... وسأخرج». واسرع نحو الباب الاول لكن هذا الباب كان قد اغلق حين كان هو مأخوذاً بصوت «لاستيلا» فلم ينتبه اليه. وهكذا بعدما كان فرانز اسيراً في القصر اصبح الان اسيراً في القبو.

الفصل الرابع عشر

بقي «فرانز» مذهولا، فهو لايقوى على التفكير، ولا على ادراك الامور ولا على تحليلها والاستنتاج منها. شعور واحد كان ينتابه. انه ذكرى «لاستيلا»، انه الاثر الذي تركه في نفسه ذلك النغم الذي لم يعد يسمع حتى صداه.

هل كان إذاً ضحية وهم وتخيل؟ لا والف لا. لقد كان متأكداً انها «لاستيلا». فلقد رآها على سطح الحصن. ولقد سمعها خلف الباب في القبو. ولا يوجد الا تفسير واحد لما جرى. انها مجنونة. ويا لهول المصيبة على «فرانز». فلقد احس انه فقدها مرة ثانية.. وراح يردد: «مجنونة... مجنونة.. مجنونة نعم لانها لم تتعرف الى صوتي.. لانها لم تستطع ان تجيب على نداءاتي.. مجنونة.. مجنونة... آه... لو كان بوسعي ان اخرجها من هذا القصر وان آخذها الى قصر «كراجوا» فأكرس نفسي لها كلياً واوفر لها العناية والحب الكفيلين باعادتها الى صوابها».

وهكذا امضى «فرانز» ساعات في حالة هذيان شديد قبل ان يستعيد وعيه وتفكيره وينكب على التحليل بهدوء وبرودة اعصاب ورباطة جأش. وقال في نفسه: «يجب ان اهرب من هنا. ولكن كيف السبيل الى ذلك؟ لا سبيل الى الهرب الا حين يفتح هذا الباب وسأنتظر حتى يأتوا لتجديد الطعام حيث سأتظاهر بالنوم. آه.. النوم.. فاني اذا كنت قد نمت ذلك النوم العميق فلاشك بأن احدهم وضع مخدراً او منوماً في مياه الابريق او في الطعام. اذاً لن اشرب من هذا الابريق ولن اذوق هذا الطعام.. رباه.. هل سيدخل احد من سكان القصر الى هذا القبو الان؟ ولكن ما الوقت الان أهو الصباح المشرق ام المساء؟ من يدري؟ على كل حال لابد من الانتظار».

وراح «فرانز» ينتظر مترقباً اي وقع اقدام عند هذا الباب او ذاك.. ولكن بلا جدوى.. وعندئذ راح يزحف بمحاذاة جدران القبو، وراسه محموم، وعيناه شاردتان، واذناه تطنان وهو يلهث تحت وطأة جو ثقيل يكاد هواؤه لا يتجدد. وفجأة شعر بنسمة باردة تنفح شفتيه عبر زاوية احد الاعمدة لجهة اليمين! فهل هناك فتحة يدخل منها الهواء من الخارج؟ نعم كان هناك ممر مخفي في ظل العمود. فسارع الكونت الشاب الى التسلل عبر هذا الممر

متجهاً نحو ضوء خافت يظهر انه كان يأتي من فوق حيث كان هناك حوش صغير مستدير عرضه من خمسة الى ستة اقدام بينما يبلغ علو حيطانه حوالي المئة قدم وهذا المكان اشبه بقعر بئر يشكل بهواً لهذه الزنزانة فيدخل اليها من خلاله بعض من النور والهواء. وعندئذ تأكد «فرانز» ان الوقت مايزال نهاراً. فالنور الظاهر من فتحة البئر هذه يشير الى ان الشمس بدأت تميل نحو المغيب. وان الساعة على مايبدو حوالي الخامسة مساء. ومن هنا استنتج «فرانز» انه نام ما لا يقل عن ثمان واربعين ساعة وترسخت فكرته انه كان تحت تأثير مخدر او منوم. ولما كان الكونت قد ترك قرية «ورست» برفقة «روتزكو» في الحادي عشر من حزيران فان اليوم وبعد ثمان واربعين ساعة هو اليوم الثالث عشر من حزيران.

وعلى الرغم من ارتفاع نسبة الرطوبة في تلك البئر فقد تنشق فرانز الهواء ملء رئتيه وشعر بأنه ينتعش ولو قليلاً. ولكن امله في الهروب قد تبدد. لان تسلق الجدران الملساء لهذه البئر امر مستحيل.

رجع فرانز الى داخل القبو. ولما لم يبق له امل بالهروب الا من خلال احد بابي القبو فقد اراد ان يتبين ويتفحص حال كل منهما. فالباب الاول الذي دخل منه كان متيناً جداً

وسميكاً جدا يحكم اغلاقه من الجهة الاخرى اكثر من مزلاج عالق بخرزة من حديد.

اذاً، لا امل ابدا بخلعه اما الباب الثاني الذي سمع وراءه صوت «لاستيلا» فقد بدا اقل متانـة. حيث كانت الواحه مهترئة في بعض اجزائها. وقد لايكون صعباً ان يجد مخرجاً من خلاله. واستعاد «فرانز» رباطة جأشه وهدوء اعصابه. وصمم ان يفتح هذا الباب وباشر العمل فوراً اذ لاوقت لديه يضيعه. كما صار من المحتمل ان يدخل احدهم الى القبو حالما يحسبونه نائماً تحت تأثير المنوم. وهكذا راح «فرانز» ينجر بسكينه الخشب حول خرزة المزلاج وحدائد الاقفال. وسار العمل بسرعة اكثر مما كان يتصور. فالخشب حول الحدائد والمزلاج كـان مهلهلا مهترئاً بفعل العفن. وكان «فرانز» يعمل بلا ضجة ثم يتوقف عن العمل بين الحين والإخر مصغياً ليتأكد من عدم وجود اية ضجة اوحركة في الخارج.

وبعد ثلاث ساعات. كانت الاقفال قد نزعت والباب قد انفتح محدثاً بعض الصرير. وعاد «فرانـز» الى الحوش الصغير ليتنشق هواء اقل رطوبة. ولكنه لم يجـد النور الذي كان يدخل من فتحة البئر فقد كان المكان غارقاً في ظلمة حالكـة. ونظر من خـلال الفتحة فـرأى عدداً من

النجوم يتلألأ في الفضاء وكأنه ينظر من خـلال راصدة طويلة. كما لاحت له غيوم صغيرة تتوارى على مهل تحت تأثير هبات من الهواء الذي يزداد برودة مع الليل.

وكان يفترض ان تكون الساعة حوالي التاسعة مساء عندما عاد «فرانز» الى القبو فأكل قليلا ثم شرب من مياه الحوض بعدما افرغ الابريق ارضاً. ووضـع سكينه في زناره وخرج من الباب ورده وراءه. وخطر في بـاله انـه سيلتقي الان المسكينة «لاستيلا» مجنونة تائهة في تلـك السراديب فكاد قلبه ينفطر ولكنه تابع سيره وما ان خطا بضع خطوات حتى اصطدمت رجله بـدرجة سلم. اذاً، وكما كان يتوقع، هنا يبدأ السلم. فصعد عليه وهو يعد درجاته التي بلغت ستين درجة فقط بينما بلغت درجات السلم الذي نزل عليه الى القبو سبعاً وسبعين درجة. فهو اذاً لايزال تحت مستوى الحوش الخارجي للقصر بسبع عشرة درجة اي مايعادل ثمانية اقدام تقريباً.

وعندها لم يجد سبيلاً افضـل من ان يسير في هـذا الممشى المظلم ويداه الممدوتان تتلمسان جدرانه. ومضت نصف ساعة من دون ان يستوقفه باب او حاجـز ولكن اكواماً عدة منعته من ان يعرف وجهة سـيره بالنسبـة للحائط الخارجي المواجه لهضبة «الاورغال».

استراح بضع دقائق يلتقط انفاسه ثم تابع سيره وبدا انه لن يبلغ نهاية لهذا الممشى لولا انه اصطدم بحائط من القرميد يسد الممشى وراح يفتش في هذا الحائط وعلى عدة مستويات عن فتحة فلم يجد. فلم يتمالك نفسه، وصرخ صرخة قوية. لان كل آماله تحطمت امام هذا الحائط. فالتوت ركبتاه واصطكت رجلاه ثم ارتمى على الارض ممدداً امام هذا الحاجز. وفيما هو يلتمس الارض في اسفل الحائط القرميدي وجد شقاً ضيقاً وعندئذ صرخ «فرانز»: من هنا.. نعم من هنا». وفيما هو يرفع القرميد حجراً بعد حجر سمع ضجة في الجانب الاخر من الحائط. فجمد في مكانه بلا حراك. وفيما استمرت الضجة ظهر شعاع نور من خلال الشق في الحائط القرميدي. فاقترب «فرانز» من الشق ونظر الى مصدر النور فرأى كنيسة القصر القديمة وقد اصبحت خربة بفعل الاهمال ومرور الزمن. حيث بقي منها قبة نصف مهدومة، تترابط بعض ضلوعها مستندة على اعمدة شبه ملتوية، وقنطرتان او ثلاث من الطراز القوطي على حافة الانهيار، ونوافذ مخلعة قوطية التقسيم والهندسة. وهنا وهناك لوحة من الرخام مغطاة بالغبار يرقد تحتها احد اجداد عائلة «الغورتز». وفي صدر الكنيسة بقية من مذبح كانت تظهر عليه نحوت

متآكلة. وبعد، بقي بعض من السقف فوق المذبح يحميه من زخات المطر واخيراً تظهر قبة الاجراس فوق الباب الكبير يتدلى منها حبل يصل الى الارض. انه حبل الجرس الذي كان رنينه يزرع الرعب في نفوس اهالي «ورست» المتأخرين على طريق الممر الجبلي.

وتفرس «فرانز» في انحاء تلك الكنيسة المقفرة منذ زمن بعيد، المشرعة ابوابها لتقلبات الطقس في جبال «الكاربات» فرأى رجلا يحمل في يده مصباحاً، بدا بفضل نوره وجه الرجل واضح الملامح. انه «اورفانيك». ولقد تعرف «فرانز» اليه بسرعة. فهو ذلك الرجل الغريب الاطوار الذي اتخذه البارون «دي غورتز» رفيقا أوحد له طوال مدة اقامته في المدن الايطالية الكبرى. وكان هو الرجل الفريد بطبعه حيث يمر في الشوارع يؤشر بيديه ويكلم نفسه. وهذا هو العالم الذي لم يفهمه اهل عصره، والمخترع الذي كان يبحث دائماً عن اختراعات خيالية وقد وضع ولاشك اختراعاته في خدمة البارون «دي غورتز».

ان وجود «اورفانيك» هذا في القصر امام عيني «فرانز» جعل الكونت الشاب يتأكد من وجود البارون «دي غورتز» ايضاً. وحاول الكونت الشاب ان يتبين ماكان يفعله هذا

الرجل في تلك الكنيسة الخربة وفي تلك الساعة المتقدمة من الليل. حيث كان «اورفانيك» منحنياً نحو الارض يرفع عدة انابيب حديد ويربط بها حبلاً رفيعاً يسحبه من بكرة موضوعة في احدى زوايا الكنيسة. وكان «اورفانيك» يعير هذا العمل كل انتباهه لدرجة انه ماكان ليشعر بوجود «فرانز» لو تقدم هذا الاخير باتجاهه.

آه، لوكان الشق الذي بدأ «فرانز» بتوسيعه يسمح له بالمرور الى الكنيسة اذ لو تمكن من ذلك لدخل الكنيسة وهجم على «اورفانيك» ولاجبره على ان يقوده الى البرج.. ولكن لاتكرهوا شيئاً لعله خير لكم... ربما كان على «فرانز» ان يسر لعدم تمكنه من دخول الكنيسة. فهو لو فعل وفشل في محاولته لكان البارون «دي غورتز» قد جعله يدفع حياته ثمناً لما كان اكتشفه من اسرار. وبعد بضع دقائق دخل الكنيسة رجل اخر. انه البارون «دي غورتز» بذاته. وجهه الذي لاينسى لم يتغير. ولا تبدو عليه علامات الشيخوخة. وجهه شاحب، طويل، ينيره ضوء المصباح من تحت الى فوق. وشعره طويل رمادي مردود الى الوراء. ونظره يقدح شرراً حتى اعماق محجريه السوداوين وقد اقترب ليراقب عن كثب عمل «اورفانيك». واليكم ماجرى من حديث بين الرجلين.

الفصل الخامس عشر

ـ هل انتهى وصل الاشرطة بالكنيسة يا «اورفانيك»؟

ـ نعم، لقد انتهيت منه في هذه اللحظة.

ـ هل كل شيء جاهز في اماكن الاسلحة في الحصون؟

ـ نعم كل شيء جاهز سيدي البارون.

ـ هل اصبحت الكنيسة والحصون متصلة مباشرة بالبرج؟ يا «اورفانيك»؟

ـ انه لكذلك. ياسيدي البارون.

ـ وهل يتسع لنا الوقت للهرب بعد ان يطلق الجهاز التيار؟

ـ نعم، سيكون لدينا الوقت الكافي ياسيدي البارون.

ـ والنفق الذي يؤدي الى ممر الفولكان هل تحققت انه سالك؟

ـ انه سالك. ياسيدي البارون.

وساد السكون للحظات كان خلالها «اورفانيك» يوجه مصباحه نحو اعماق الكنيسة. ثم صرخ البارون: «آه ياقصري العتيق العزيز. كم ستكلف غالياً كل من يحاول

اقتحامك. واقشعر بدن الكونت الشاب لدى سماع كلام البارون الذي تابع يقول:

- هل سمعت، يا «اورفانيك»، ماكان يقال في «ورست»؟

- لقد نقل إليّ الشريط منذ حوالي الخمسين دقيقة المناقشات التي كانت تدور في نزل «الملك ماتياس».

- هل ينوون مهاجمة القصر الليلة يا «اورفانيك»؟

- كلاّ لن يبدأ الهجوم قبل طلوع الفجر.

- متى عاد «روتزكو» الى «ورست»؟

- منذ حوالي الساعتين ومعه رجال الشرطة الذين رافقوه من «كارلسبورغ».

- حسناً يا «اورفانيك». وبما ان هذا القصر لم يعد قادرا على حماية نفسه فانه على الاقل سيسحق تحت انقاضه «فرانز دي تلك» وكل من يأتي لنجدته.

وبعد لحظات تابع البارون قائلاً: «يجب ان لا يعلم احد يا «اورفانيك» ان هذا الشريط يشكل خط اتصال بين القصر وقرية «ورست».

- لن يعرف احد ذلك حيث سأتلف كل اثر لهذا الشريط ياسيدي البارون».

لقد آن الاوان حسب رأينا ان نفسر للقارىء بعض الاحداث التي تعاقبت في هذه القصة والتي لن يتأخر



هل انتهى وصل الاشرطة؟

الكشف عن مصادرها ومسبباتها.

لابد من التذكير بصورة خاصة ان احداث هذه القصة تجري في اواخر القرن التاسع عشر حين كان استعمال الكهرباء قد بلغ اخر درجات الاتقان. «فإديسون» الشهير واتباعه كانوا قد استكملوا انجازهم. وكان الهاتف قد بدأ يعمل بدقة عجيبة لدرجة ان الاصوات، الملتصقة بواسطة اللوحات صارت تصل الى الاذن بسهولة ومن دون استعمال السماعة. فكل ما كان يقال او يغنى او حتى يهمس يمكن سماعه ايا تكن المسافة. وكان باستطاعة شخصين تفصل بينهما الاف الاميال ان يتحادثا كما لو كانا جالسين الواحد قبالة الاخر. ومنذ سنوات عديدة «واورفانيك»، الملازم ابدا للبارون «دي غورتز»، يعتبر في مجال العلم الكهربائي مخترعاً من الدرجة الاولى. ولكن اكتشافاته لم تلق الاهتمام الذي تستحق. فرجال العلم لم يروا فيه سوى رجل مجنون بدل ان يعتبروه عبقرياً في فنه. وهذه المعاملة ولدت لديه حقداً قاتلاً نحو زملائه العلماء الذين جعلوا منه رجلاً مرفوضاً بل منبوذاً.

وهكذا كانت حال «اورفانيك» حين التقاه البارون «دي غورتز» حيث شجع ابحاث هذا العالم وزوده بالمال وارتبط به على شرط ان تعود جميع ارباح الاختراعات الى حساب

البارون وحده.

وباختصار فان هذين الشخصين الغريبين في اطوارهما والمهووسين كل على طريقته كانا، طبيعيا، قريبين الواحد من الاخر ومستعدين للاتفاق والتوافق. فمنذ ان التقيا لم يفترقا قط حتى عندما كان البارون «دي غورتز» يلاحق «لاستيلا» في جميع المدن الايطالية. ولكن بينما كان هاوي الفن والموسيقى يطرب لغناء الفنانة المبدعة كان العالم «اورفانيك» يعمل على اكمال ماقد بدأه علماء الكهرباء من اكتشافات في ذلك الوقت وتطوير العمليات التطبيقية لهذه الاكتشافات حتى تعطيه نتائج خارقة غير مألوفة ولكن بعد تلك الاحداث التي انهت قصته المأساوية مع «لاستيلا» اختفى البارون «دي غورتز» وانقطعت اخباره. فقد ترك عندئذ نابولي ولجأ الى قصر «الكاربات» برفقة «اورفانيك» الذي كان جد مسرور ومرتاح لان يحبس نفسه معه في القصر. وعندما قرر البارون «رودولف دي غورتز» ان يعزل نفسه داخل جدران القصر صمم ايضاً ان لايدع احدا يعلم بعودته ولا احد يفكر في زيارته. وغني عن القول ان البارون و«اورفانيك» كانا قادرين ان يؤمنا وبصورة جد مرضية ما يلزمهما من حاجات مادية للعيش في هذا القصر. فقد

كان هناك نفق سري يربط بين القصر وطريق ممر «الفولكان». وكان خادم قديم للبارون لايعرفه احد في المنطقة ويثق به كل الثقة يدخل الى القصر، عبر هذا النفق وباوقات محددة، كل ماهو ضروري لحياة البارون «رودولف» ورفيقه «اورفانيك».

وفي الواقع ان البقية الباقية من قصر «الكاربات» وخصوصاً البرج المركزي كانت اقل خراباً مما كان يتصور البعض وصالحة للسكن اكثر مما كان يتطلبه البارون «واورفانيك». ولما كان كل مايلزم لاختبارات «اورفانيك» متوفراً في القصر فقد انصرف الى اعماله المدهشة الخارقة المرتكزة على الفيزياء والكيمياء. وقد خطرت له عندئذ فكرة رائعة وهي ان يستخدم اختباراته واختراعاته لابعاد المزعجين والفضوليين عن القصر وقد تقبل البارون «دي غورتز» هذا العرض بحماسة كلية فركب «اورفانيك» تجهيزات خاصة بهدف اشاعة الرعب في البلدة عبر احداث عوارض وظواهر لايمكن ان تنسب الا للجن والعفاريت.

ولكن البارون كان يلح بالدرجة الاولى على معرفة مايقال وما يجري في اقرب قرية مجاورة. وهل كان هناك طريقة لسماع مايقوله الناس من دون ان يكون هناك

مايثير شكهم او انتباههم؟ نعم ولكن اذا امكن اقامة اتصال هاتفي بين القصر والصالة الكبيرة في نزل «الملك ماتياس» حيث كان من عادة وجهاء قرية «ورست» ان يجتمعوا كل مساء.

وهذا ماحققه «اورفانيك» بسرية تامة ومهارة فائقة الى جانب الدقة والبساطة. حيث استقدم «اورفانيك» شريطا نحاسياً مغطى بمادة عازلة ومده بين الطابق الاول في البرج وقرية «ورست» عبر مجرى مياه «النياد». ثم قصد «اورفانيك» قرية ورست كسائح وقضى ليلة في نزل «الملك ماتياس» قام خلالها بوصل الشريط بالصالة الكبيرة في النزل. فقد سحب الشريط من تحت المياه ورفعه بمحاذاة حائط النزل من الجهة الخلفية وركزه في نافذة لاتفتح ابدا. ثم اخفى جهاز الهاتف تحت الاوراق الكثيفة لشجرة تغطي تلك النافذة ووصل الشريط، وكان جهاز الهاتف مركباً بشكل دقيق وصالح للالتقاط والبث مما سمح للبارون «دي غورتز» بسماع كل مايجري من احاديث في الصالة كما سمح له باسماع الموجودين فيها كل ماشاء من دون ان يعلموا من اين يأتيهم الصوت.

ولم يحدث خلال السنوات الاولى مايعكر على البارون «دي غورتز» انزواءه في القصر. فسمعة القصر السيئة

كانت كافية لابعاد سكان «ورست» عنه. وكان معروفاً لدى الاهالي ان القصر مهجور منذ وفاة اخر خدم «آل دي غورتز». ولكن حدث ذات يوم حين بدأت هذه القصة ان شاهد الراعي «فريك». عبر منظاره دخاناً يتصاعد من احدى مداخن البرج. ومنذ تلك اللحظة عادت الاحاديث والتعليقات بين اهالي «ورست» حول القصر واخباره وصرنا نعرف جيداً ماذا نتج عن ذلك.

وهكذا كان الاتصال الهاتفي مفيداً جداً للبارون «دي غورتز» و«اورفانيك» اللذين كانا يطلعان بواسطته على كل مايجري في «ورست».

فبواسطة هذا الخط سمعا «نيك دك» يعلن عزمه على دخول القصر. وبواسطة الخط ذاته ارسل البارون «دي غورتز» الى الصالة الكبرى في نزل «الملك ماتياس» ذلك الصوت المهدد الذي دعا «نيك دك» للتخلي عن فكرته. ولكن عناد حارس الاحراج الشاب وتصميمه على دخول القصر رغم التهديد الذي سمعه دفعا بالبارون «دي غورتز» الى التصميم على تلقين حارس الاحراج هذا درسا يفقد بعده كل رغبة في دخول القصر ثانية. وما ان اقترب حارس الاحراج «نيك دك» والدكتور «باتاك» من القصر حتى بدأ جهاز «اورفانيك» الفيزيائي الكهربائي بالعمل

فاحدث سلسلة عوارض ومظاهر فيزيائية زرعت الرعب في انحاء المنطقة المجاورة. فقد قرع الاجراس في قبة الكنيسة، وقذف لهباً كثيفاً ممزوجاً بالملح جعل الاشياء كلها تظهر كالاشباح واطلق صفارات عجيبة بفعل الهواء المضغوط الذي يحدث اصواتا مرعبة وعكس على الجدران بواسطة اضواء قوية صور اشباح ومسوخ. ووضع لوحات معدنية تحت العشب في الخندق حول السور ووصلها ببطاريات تصدر تياراً كهربائياً التقط المسامير الحديدية في جزمة الدكتور «باتاك» وجعله عاجزاً عن الحركة. ثم اطلق اورفانيك شحنات كهربائية من بطاريات المختبر في القصر الى الجسر المتحرك الذي ما ان لمس «نيك دك» حديده حتى قذفته الشحنات الكهربائية فأوقعته.

وهكذا صح ظن البارون «دي غورتز» اذ بعد ظهور تلك العوارض العجيبة الغامضة وبعد تجربة «نيك دك» المأساوية بلغ الذعر في القرية اوجه. وما عاد احد يفكر في الاقتراب من قصر «الكاربات» حتى ولو كان سيجد فيه الكنز العظيم. وترسخ لدى الاهالي اعتقاد بأن في القصر وحوله أشباحاً وعفاريت. وفيما اعتبر البارون «دي غورتز» انه اصبح في مأمن من كل فضولية مزعجة وصل

«فرانز دي تلك» الى نزل «الملك ماتياس» في قرية «ورست». ونقل الخط الهاتفي الى البارون «دي غورتز» الاحاديث التي جرت بين الكونت الشاب من جهة وكل من «جوناس» والسيد «كولتز» من جهة ثانية. وتذكر البارون الاحداث التي جرت له مع الكونت الشاب في مدينة نابولي فاشتعل الحقد والكره في صدره من جديد. زد على ذلك ان الكونت «فرانز دي تلك» كان يسخر امام وجهاء القرية من معتقداتهم الباطلة وايمانهم بالخرافات والعفاريت مما كان سيؤدي الى تحطيم الخرافة التي كانت تحمي قصر «الكاربات». ولم يكتف الكونت بذلك بل تعهد باعلام السلطات الرسمية في «كارلسبورغ» بالامر كي يأتي رجال الشرطة ويضعوا حداً لكل هذه الاساطير على حد تعبير الكونت الشاب.

وعندئذ قرر البارون «دي غورتز» ان يستدرج «فرانز دي تلك» الى القصر. وبتنا نعلم من خلال القصة ماهي الوسائل التي استعملها للتوصل الى ذلك. فصوت «لاستيلا» الذي بثه البارون الى نزل «الملك ماتياس» عبر الجهاز الهاتفي دفع بالكونت الى تغيير وجهة سيره والاقتراب من القصر. وظهور المغنية «لاستيلا» على سطح الحصن ولد في داخله الرغبة الجامحة في دخول القصر.

والضوء الذي ظهر من احدى نوافذ البرج قاده الى البوابة الكبرى التي فتحت لتسهل عليه العبور. ثم بلغ قعر ذلك القبو الذي اضاءه مصباح كهربائي وهناك سمع «فرانز دي تلك» ذلك الصوت، صوت «لاستيلا» الذي تغلغل في نفسه، ثم احضر له الطعام وهو يغرق في سبات عميق. وفي ذلك السجن المطمور في اعماق القصر اغلقت عليه الابواب وسدت المنافذ. لقد كان «فرانز دي تلك» حينئذ في قبضة البارون «دي غورتز». الذي صار يثق ثقة تامة ان الكونت لن يفلت من يده بعد الان.

وتلك كانت النتائج التي حققها ذلك التعاون الخفي بين «رودولف دي غورتز» وشريكه «اورفانيك». ولكن البارون كان يعلم وبامتعاض شديد، ان «روتزكو» الذي لم يدخل القصر مع سيده اعلم سلطات «كارلسبورغ» بالامر. وان فرقة من رجال الامن قد وصلت الى «ورست» واصبح البارون «دي غورتز» مجبراً على مواجهة قوة لايستهان بها. وبالفعل كيف يمكن له ولشريكه ان يدافعا عن القصر في مواجهة فرقة بهذا العدد. فالوسائل التي استعملت ضد «نيك دك» والدكتور «باتاك» لن تكون فاعلة ضد رجال الشرطة الذين لايؤمنون ابدا بالتدخلات الشيطانية. وامام هذا الواقع قرر الاثنان معا تدمير القصر برمته وباتا

ينتظران الوقت المناسب للتنفيذ. لقد حضر التيار الكهربائي الذي سيشعل شِحنَ الديناميت التي طمرت تحت البرج والحصون والكنيسة القديمة. وضبط الجهاز المعد لاطلاق التيار الكهربائي بشكل يسمح للبارون «دي غورتز» وشريكه بالوقت الكافي للهرب عبر النفق المؤدي الى الممر الجبلي. وبعد الانفجار الذي سيقضي على الكونت الشاب والكثيرين ممن سيجتازون سور القصر يهرب البارون وشريكه الى حيث لن يجد احد لهما اثراً.

ان ما سمعه «فرانز» من هذا الحوار اعطاه تفسيراً لتلك الاحداث التي حصلت في الماضي. فهو يعرف الان ان اتصالاً هاتفياً يربط بين قصر «الكاربات» وقرية «ورست». ولم يكن يجهل ايضا ان ابنية القصر ستدمر مما سيشكل كارثة يذهب ضحيتها اولا هو السجين في القصر وثانيا رجال الشرطة الذين سيأتون برفقة «روتزكو». وكان يعرف اخيراً ان البارون «دي غورتز» و«اورفانيك» سيوفران لانفسهما الوقت الكافي للهرب مصطحبين معهما «لاستيلا» الفاقدة الوعي. آه... فكر «فرانز» بأن يقتحم الكنيسة بالقوة وينقض على هذين الرجلين.. يصرعهما، يضربهما، يجعلهما عاجزين عن تنفيذ ماينويان من تدمير وبالتالي يمنع الدمار الرهيب.. ولكن مايبدو مستحيلا في

هذا الوقت قد لايكون كذلك بعد رحيل البارون. فعندما يخرجان من الكنيسة سيمضي «فرانز» في اثرهما ويتبعهما حتى البرج وبعون الله سيقوم هناك بما يلزم. كان البارون «دي غورتز» و«اورفانيك» قد وصلا الى اخر صدر الكنيسة لكنهما لم يغيبا عن نظر «فرانز». من اين سيخرجان؟ تساءل «فرانز». أيخرجان من باب يؤدي الى احد احواش الساحة؟ ام من ممر داخلي يصل الكنيسة بالبرج اذ يبدو ان ابنية القصر كانت متصلة ببعضها؟ لايهم من اين سيخرجان من الكنيسة شرط ان يصطدم الكونت الشاب بحاجز يعجز عن تخطيه.

وفي هذا الوقت تبادل البارون «دي غورتز» و«اورفانيك» بعض الكلام فقال البارون «دي غورتز»:

- الم يبق لدينا مانعمله هنا؟
- كلا...
- فلنفترق اذاً.
- اما زلت مصمماً على البقاء وحدك في القصر؟
- نعم يا«اورفانيك» واخرج انت فوراً من النفق الى ممر «الفولكان» الجبلي.
- ولكن انت...
- لن اغادر القصر الا في اللحظة الاخيرة.

ـ لقد اتفقنا اذاً ان انتظرك في «بسترتز».

ـ نعم في بسترتز.

ـ ابق اذاً ياسيدي البـارون. ابق وحدك مـادامت هذه ارادتك.

ـ نعم... لاني اريد ان اسمعها.. اريد ان اسمعها مرة اخـرى خـلال هـذه الليلـة التي سـأقضيهـا في قصر «الكاربات».

وبعد لحظات غادر البارون «دي غورتز» و«اورفانيك» الكنيسة. ورغم ان اسم «لاستيلا» لم يلفظ خـلال هذا الحديث فان «فرانز» فهم البارون جيداً. فانه كان يتحدث عنها.

الفصل السادس عشر

كـانت المصيبة وشيكـة الوقـوع. ولم يكن بامكـان «فرانز» ان يحول دونها الا اذا جعل البارون عاجزاً عن تنفيذ مشروعه. وكانت الساعة تشير الى الحـادية عشرة

ليلا. حين عاد «فرانز» الى عمله في توسيع الثغرة بعدما اطمـأن الى ان امره لم يكشف وكـانت حجارة الحـائط تنفصل عن بعضها بسهولة لكنه كان سميكاً الى حد ان انقضى نصف ساعة قبل ان تصبح الثغرة واسعة كفاية ليخرج منها.

وما ان دخل «فرانز» الكنيسـة المشرعة حتى شعـر بانتعاش نتيجة اتصاله بالهواء الاتي من الخارج. وكان يرى من خلال تصدع في جناح الكنيسة كما يرى من خلال شقوق في النوافذ غيوماً خفيفة يطاردها الهواء ونجوماً هنا وهناك يخفف من بريقها نور القمر الصاعد نحو الافق. وكان عليه ان يجد في اخر الكنيسة الباب الذي خرج منه البارون «دي غورتز» و«اورفانيك». ولذلك قطع «فـرانز» الجناح في الكنيسة جانبياً وتقدم باتجاه الصدر وكانت تلك الناحية من الكنيسة مظلمة لايدخلها نور القمر وقد اصطدمت رجلاه مراراً ببقايا الاضرحة والحطام المنسلخ عن القبة وفيما هو يتلمس الحائط قرب زاوية مظلمة خلف المذبح في طرف صدر الكنيسة احس ان باباً نخره السوس يتحرك تحت يده وانـه يؤدي الى رواق يبدو انـه يسمح بعبور الساحة الخارجية. ومن هذا الباب دخل البارون «دي غورتز» و«اورفانيك» الى الكنيسة ومنه ايضاً خرجا.

وما ان اصبح «فرانز» في الرواق حتى وجد نفسه من جديد في ظلام دامس. وبعدما دار دورات عدة من دون ان يصعد او يهبط تأكد له انه مازال في مستوى الاحواش الداخلية. وبعد مسير نصف ساعة بدأ الظلام يخف وظهر قليل من الضوء عبر فتحات جانبية في الرواق وعندما تمكن ان يسرع في مشيته ووصل الى معقل واسع محفور تحت ارضية الحصن الذي كان يدعم الزاوية الشمالية للسور الخارجي. وقد فتحت في جدران هذا المعقل عدة فتحات للرماية وكان نور القمر يتسرب من خلالها. وفي الجهة المقابلة رأى باباً مفتوحاً. وان اول ما اهتم به هو ان يقف امام واحدة من تلك المرامي ليتنشق نسيم الليل البارد ولو لبضع ثوان. ولكنه عندما همّ بالابتعاد بدا له كأنه يرى خيالين او ثلاثة تتحرك على الطرف الاقل ارتفاعاً من هضبة «الاورغال» التي كانت مضاءة حتى مرتفعات غابات التنوب المظلمة وحينئذ جمد في مكانه وراح يتفرس فرأى بضعة رجال يروحون ويجيئون على تلك الهضبة على مقربة من الاشجار. انهم ولاشك رجال الامن الذين يرافقون «روتزكو» من «كارلسبورغ». اتراهم قرروا التحرك نحو القصر خلال الليل على امل ان يفاجئوا نزلاءه ام كانوا ينتظرون في ذلك المكان البشائر الاولى للفجر؟

وكم ضغط «فرانز» على نفسه كي لايترك الصرخة من فمه وكي لاينادي «روتزكو» الذي كان سيسمعه ولاشك ويعرف صوته! فان الصرخة، قد يصل صداها الى البرج فينتبه البارون رودولف للامر، وقبل ان يتمكن رجال الامن من تسلق السور سيكون لديه الوقت الكافي لتشغيل جهازه والهرب عبر النفق.

وتمكن «فرانز» من السيطرة على اعصابه وتمالك نفسه فابتعد عن الرماة واجتاز المعقل وعبر الباب المقابل وتابع سيره في الرواق. وبعدما تقدم حوالي الخمسمئة خطوة وصل الى عتبة سلم محفورة درجاته في سماكة الحائط. فهل بلغ اخيراً البرج الذي كان ينتصب في وسط ساحة الاسلحة؟ لقد كان هناك مايدعوه لاعتقاد ذلك.

لكن هذا السلم ليس على الارجح السلم الرئيس الذي يؤدي الى مختلف الطبقات. فقد كان يتألف من سلسلة درجات دائرية مصففة بشكل لولبي داخل قفص ضيق ومظلم.

وصعد السلم من دون ضجة مصغياً ولكنه لم يسمع شيئاً وبعد حوالي عشرين درجة توقف على قرص السلم حيث وجد باباً مفتوحاً يؤدي الى الشرفة التي تحيط بالطبقة الاولى من البرج.

وعندئذ انسل عبر تلك الشرفة وهو يجتهد ان يتلطى* وراء السياج الذي يحيط بهـا، ثم نظر بـاتجاه هضبة «الاورغال». فرأى عدداً من الرجـال على حـدود غابة التنوب ولم يلاحظ مايشير الى انهم كانوا يريدون الاقتراب من القصر.

لقد كان «فرانز» مصمما على اللحاق بالبـارون «دي غورتز» قبل ان يهرب هذا الاخير عبر النفق المؤدي الى الممر الجبلي وعندها طاف بالطبقة الاولى من البرج حتى وصل الى باب اخر حيث استعاد السلم شكلـه اللولبي صعودا. وضع رجله على الدرجة الاولى واتكأ بيديه على الجانبين وبدأ يصعد. وكان الصمت لايزال مخيماً ولم تكن الطبقـة الاولى من البرج مسكـونة وهنـا عجـل في الصعود ليبلغ اخر السلم حيث يمكنه ان يأخذ سلما اخر الى الطبقات العليا. ولما بلغ المحطة الثالثة انتهى السلم الذي يفضي الى الطبقة العليا في البرج. التي يكللها جدار سميك مسنن كانت تخفق فوقه في الماضي راية البارونات «دي غورتز».

ورأى «فرانز» عن شماله بابا لكنه كان موصدا ونظر الى القفل فرأى المفتاح فيه وكان بعض النور يتسرب من

* يتلطى: ينتظر غرّة العدو.

ثقبه. واصغى جيدا ولكنه لم يسمع ايـة ضجة داخـل المسكن. ثم وضع عينه على الثقب في القفل فلم ير بوضوح سوى الجهة الشمالية من الغرفة. اذ فيما كانت الجهة الشمالية من هذه الغرفة مضاءة بقوة كانت الجهة اليمنى منها غارقة في الظل.

وبعدها ادار المفتاح بهدوء في داخل القفل ودفع الباب فانفتح فرأى قاعة واسعة جدا تؤلف وحدها الطبقة العليا من البرج. جدرانها دائريـة الشكل تستنـد عليها قبـة مجوفة. اما اضلاع هذه القبة فتلتقي في الوسط وتمتزج لتتدلى منها قلادة ثقيلة وقد علقت على جدران القاعة بسط سميكة وسجادات قديمة رسمت عليها وجوه وشخصيات وفرشت بخزائن عرض وصناديق ثياب ودواوين ومقاعد بسيطة كما تتدلى على نوافذها ستائر كثيفة تمنـع النور الـداخلي من التسرب الى الخـارج. ومدت عـلى ارضها سجادة صوفية عالية الوبر تغرق فيها الارجل.

اما ترتيب الغرفة فان أقل ما يقال فيه أنه غريب. وأول ما لفت انتباه «فرانز» فيها هذا التناقض المتمثل في ان يغمر النور قسما منها بينما يغمر الظل القسم الاخر.

وعن يمين الباب تغرق الغرفة في الظلام. وعن يساره منصة بقماش اسود وسلطت عليها اضواء قوية بواسطة

تركيز وتجميع للضوء امامها ولكن من دون ان يكون منظورا. وعلى بعد مترين او ثلاثة من هذه المنصة تجد مقعداً قديماً طويل الظهر. ويفصل بين المنصة والمقعد ستارة عالية ترخي ظلاً خفيا عليه وبالقرب من المقعد طاولة صغيرة مغطاة بسجادة وضعت عليها علبة مستطيلة. ويتراوح طول هذه العلبة من اثنتي عشرة الى خمس عشرة بوصة وعرضها من خمس الى ست بوصات. وكان غطاؤها المرصع بالحجارة الكريمة مرفوعا وفي داخلها اسطوانة معدنية. ومنذ دخول «فرانز» الى الغرفة لاحظ ان المقعد مشغول. وبالفعل كان يشغله شخص، لايبدي حراكا، راسه مرتد الى الوراء ومسنود على ظهر المقعد وجفناه وساعده الايمن ممدود على الطولة ويده ملقاة على مؤخرة العلبة.

إنه «رودولف دي غورتز»

امن اجل الاستسلام للنوم اراد البارون تمضية تلك الليلة الاخيرة في الطبقة العليا من البرج؟

كلا! إن الكلام الذي قاله البارون «لأورفانيك» على مسمع من «فرانز»، يجعل هذا الامر غير ممكن.

لأن البارون «دي غورتز» كان وحده في هذه الغرفة إذ ان رفيقه غادر القصر ولاشك عبر النفق وفق الأوامر التي

تلقاها.

و«لاستيلا»؟ ألم يقل «رودولف دي غورتز» إنه يريد سماعها مرة اخيرة في قصر «الكاربات» قبل ان يدمر الانفجار هذا القصر؟ ولأي سبب غير ذلك يأتي البارون الى هذه الغرفة حيث كانت توافيه «لاستيلا» كل ليلة لتسكره بغنائها؟

أين كانت «لاستيلا» إذاً؟ فما عاد «فرانز» يسمعها او يراها.

وعلى كل حال، ما يهم الآن، ما دام «رودولف دي غورتز» تحت رحمة الكونت الشاب وسيعرف «فرانز» كيف يجبره على الكلام. ولكن، ونحن نعلم في أية حالة من الهيجان هو، أيتمالك أعصابه ام ينقض على هذا الرجل الذي كان يكرهه بقدر ما كان هو مكروها لديه فهو الرجل الذي خطف منه «لاستيلا» ... الحية المجنونة ... المجنونة بسبب هذا الرجل اينقض عليه ويضربه؟

ثم تقدم «فرانز» واتخذ موقعا خلف المقعد. ولم يعد امامه سوى خطوة واحدة ليظفر بالبارون «دي غورتز». وفيما كان يرفع يده والدم في عينيه وعقله تائه.. فجأة ظهرت «لاستيلا».. فوقع الخنجر من يده.

كانت «لاستيلا» واقفة على المنصة في دائرة الضوء الساطع وشعرها مرخى مسدول، وذراعاها ممدودتان وهي رائعة الجمال بثوبها الأبيض الذي كانت ترتديه في دور «انجليكا» على المسرح. إنها تماما كما ظهرت على الحصن في القصر. عيناها الشاخصتان الى الكونت الشاب كانتا تنفذان الى اعماق اعماقه وكان من المستحيل ان لا تكون «لاستيلا» رأت «فرانز»، ومع ذلك لم تأت بأية حركة لتناديه.. ولم تفتح شفتيها لتكلمه... ياللاسف... إنها مجنونة..

كان «فرانز» يستعد للهجوم على المنبر واخذها بين ذراعيه وحملها الى الخارج.. حين بدأت «لاستيلا» تغني. فانحنى البارون نحوها من دون ان يترك مقعده. وفي ذروة النشوة التي انتابته راح البارون الهاوي يتنشق صوتها كأنه العطر ويحتسيه كأنه خمرة الهية. وكما كان في الماضي اثناء حفلاتها على مسارح ايطاليا هكذا هو الآن، تغمره وحدة لا متناهية في وسط القاعة على قمة هذا البرج الذي يشرف على الريف الترانسيلفاني. نعم ان «لاستيلا» تغني.. كانت تغني له... وله وحده.. وكان غناؤها كالهام ينبعث من شفتيها اللتين كانتا تبدوان جامدتين... واذا كان عقلها قد مس فان روح الفنانة فيها

لاتزال حية.

وكذلك «فرانز» ايضا اسكره سحر هذا الصوت الذي لم يسمعه منذ خمس سنوات.. فراح مستغرقا في التأمل الشديد في تلك المرأة التي ظن انه لن يراها ابدا. تلك المرأة التي يراها الان حية كما لو انها قامت من الموت بأعجوبة.

اولم يكن هذا اللحن اكثر الحان «لاستيلا» اثارة للذكريات وتأثيرا في قلبه؟ بلى... انه المقطع الختامي من المشهد المأساوي «لاورلندو» انها الجملة الأخيرة التي تحطمت معها روح المغنية.

كان «فرانز» يتبعها نوطة نوطة في تلك الجملة الرائعة... وكان يقول في سره انها لن تقطع كما قطعت على مسرح «سان كارلو»... كلا...

لن تقطع... كلا.. لن تموت الكلمات بين شفتي «لاستيلا» كما ماتت اثناء حفلتها الوداعية.. وهنا حبس «فرانز» انفاسه فقد كانت حياته كلها متعلقة بهذا اللحن... ولم يبق الا القليل القليل وينتهي هذا اللحن بصفائه الذي لا يضاهى..

ولكن هو ذا الصوت بدأ يخفت ... وكأن «لاستيلا» تتردد وهي تردد تلك الكلمات بألم حاد.

هل ستقع «لاستيلا» على هذه المنصة كما وقعت في

الماضي على المسرح لا لم تقع ولكن اللحن توقف عند النقطة ذاتها التي توقف عندها في مسرح «سان كارلو» وصرخت «لاستيلا» صرخة.. وهي الصرخة ذاتها التي كان «فرانز» قد سمعها ذلك المساء في «سان كارلو»..

ومع ذلك فان «لاستيلا» لا تزال هنا، واقفة جامدة، ونظرها السحري يرمي الكونت الشاب بكل ما في نفسها من حنان.. وعندئذ اندفع «فرانز» صوبها.. كان يريد اخراجها من القاعة ومن القصر... وفي تلك اللحظة وقف البارون فوجد «فرانز» نفسه وجها لوجه معه. وسمعه يصرخ: «فرانز دي تلك ... فرانز دي تلك...

انت الذي تمكنت من الهرب»...

ولكن فرانز لم يجبه بل اسرع نحو المنصة وهو يردد: «لاستيلا» عزيزتي «لاستيلا» ... انت التي اجدك هنا من جديد... اجدك على قيد الحياة... وصرخ البارون على صوته: «على قيد الحياة» «لاستيلا»... على قيد الحياة... وانهى هذه الجملة المتقطعة الساخرة بقهقهة حملت كل نزق الغضب وحدته.. ثم اضاف «رودولف دي غورتز»: على قيد الحياة..

فليحاول «فرانز دي تلك» اذن ان يخطفها مني.

وحد «فرانز» نحو «لاستيلا» التي ما زالت عيناها

شاخصتين اليه بحدة..

وفي تلك اللحظة انحنى «رودولف دي غورتز» والتقط الخنجر الذي كان قد افلت من يد «فرانز» وصوبه نحو «لاستيلا» الجامدة.. فأسرع «فرانز» نحوه ليحول الضربة التي تهدد المجنونة التعيسة... ولكن... سبق السيف العذل... فلقد اصابها الخنجر في قلبها.. وللحال سمع صوت زجاج يتكسر واختفت «لاستيلا» وسط الاف من قطع الزجاج المتناثر في القاعة...

وبقي «فرانز» جامدا في مكانه... فما عاد يفهم ما يجري ... هل اصبح مجنونا هو الاخر؟ وعند ذاك صرخ «رودولف دي غورتز»: ها إن «لاستيلا» تفلت مرة اخرى من يد فرانزدي تلك! لكن صوتها ... صوتها - يبقى لي ... صوتها هو ملكي وملكي وحدي ولن يكون ابدا لاحد غيري...».

وفيما كان «فرانز» يستعد للانقضاض على «رودولف دي غورتز» خانته قواه ووقع فاقد الوعي على اسفل المنصة.

لم يكترث «رودولف دي غورتز» للكونت الشاب بل اخذ العلبة الموضوعة على الطاولة وخرج مسرعا من القاعة ثم نزل الى الطبقة الاولى من البرج وطاف حول



انفجار فظيع

الشرفة ليبلغ الباب الاخر. وفجأة سمعت طلقة..

«فروتزكو» الذي كـان متمركـزا على حـافة منحـدر الخنـدق حـول السـور اطلق النـار بـاتجـاه البـارون «دي غورتز». ولكن البـارون لم يصب الا ان رصاصـة «روتزكو» حطمت العلبة التي كان يضمها بين ذراعيـه. فـأطلق صرخة مـرعبـة ثم راح يـردد بصـوت عـال: صوتها!... صوتها!... روحها... روح «لاستيلا»... لقـد تحطمت.. تحطمت... تحطمت..» وبعدئذ شوهد يركض على الشرفة مشعث الشعر متشنج اليـدين وهو يصرخ. صوتها!.. صوتها!... لقد حطموا صـوتها وهـو لي!... اللعنة عليهم!...»

ثم اختفى عبر الباب فيما كان «روتزكو» ونيـك دك» يحاولان تسلق السور. من دون ان ينتظرا فرقـة رجال الشرطة.

وبعيد ذلك وقع انفجار عظيم هز مرتفعات «البلازا» بـأكملها حيث تصـاعدت شهب النـيران حتى الغيـوم وتساقط سيل من الحجارة على طريق «الفولكان». ولم يبق من الحصـون والسـور والبـرج والكنيسـة في قصر «الكاربات» الا كتلة ركام على هضبة «الاورغال» يتصاعد منها الدخان.

الفصل السابع عشر

لم ننسَ بعد الحديث الذي دار بين البارون «وأورفانيك». وحسب هذا الحديث كان مفروضا الا يحصل الانفجار الا بعد خروج البارون «دي غورتز» من القصر. ولكن الوقت الفاصل بين وجود البارون على شرفة البرج وحدوث الانفجار لا يسمح له بالوصول الى النفق المؤدي الى طريق الممر الجبلي. وكان البارون «دي غورتز» يعيش في تلك اللحظات ذروة الحزن وجنون اليأس ولم يعي ما يفعل. فهل يكون والحالة هذه قد سبب كارثة فورية لابد ان يكون هو اول ضحاياها؟ لقد كان البارون يردد كلمات مبهمة بعدما حطمت رصاصة «روتزكو» العلبة التي كان يحملها. فهل اراد بعد ذلك ان يدفن نفسه تحت انقاض القصر؟

على كل حال انه لمن حسن الحظ ان يكون رجال الشرطة ما زالوا بعيدين عن القصر حين فوجئوا بطلقة «روتزكو» ووقوع الانفجار الذي هز المرتفعات. فقد اصيب عدد

منهم بجروح طفيفة نتيجة تساقط الحجارة على سفح هضبة «الاورغال». اما «روتزكو» و «نيك دك» فكانا وحدهما في أسفل السور والحق يقال إنهما سلما بأعجوبة بعدما تساقطت الحجارة حولهما كالمطر.

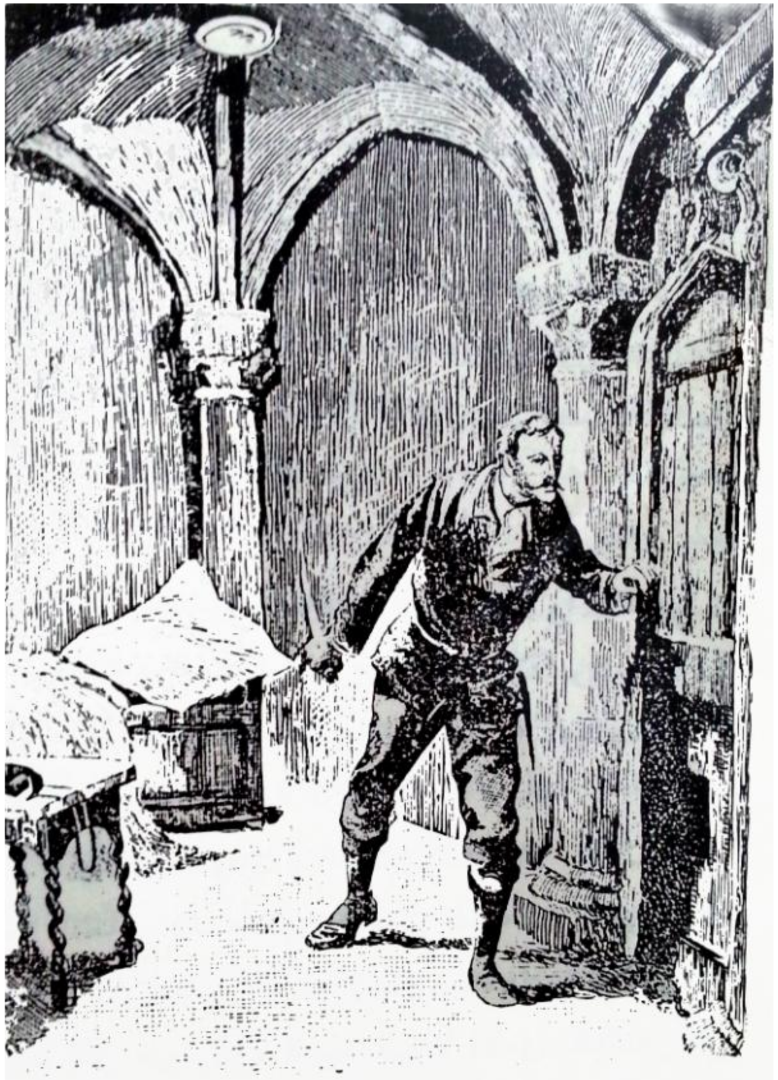
لقد كان مفعول الانفجار قد انتهى لما عبر رجال الشرطة و«روتزكو» و«نيك دك» السور من دون جهد يذكر. ولقد صعدوا منحدر الخندق الذي ردمت نصفه الحجارة المتدحرجة من حيطان السور.

وعلى بعد خمسين خطوة من السور وجدوا جثة في وسط الانقاض عند اسفل البرج. انها جثة «رودولف دي غورتز» حيث ان بعض المسنين من القرية ـ ومنهم السيد «كولتز» ـ تعرفوا اليه بلا تردد.

اما «روتزكو» «ونيك دك» فلم يفكرا الا بالعثور على الكونت الشاب. فعدم ظهوره خلال المهلة التي اتفق عليها مع مرافقه كان يعني انه لم يتمكن من مغادرة القصر.

لذلك كان «روتزكو» لايجد مجالا للامل بالعثور على الكونت حيا وقد نجا من الكارثة، فراح يبكي بدموع غزيرة «ونيك دك» لا يعرف كيف يهدىء من روعه.

وبعد نصف ساعة من البحث وجدا الكونت الشاب في



اذن فإن «فرانز دي تلك» قد اصبح مجنونا.

الطبقة الأولى من البرج تحت ركيزة في احد الجدران مقوسة حمته ومنعت تحطيمه فصرخ «روتزكو» :

«سيدي ... سيدي المسكين» واضاف نيك دك: «ياحضرة الكونت ...» ثم انحنى «روتزكو» ونيك دك» فوق «فرانز» وحسباه للوهلة الأولى ميتا ولكنه كان مغميا عليه.

وفتح «فرانز» عينيه ولكنه لم يركز نظره ولم يتعرف الى «روتزكو» اويسمعه. اما «نيك دك» الذي كان رفع الكونت بين ذراعيه فقد كلمه ايضا ولكن الكونت لم يعط اي جواب. كان فقط يردد الكلمات الأخيرة من لحن «لاستيلا».

الفصل الثامن عشر

ولما كان الكونت الشاب فقد عقله فلم يعد احد يملك تفسيرا وشرحا للاحداث الاخيرة التي كان قصر «الكاربات» مسرحا لها. الا ان الظروف والاحداث التالية اوحت ببعض ما جرى داخل القصر خلال الفترة الاخيرة.

وبقي «اورفانيك» اربعة ايام في قرية «بسترتز» ينتظر ان يوافيه اليها البارون وفقا للاتفاق بينهما. ولما لم يظهر البارون راح يتساءل عما اذا قد راح ضحية الانفجار. وبدافع الفضول كما هو بدافع القلق غادر قرية «بسترتز» واتجه نحو قرية «ورست» وعاد يجول حول ابنية القصر.

ولكن ذلك لم يكن لخيره اذ ان رجال الشرطة سرعان ما القوا القبض عليه نتيجة تعليمات «روتزكو» الذي كان يعرفه منذ زمن بعيد.

ولدى وصوله الى عاصمة القضاء سيق الى المحكمة. ولم يبد اية ممانعة في الإجابة عن الاسئلة التي وجهها اليه القضاة اثناء التحقيق حول تلك الكارثة.

وكان واضحا ايضا ان النهاية الحزينة للبارون «دي

غورتز» لم تؤثر كثيرا في نفس العالم الاناني الذي ما كان يهمه الا اختراعاته.

في بادىء الامر وبناء على الحاح «روتزكو» اكد «اورفانيك» ان «لاستيلا» قد ماتت وعبر عن ذلك كما يلي :
لقد دفنت ودفنت جيدا منذ خمس سنوات في مقابر «كامبوسانتونيوفو» في نابولي. ولم يكن هذا التأكد على موت «لاستيلا» اقل اثارة للدهشة والحيرة من سواه بين احداث هذه المغامرة الغريبة.

وبالفعل اذا كانت «لاستيلا» قد ماتت في نابولي فكيف حدث ان سمع «فرانز» صوتها في الصالة الكبرى في نزل «الملك ماتياس»؟ ثم كيف نفسر انه رآها على سطح الحصن وانتشى بصوتها عندما كان مسجونا في القبو؟ واخيرا وليس اخرا كيف نفهم ان يجدها حية في قاعة البرج؟

واليكم تفسيرات وشروحات هذه الظواهر التي كانت تبدو غامضة لا تفسير لها.

نحن نتذكر طبعا اي يأس استولى على البارون «دي غورتز» لما سرت شائعة عزم «لاستيلا» على اعتزال المسرح لتصبح الكونتسا «دي تلك». حيث شعر انه سيفقد الموهبة الرائعة عند تلك الفنانة. وهذا يعني

بالنسبة له انه سيحرم من كل رغباته وملذاته كهاو بل كمولع بفنها. وعندئذ عرض عليه اورفانيك ان يسجل بواسطة اجهزة فونوغرافية المقطوعات الرئيسة التي ستؤديها اثناء حفلاتها الوداعية. وكانت تلك الاجهزة متقنة كل الاتقان في ذلك العصر، «واورفانيك» زادها اتقانا ودقة بحيث لم يطرأ على الصوت البشري فيها اي تغيير او تلف لا من حيث السحر، ولا من حيث الصفاء.

وقبل البارون «دي غورتز» عرض الفيزيائي. وركزت خلال الشهر الاخير من الموسم اجهزة فونوغرافية تباعا في عمق المقصورة المخفية وراء المصبع الحديدي. وهكذا سجلت في تلك الاجهزة اغنيات الاوبرا العاطفية ومعزوفة «اسطفانو» واخيرا ذلك اللحن الختامي من «اورلندو» ذلك اللحن الذي قطعه موت «لاستيلا».

تلك كانت الاحوال والظروف التي احاطت بالبارون «دي غورتز» حين جاء ليحبس نفسه في قصر «الكاربات». وهناك كان بامكانه ان يسمع كل ليلة الالحان والاغاني التي كان قد سجلها بواسطة تلك الاجهزة الرائعة، ولم يكن يسمع «لاستيلا» كما لو كان في مقصورته في «سان كارلو» وحسب، بل كان ايضا يراها كما لو كانت حية امام عينيه. وهذا ما يبدو مبهما قطعا.

وكانت تلك ظاهرة بسيطة من ظواهر علم البصريات. فنحن نذكر طبعا ان البارون «دي غورتز» كان قد حصل على رسم رائع للمغنية. وكانت تظهر في هذا الرسم واقفة ترتدي ثوبها الأبيض في دور «انجيليكا» من «اورلندو» وترخي شعرها مسدولا على كتفيها. وهكذا كان يوضع رسم المغنية امام مرآة منحنية وفقا لزاوية معينة وبموجب حسابات «اورفانيك». ثم يسلط نور قوي على الرسم فتبدو «لاستيلا» بفعل انعكاس الشعاعات على المرآة «حقيقة» تماما كما لو كانت تزخر بالحياة وبجمالها البهي المشرق. وهذا الجهاز ذاته كان «رودولف دي غورتز» قد نقله ليلاً الى سطح الحصن واستعمله لإظهار «لاستيلا» واقفة هناك بهدف اجتذاب «فرانز دي تلك» الى القصر. وبفضل هذا الجهاز ايضا كان الكونت الشاب قد رأى «لاستيلا» ثانية في قاعة البرج حين كان البارون المهووس يسكر من صوتها واغانيها.

تلك هي باقتضاب المعلومات التي اعطاها «اورفانيك» بشكل مفصل اثناء استجوابه. ولابد من القول انه اعلن نفسه وبكل فخر واعتزاز صاحب هذه الاختراعات التي بلغت معه آخر درجات الاتقان والكمال.

واذا كان اورفانيك قد شرح بواقعية عملية مختاف تلك

الظواهر والالاعيب كما كانوا يدعونها، فإنه لم يفهم لماذا لم يتمكن البارون «دي غورتز» من الهرب عبر نفق ممر «الفولكان» قبل حدوث الانفجار. ولكن عندما علم ان رصاصة حطمت العلبة التي كان البارون يحملها بين ذراعيه فهم السبب. فتلك العلبة كانت الجهاز الفونوغرافي الذي يحوي الاغنية الاخيرة لـ«لاستيلا» تلك الاغنية التي اراد «رودولف دي غورتز» ان يسمعها مرة اخيرة في قاعة البرج قبل انهيار القصر. وعندما اتلفت الرصاصة ذلك الجهاز احس ان حياته دمرت ايضا فاستبد به اليأس حتى الجنون وقرر ان يدفن نفسه تحت انقاض القصر.

وبعد ذلك دفن البارون «دي غورتز» في مقابر «ورست»، واجريت له مراسم التكريم التي تليق بالعائلة العريقة التي انقرضت بموته. اما الكونت «دي تلك» فقد حمله «روتزكو» الى قصر «كراجوا» حيث انصرف كليا للاعتناء به. وقد تنازل اورفانيك وبملء ارادته، عن الاجهزة الفونغرافية التي تحوي الاغاني لـلاستيلا وقدمها الى الكونت. وكلما سمع الكونت صوت الفنانة الكبيرة فانه يعيره نوعا ما من الانتباه ويستعيد اتزانه وتعلقه ويبدو وكأن روحه تحاول ان تعيش من جديد ذكريات ذلك الماضي الذي لا ينسى.

وبالفعل فقد استعاد الكونت الشاب عقله بعد بضعة اشهر وكشف عن تفاصيل ما جرى خلال تلك الليلة الاخيرة في قصر «الكاربات».

وفي عودة الى «ورست» تذكر انه احتفل بزواج «ميريوتا» و «نيك دك» بعد اسبوع من حلول الكارثة. وبعدما بارك كاهن «الفولكان» زواجهما عاد العروسان الى «ورست» حيث اعد لهما السيد كولتز افضل غرفة في منزله. ولكن وان تكن تلك الظواهر المختلفة حول قصر «الكاربات» قد توضحت بشكل طبيعي فلا نتصورن ان «ميريوتا» تخلت عن اعتقادها بالاحداث الخرافية الخارقة الوهمية. وعبثا حاول «نيك دك» اقناعها عن طريق العقل. وهكذا فعل «جوناس» لأنه كان يحرص على استرجاع عملاء الملك ماتياس وعلى كل حال لم يكن السيد «كولتز» والراعي «فريك» والمعلم «هرمود» وسائر سكان «ورست» اكثر اقتناعا من «ميريوتا».

وستمضي سنوات عدة، وهذا جد معقول، قبل ان يتخلى هؤلاء الناس الطيبون عن اعتقاداتهم الخرافية الوهمية. اما الدكتور «باتاك» الذي عاد الى عنترياته وتبجحاته المعتادة فقد كان يردد لمن يريد ان يسمع.

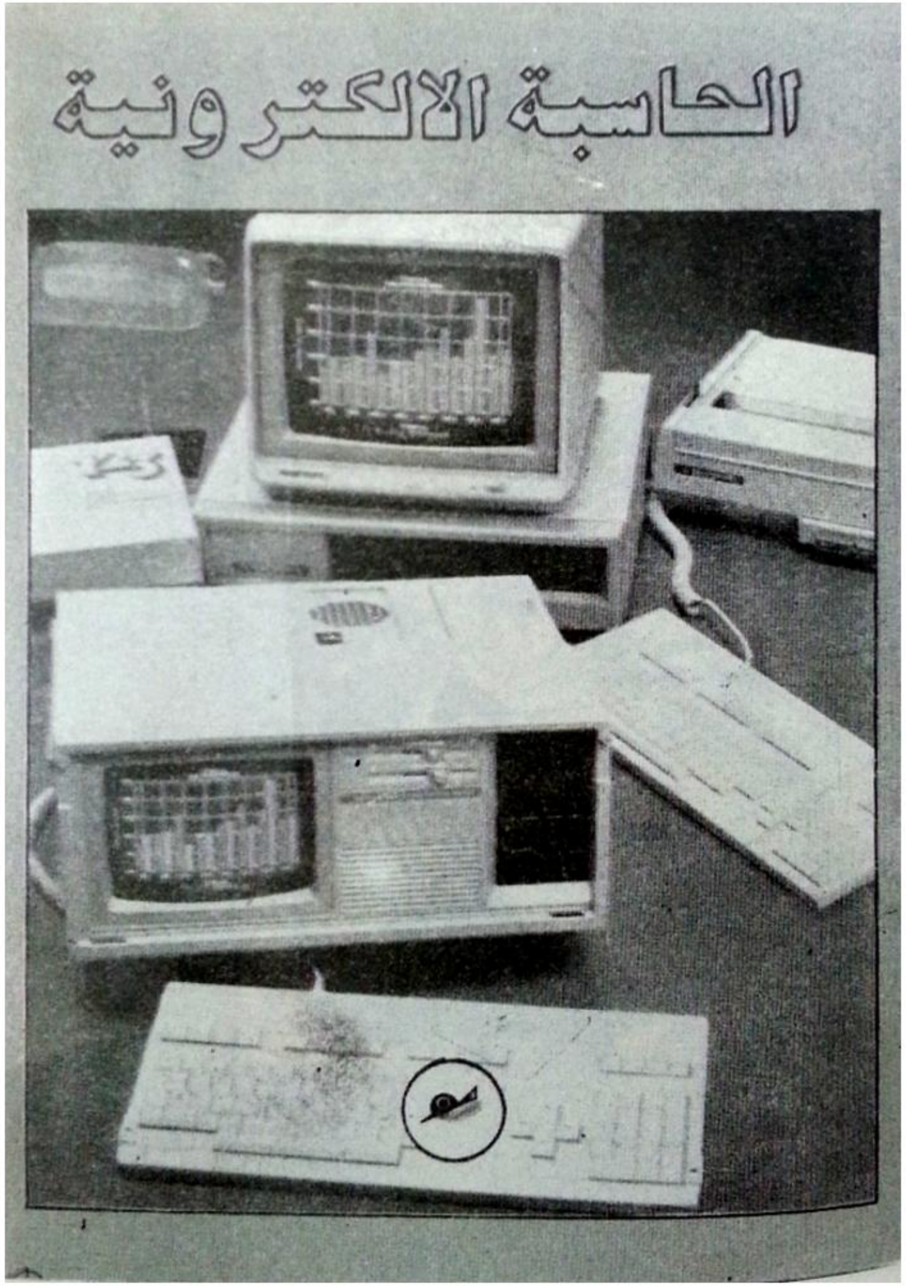
«اما كنت اقول دائما انه لا وجود للجن والعفاريت في

ابنية القصر؟ وهل للجن والعفاريت وجود؟».

ولكن ما كان احد يسمعه بل كانـوا يطلبون منـه ان يسكت حين كان تهكمه يتجاوز الحد المقبول.

ومن جهة اخرى لم يكف المعلم «هرمود» عن الانطلاق في دروسه من الاساطير الترنسلفانية. وستؤمن الاجيال الجديدة في «ورست» ولمدة طويلة بأن ارواح العالم الاخر تحوم حول انقاض قصر «الكاربات».


جبرا ابراهيم جبرا
ايام
العقاب

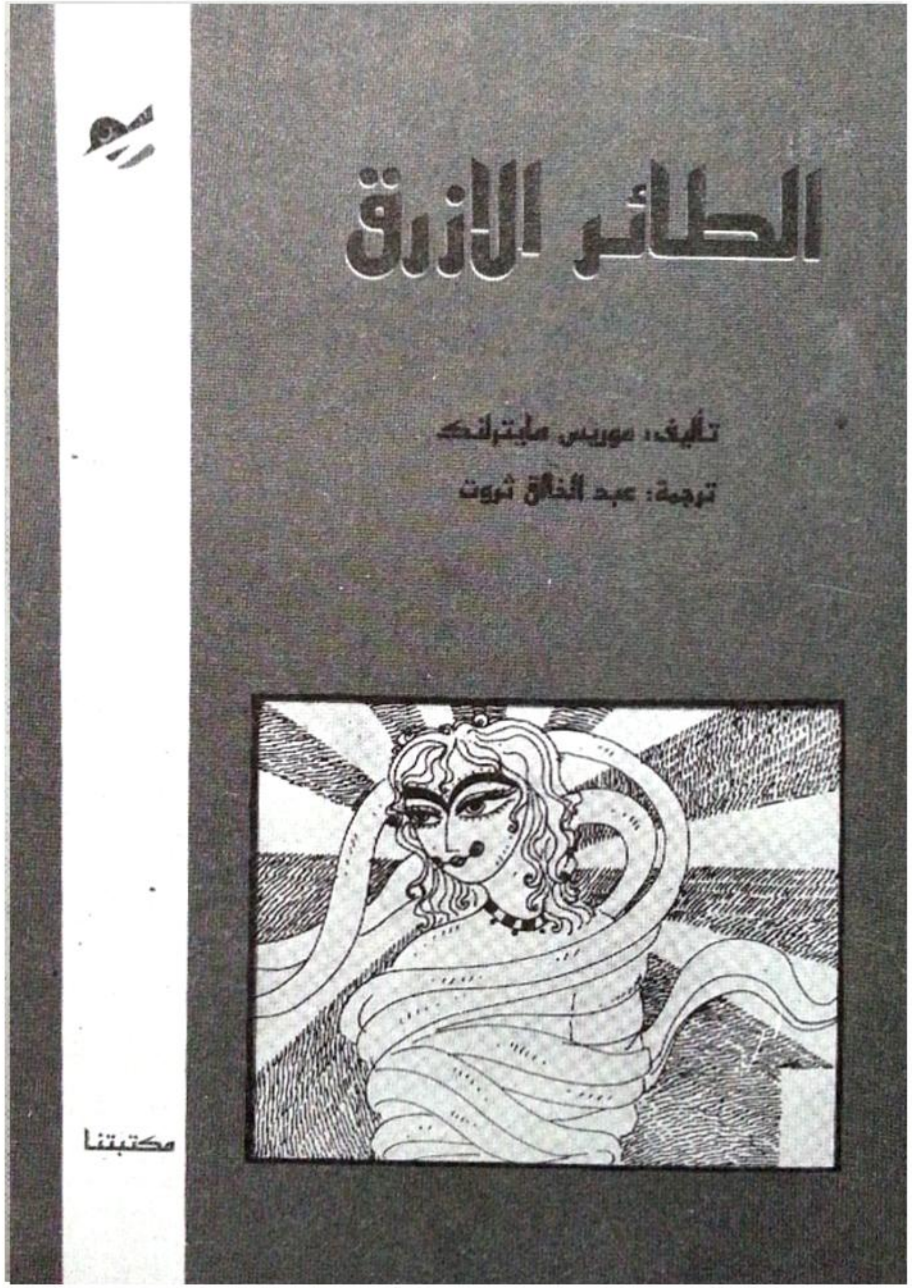

الحاسبة الالكترونية


مغامرات
لاثاريلييو دي تورمس
الكاتب مجهول
اقتباس: ماريا ايزابيل مولينا
ترجمة : مروان ابراهيم
دار ثقافة الأطفال
نصوص عالمية
7


المكتشفون
الأوائل


الموسوعة
العسكرية
الصغيرة
١
الطيران
وزارة الثقافة والإعلام
دار ثقافة الأطفال


الخياط الشجاع


الطائر الأزرق
تأليف: موريس مايترلنك
ترجمة: عبد الخالق ثروت
مكتبتنا


روايات
عالمية
للفتيات
الباحثون عن الكنز
ايديث نيسبت
ترجمة : مجيد ياسين

قصر «الكاربات» المنعزل فوق هضبة صخرية تشرف على غابة كبيرة في اوروبا الوسطى. له سمعة سيئة حيث تدور حوله شائعات مقلقة واساطير مجنونة.

اما صاحب القصر «رودولف دي غورتز» فقد أوى فيه المغنية «لاستيلا» التي كان مولعاً بها حتى الجنون. وقد خلق حول هذا القصر جواً من السحر بقصد ابعاد الفضوليين عنه.

وقد بقي هذا الغموض السحري يشغل بال حارس الاحراج «نيك دك» والدكتور «باتاك» والكونت «دي تلك» الذين اعتقدوا لدى وصولهم الى ابواب هذا القصر انهم ضحية تخيلات واوهام غريبة.

ولكن «جول فرن»، هذا القصصي الكبير، السباق يثبت في هذا الكتاب انه سيد الادب الخرافي الخيالي.

دار ثقافة الاطفال

قسم النشر

السعر: ٦٥٠ فلساً

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٨٥٩) لسنة ١٩٨٩

دار الحرية للطباعة - بغداد